
الأجوبة الفاخرة
عن الأسئلة الفاجرة
للإمام العلامة
أحمد بن إدريس المالكي
المعروف بالقرافي
تحقيق
مجدي فتحي السيد
المكتبة التوفيقية



للإمام العلامة

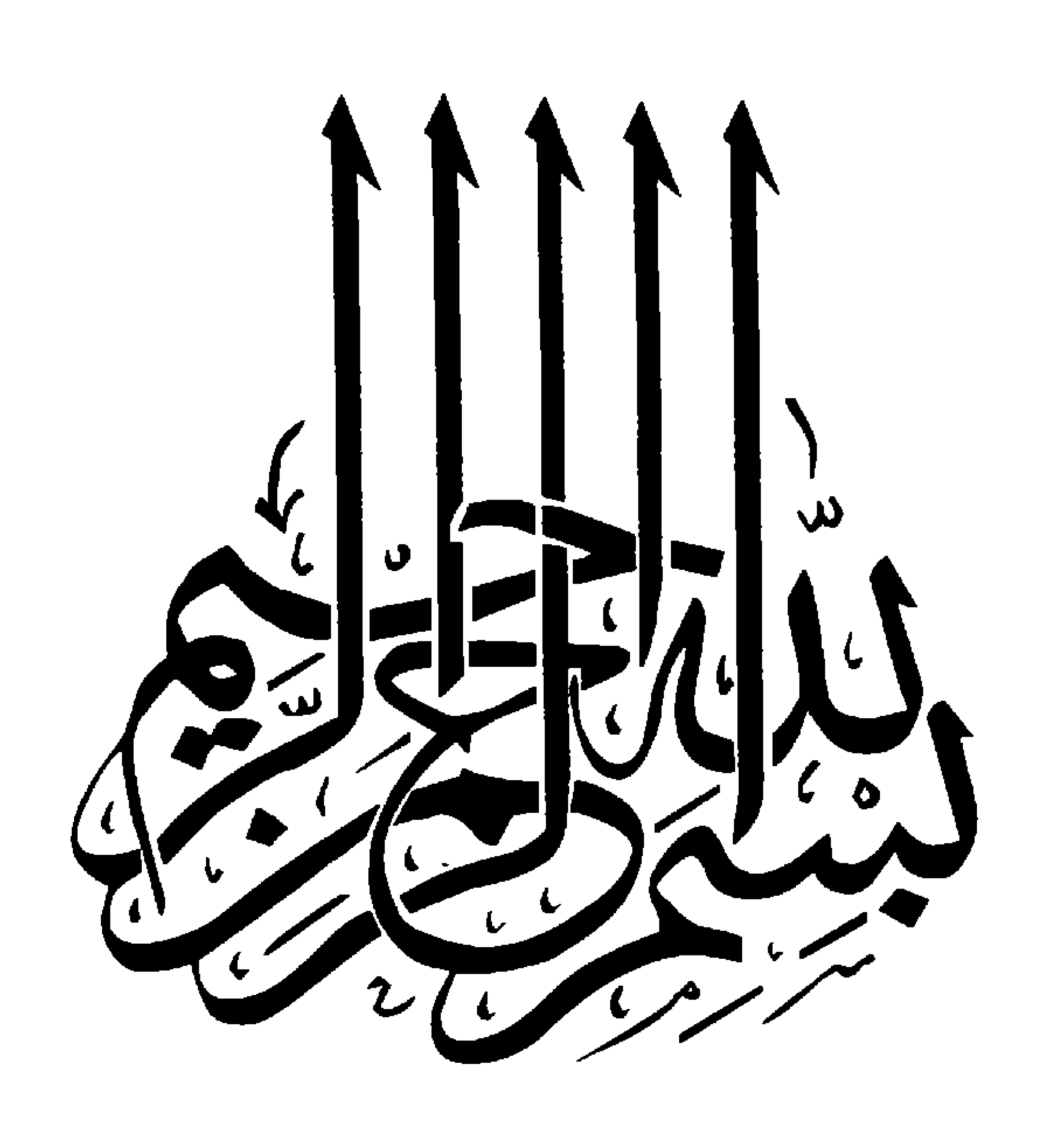
أحمد بن إدريس المالكى
المعروف بالقرافى
٦٢٦ - ٦٨٤ هـ

تحقيق

مجدى فتحى السيد



امام الباب الاخضر - سيدنا الحسين
٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠


بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

وبعد: حذرنا ربنا سبحانه وتعالى من الشيطان ومكائده.

فقال جل شأنه: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ الآية[1].

لذا كان لزامًا على العاقل الفطن، واللبيب النحرير التنبه إلى مكائده، والحذر من فتنه، واتخاذه عدوًا، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ الآية[2].

فقد تلاعب الشيطان بالكثيرين من البشر، فجعلهم يعبدون الأصنام، والنار، واتخاذ الأنداد من دون الرحمن.

وفي هذا الكتاب الذي بين أيدينا يجيب لنا العلامة القرافي على النصارى واليهود فيما لفقوه من أسئلةٍ باطلة بإجابةٍ قاطعةٍ مانعة، ولذا استحق أن يُسمى كتابه كما سماه هو:

«الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة»

وقد استفاد العلامة ابن قيم الجوزية في كتابيه «هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى»، و«إغاثة اللهفان» من هذا المصنف.

فأسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن ينفعني بالقرآن العظيم، وأن يزيد بهذه الصفحات أهل الإيمان إيمانًا.

فمن خلال هذه الصفحات يعرف المسلم قدر نعمة الله عليه، وما مَنَّ به عليه من نعمة العلم والإيمان، ويهتدي بها من أراد الله هدايته من طالبي الحق من هذه الأمة.

---

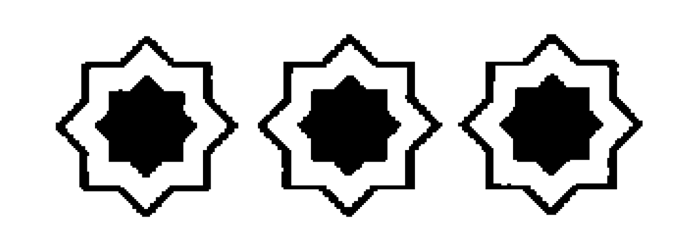
(١) سورة الأعراف: الآية ٢٧.

(٢) سورة الإسراء: ٥٣.

ومن الله تعالى الهداية والرشاد، والتوفيق للصواب، والحمد لله رب العالمين.

اللهم صل وسلم على نبينا محمد كلما ذكره الذاكرون، وصل وسلم عليه كلما غفل عن ذكره الغافلون، وهدانا الله لسنته، وحشرنا في زمرته، تحت لوائه، وأوردنا حوضه الذي لا يظمأ من شرب منه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

أبو مريم/ مجدي فتحي السيد



ترجمة المؤلف العلامة القرافي

(٦٢٦-٦٨٤هـ)

(١) اسمه ونسبه:

هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله، أبو العباس، شهاب الدين، المشهور بالقرافي.

مالكي المذهب، ومن قبيلة صنهاجة بالمغرب.

فقيه أصوليٌّ، مفسرٌ وشارك في علومٍ أخرى.

(٢) مولده ونشأته:

بجوار قبر الإمام الشافعي في محلة صغيرة تسمى «القرافة» كانت ولادة العلامة القرافي، وهو مصري المولد والمنشأ، والوفاة.

وعلى يد كبار علماء الأزهر تعلم، وعرف الكثير من علوم الشرع الإسلامي فقهًا، وعقيدة، وأصولاً، وغير ذلك.

(٣) مؤلفاته العلمية:

له مصنفات كثيرة، بعضها في الفقه، والأصول، وبعضها في عداد المطبوع، والآخر لا يزال مخطوطًا.

١- «أنوار البروق في أنواء الفروق» مطبوع في أربعة أجزاء.

٢- «الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام» مطبوع.

٣- «الذخيرة في الفقه» مخطوط في فقه المالكية في ست مجلداتٍ.

٤- «اليواقيت في أحكام المواقيت» مخطوط، موجود في المغرب، بالرباط تحت رمز ورقم (١٦٠) ك.

٥- «شرح تنقيح الفصول» مطبوع في الأصول.

٦- «مختصر تنقيح الفصول» مطبوع.

٧- «الخصائص» في قواعد اللغة العربية، مخطوط.

٨- «الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة» كتابنا هذا.

٩- «الاحتمالات المرجوحة».

١٠- «الأجوبة عن الأسئلة الواردة على خطب ابن نباتة».

١١- «البيان في تعليق الأيمان».

١٢- «عقد المنظوم في الخصوص والعموم» في الأصول.

١٣- «المنجيات والموبقات» في الأدعية.

١٤- «الاستغناء في أحكام الاستثناء».

١٥- «الأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية».

١٦- «الأمنية في إدراك النية».

(٤) وفـــاته:

في موضعٍ يقال له: دير الطين بالقرب من مصر القديمة، في سنة ٦٨٤هـ كانت وفاة العلامة القرافي، ودفن بالقرافة.

ولمزيد من التفصيل يمكنك الرجوع إلى المراجع والمصادر التالية:

١- الديباج المذهب (ص/٦٢-٦٧) لابن فرحون.

٢- شجرة النور (ص/١٨٨).

٣- الوافي (١١٩/٥) للصفدي.

٤- المنهل الصافي (٢١٥/٢-٢١٧) لابن تغري بردي.

٥- كشف الظنون (١١، ٢١، ٧٧، ١٨٦، ٤٤٩) لحاجي خليفة.

٦- إيضاح المكنون (٧٢/١، ١٢٧، ١٣٥، ١٦١) للبغدادي.

٧- الأعلام للزركلي (٩٥/١).

٨- معجم المؤلفين (١٥٨/١) للكحالة.



توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه

لا شك في صحة نسبة هذا الكتاب إلى العلامة القرافي، فقد عزاه إليه غير واحدٍ، وقد طُبع عدة طبعات.

فقد ذكره البغدادي ضمن مؤلفات القرافي، وذلك في كتابه: «هدية العارفين» (٥/١٠٠).

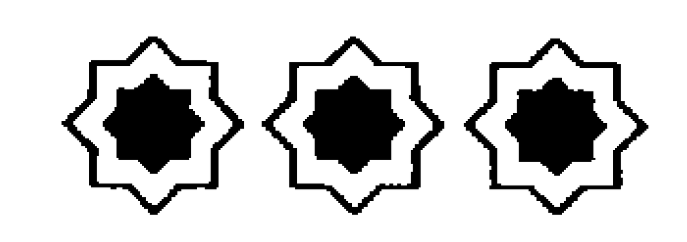
وأثبته العلامة حاجي خليفة في موسوعته «كشف الظنون» (١/١١) وقال:

«الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة» للشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي المالكي المتوفى سنة ٦٨٤ هـ.

كتبها ردًا على اليهود والنصارى، ورُتب على أبوابٍ، والقرافي بفتح القاف نسبة إلى القرافة، مقبرة مصر.

ونسبه له ابن فرحون في الديباج المذهب (ص/٦٤)، وأثبته له العلامة الزركلي في الأعلام (١/٩٥) وذكر أنه مطبوعٌ.

وبذلك نحن على يقينٍ من صحة نسبة هذه الصفحات إلى العلامة القرافي، والحمد لله أولاً وآخرًا.



بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

الحمد لله العظيم من غير عدد، الباقي من غير مدد، الكبير من غير جسد، المنزه عن الصاحبة والولد، المتعالي في ذاته وصفاته عما يقوله من عَنَد وجحد، الواحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد، و لم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يسعد قائلها إلى الأبد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بالتفضيل على جميع الملائكة والبشر انفرد، صلى عليه وعلى آله وصحبه الذين أعز الله بهم التوحيد وشيد، ووفقهم لنفائس العلوم الربانية وأيد، شهادة أنجو بها في الدارين وأسعد.

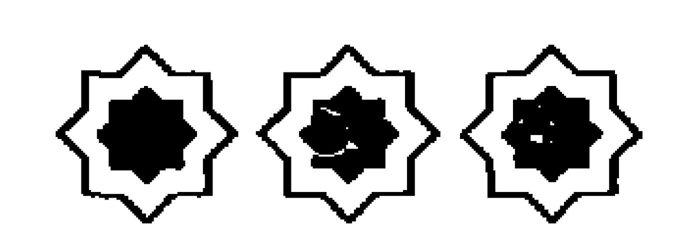
أما بعد، فإن بعض النصارى قد أنشأ رسالة على لسان النصارى مشيراً أن غيره هو القائل، وأنه هو السائل. مشتملة على الاحتجاج بالقرآن الكريم على صحة مذهب النصرانية، فوجدته قد التبس عليه المنقول، وأظلمت لديه قضايا العقول، فإن كتابنا العزيز وكتبهم دالة على صحة مذهبنا وإبطال مذهبهم، وأنا أبين ذلك إن شاء الله تعالى في أربعة أبواب:

الباب الأول: في بيان ما التبس عليه من القرآن الكريم متتبعاً فيه رسالته حرفاً حرفاً إلى آخرها.

الباب الثاني: في أسئلة لأهل الكتاب النصارى واليهود عادتهم يتولعون بإيرادها غير أسئلة الرسالة المذكورة، والجواب عنها ليكون الواقف على هذا الكتاب قد أحاط بجميع ما يسأل عنه أهل الكتاب وأجوبته الحقيقية اليقينية.

الباب الثالث: في معارضة أسئلتهم بمائة سؤال أوردتها على الفريقين يتعذر عليهم الجواب عنها.

الباب الرابع: في إبداء ما في كتبهم مما يدل على صحة ديننا، وإثبات نبوة نبينا ﷺ، ليكون استدلالهم البطال معارضاً باستدلالنا الصحيح على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى، فتكمل الأجوبة بالمعارضة بالأسئلة والنصوص المستخرجة من كتبهم وسميت الكتاب:



مستعيناً بالله تعالى في الأمر كله، وهو حسبي ونعم الوكيل.

❁ ❁ ❁

الباب الأول

في الجواب عن الرسالة على وجه الاختصار، دون الإكثار في الانتصار، فإن النصارى أمة عمياء وطائفة جهلاء، قد غلب عليهم التقليد، وتجنبوا محجة النظر السديد حتى لا يبحثوا عن صحة ما يلقيه إليهم أساقفتهم، ولا يتأملون ما يعتمده في دينهم أكابرهم وطغاهم، ولولا ذلك لم يبق لدين النصرانية وجود لظهور فساده، وناهيك من قوم يعتقدون أن إلههم خلق أمه، وأن أمه قد ولدت خالقها، من تلك الغفلات ما قد حكى المسيحي في تاريخه وغيره، أن أكابرهم اجتمعوا على تعيين ما يعتقدونه في دينهم عشر مرات بالقسطنطينية[1]، والإسكندرية، ومتى اجتمعوا على أن هذا المعتقد هو الحق أنكروه بعد مدة، وكفّروا من يعتقده، وأثبتوا غيره، فهم حينئذ متبعون لوساوس أساقفتهم، لا لرسالات ربهم، ومنها أنهم في بلاد الروم بأسرها كبرشلونة، وبركونة، ومرسيلية وفرنسا، وسائر مدن الفرنج لهم ثلاثة أيام في السنة معلومة يقول فيها الأساقفة للعامة: سرقت اليهود دينكم، واليهود ساكنون معهم في البلاد، فتنطلق العامة وأهل البلد بجملتهم يطلبون اليهود، فمن وجدوه قتلوه، وأي دار قدروا عليها نهبوها، واليهود تعلم تلك الأيام فتتحصن، وتستعد لها، فإذا فرغت تلك الأيام خرج الأسقف الكبير إلى ظاهر المدينة، فدخل إلى سرداب هناك فقعد ساعة، ثم خرج بحق عظيم محاط بالحلي والطيب، يزعم أن الدين فيه، ويقول لهم: قد وجدت دينكم فيتركون اليهود، ويعاشرونهم بالمعروف إلى تلك الأيام بعينها عاد الحال بحاله، وهذا مما أطبق عليه الفرنج لا ينكرونه أبدًا، ومما أطبق عليه النصارى في أحكامهم في كرسي مملكتهم بعكا، أن أحدهم إذا ادعى على آخر قتلاً حلقوا رأس الاثنين، ودفعوا لكل واحد منهما باسليقًا، وقرنًا محدد الطرف وخرجا مع نائب ولي الأمر إلى باب تورا، يجتهد كل واحد منهما أن يضرب صاحبه بالباسليق في قرعته فمن ظفر بصاحبه فصرعه برك على صدره

---

(١) قال الملك قسطنطين: أنتم اليوم علماء النصرانية، وأكابر النصارى فاتفقوا على أمرٍ تجتمع عليه كلمة النصرانية، ومن خالفها لعنتموه، وحرمتموه.. وكان ذلك في مدينة نيقية، سنة خمس عشرة من ملك قسطنطين. انظر: إغاثة اللهفان (٦٢٦/٢).

وغرس ذلك القرن في عينه، ثم يأخذهما ولي الأمر، ويعتقدون أن المغلوب أبدًا هو المبطل الظالم، وأن الغالب هو الصادق، فيأخذ الراهب ذلك المغلوب ويقرره بذنوبه، ويقول له: أي شيء أقررت به من ذنوبك غفر لك وأي شيء أخفيته عاقبك السيد المسيح عليه، فيجتهد ذلك الرجل بقلة عقله أن يبدي له جميع عوراته وزلاته، ثم يؤمر به ويقتل، فانظر هذه الأحكام هل تتصور أن تجري بين قوم لهم من العقل شيء، ويستمر ذلك مع الأيام ولا يخطر ببالهم أن المظلوم قد تضعف قوته عند ملاقاة الظالم، فتجتمع عليه ظلامات وغبائن، ثم إن هذه الأحكام لا يجدونها في الإنجيل، ولا في التوراة، بل هم على قاعدتهم في اختراع دينهم برأيهم كما حكاه المسيحي وغيره من المؤرخين.

ومما أطبق عليه النصارى الأسقف إذا لم يوافقه شخص على هواه حرَّم عليه (ومعنى حرم عليه) أن الرب تعالى غضب عليه، وأن الخلائق يمتنع عليهم بعد ذلك معاشرته ومؤالفته، بل يتعين عليهم هجرانه وتركه. ويخطر لهم أن تلك الحالة إذا دامت عليه تنتزع منه البركة، وتموت دوابه، ويهلك رزقه، وإن مات فيها ذهب إلى السخط الدائم والعذاب المقيم، ويتخيلون أن الأساقفة قد صاروا في الأرض يتصرفون في العباد تصرف رب الأرباب، وأن بيدهم السعادة والشقاء، مع أنهم أقل من قليل وأحقر من ذليل، يبيت الواحد من الأساقفة وعذرته على فخذيه طول عمره يأكل الرشا في الأحكام، ويتغذى بالحرام، وهو في الجهالة أشد من الأنعام، لا يفرق بين كوعه وبوعه، ولا بين هره وبره، ألكن اللسان، وأغلف القلب، سيىء السمع، مشكل الرأي، بمعزل عن الاشتغال بالفضائل، ناءٍ عن رياضات العلوم، فهم وأتباعهم لا يزالون في هذه الغفلة، مستمرين على هذه النوبة، حتى يأتي أحدهم الموت، فيستيقظ فيجد نفسه لا مع بني آدم في اتباع الحق، ولا مع البهائم في الراحة من التكليف، فيعض كفيه ندمًا، وتذوب نفسه أسفًا، نسأل الله العفو والعافية، في الدنيا والآخرة[1].

ولما علم حذاقهم[2] أن دينهم ليس له قاعدة تبنى عليه، ولا أصل يرجع إليه، جمعوا عقول العامة، بتخييلات موهمة، وأباطيل مزخرفة، وضعوها في الكنائس والمزارات، فمن

---

(١) ومن هنا يتبين لنا خطأ فكرة: «صكوك الغفران».

(٢) الحذاق: الأذكياء.

ذلك أن وضعوا صورًا من الحجارة إذا قرئ عليها الإنجيل تبكي وتجري دموعها يشاهدها الخاص والعام، فيعتقدون أن ذلك لما علمته من أمر الإنجيل، ويكون لها مجارٍ رقاق في أجوافها من ورائها متصلة بزق مملوءٍ من الماء يعصره بعض الشمامسة، فيفر الماء في المجاري، ويتصل بعيون الأصنام، وكذلك يصنعون أصنامًا يخرج اللبن من ثديها عند قراءة الإنجيل، وذلك بصقلية وغيرها، ومن ذلك الأصنام من حديد، وقناديل وصلبان عظام معلقة بين السماء والأرض لا يمس شيء منها، ولا يمسها شيء ويقولون: إن ذلك سبب بركة ذلك المكان، وأنه برهان على عظمة الدين فإن ذلك لم يوجد لغيرهم من الملل، ويكون سبب ذلك حجارة من مغناطيس عملت في ست جهات فوق الصنم، وتحته ويمينه ويساره، وخلفه وأمامه، فيجذبه كل حجر إلى جهته، وليس البعض أولى من البعض، فيقع التمانع، فيقف الحديد في الوسط، ولذلك لما دخل إليه بعض رسل المسلمين أمر بهدم ما حوله من البناء فسقط، وذلك بقسطنطينية كرسي مملكتهم ومجتمع عظمائهم وعقلائهم، وهذا حالهم. ومن ذلك النور الذي ينزل بالقمامة في البيت المقدس على قنديل معلق هناك، فيشرق من غير اتصال نار به رأي العين، فيوهمون العامة أن الأنوار تنزل على ذلك الموضع من قبل الله تعالى، لأنه موضع قبر المسيح عندهم الذي دفن فيه وصعد منه، وهو شيء مشاهد بالحس وأصله أن النفط إذا دبر على كيفية مخصوصة ومسح به شريط رقيق في غاية الرقة من الحديد، ومد ذلك الشريط وعمل في آخره فتيلة، فإن النار إذا مس بها أول ذلك الشريط فإنها تجري مع ذلك الشريط بسبب النفط الملاصق له إلى أن ينتهي إلى آخره، فتشتعل في ذلك الجسم الذي للفتيلة من القطن، أو غيره. ولذلك يراهن النفطيون على أنهم يقعدون في صدر بيت ويشعلون سراجاً في طاق في الجهة الأخرى من غير مباشرة، فإذا راهنه أحد مد شريطاً مع طول الحائط بدائر البيت متصلاً بذلك السراج، ويمسه بالنار فتسري النار إلى السراج، ولا يشعر الناس الجالسون من أين اتقد السراج، وكذلك النصارى اتخذوا شريطاً رقيقاً لهذا القنديل يشعلونه من أعلى القبة التي في المكان، فيشتعل القنديل من غير نار مشاهدة، وقد اطلع على ذلك جماعة منهم الملك المعظم أخو الملك الكامل، وأراد المنع منه، فقالوا له: إنك يحصل لك بهذا جملة من المال، فإن بطلت بطلت، فتركهم على حالهم، وكذلك الأمراء المتولون لتلك الجهة يطلعون على ذلك ويخبرون به، وهذه الكيفية مذكورة في كتب النفط والرماية رأيتها أنا مع معزيات صناعات هذا الشان

(ومن ذلك) أن لهم كنيسة كانوا يزعمون أن يد الله تعالى تظهر من الهيكل بها يوماً معلوماً من السنة يصافحه الناس، فدخل إليها بعض ملوكهم فصافح اليد وأمسكها مسكاً شديداً، وقال: والله لا تركت هذه اليد حتى أرى وجه صاحبها، فقال له الأساقفة: أما تخشى الرب أخرجت من دين النصرانية فأبى أن يتركها بكثرة تهويلهم حتى يرى صاحب اليد، فلما أعياهم أمره، أخبروه أنها يد راهب منهم فقتله ومنعهم من العود لذلك، فلم يعودوا. وبالجملة، الإسهاب في هذا الباب يضيع الزمان لكثرته، وإنما أردت التنبيه على أنهم يمشون على ما هم عليه من الضلال بنوع من الشعبذة، وأصناف من الخيال لما عدموا الحق الذي يصدع القلوب وتقبله العقول، وأنا أنبهك على أن القوم ليس لهم حظ من النظر القويم، ولا العقل المستقيم، بل وجدوا آباءهم على الضلال، فهم على آثارهم يهرعون، قد غمرهم الجهل وعمهم العمى، فلذلك لم نبط العزيمة إلى بسط القول في الحديث معهم، فإن مخاطبة البهائم من السفه، بل اقتصرت على بيان غلط القائل بهذه الرسالة ومعارضتها بالأسئلة والنصوص من كتبهم، لعل الله تعالى يجعل ذلك تنبيهاً لبعض الغافلين، فيستيقظ لرؤية هذه المساوي القبيحة. وأما سلوك طريق الأنظار العقلية، وبيان المدارك القطعية، فليس القوم أهلاً لذلك، ولقد اجتمع بي بعض أعيانهم المبرز في حلبة سباقهم ليتحدث في أمر دين النصرانية، فقلت بحضرة جماعة من العدول أنا لا أكلف النصارى إقامة دليل على صحة دينهم، بل أطالبهم كلهم بأن يصوروا دينهم تصويراً يقبله العقل، فإذا صوروه اكتفيت منهم بذلك من غير مطالبتهم بدليل على صحته، فحاول هو في نفسه تصوير دينهم فعجز عنه، فلما عجز عنه قال: ما كلفنا بالتصوير، بل كلفنا السيد المسيح بالاعتقاد، فلا نلتزم ما لا يلزمنا، وما ليس من ديننا. فجنح إلى ما قدمته لك من السكون إلى التقليد، وعدم النظر فيما يصح ويفسد، فقلت له: الاعتقاد لابد فيه من أن يثبت شيئاً لشيء، أو ينفيه عنه، فهو مركب من تصويرين: تصور المحكوم عليه، وتصور المحكوم به وأنتم على ما قلت مكلفون بالاعتقاد، ومن كلف بمركب كلف بمفرداته، فمتى كلفت بالاعتقاد كلفت بالتصوير فأنتم حينئذ مكلفون بالتصوير، فصور لي دينك فانقطع، ورأى أنه قد أصيب من مأمنه، ولزمه

السؤال من قوله، فقال:

أمهلني ثلاثة أيام حتى اجتمع بابن العسال، وهو كان مشهوراً عندهم بالفضيلة على زعمهم، فلم أره بعد ذلك فانظر إلى قوم عاجزين عن تصوير دينهم فضلاً عن إقامة الدليل

عليه، فكيف يليق بالعاقل أن يؤهلهم للحديث معهم، فلذلك سلكت مسلك الاقتصاد في بيان هذه الكلمات: فمنها: أنه قال: إن محمداً ﷺ لم يبعث إلينا، فلا يجب علينا اتباعه، وإنما قلنا: إنه لم يرسل إلينا لقوله تعالى في الكتاب العزيز: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ الآية[١]، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ الآية[٢]، ولقوله تعالى: ﴿ بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ الآية[٣]، ولقوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ الآية[٤]، ولقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الآية[٥]، ولا يلزمنا إلا من جاءنا بلساننا، وأتانا بالتوراة والإنجيل بلغتنا:

فالجواب: من وجوه:

أحدها: أن الحكمة في أن الله تعالى إنما يبعث رسله بألسنة قومهم، ليكون ذلك أبلغ في الفهم عنه ومنه، وهو أيضاً يكون أقرب لفهمه عنهم جميع مقاصدهم في الموافقة والمخالفة وإزاحة الأعذار، والعلل والأجوبة عن الشبهات المعارضة، وإيضاح البراهين القاطعة، فإن مقصود الرسالة في أول وهلة إنما هو البيان والإرشاد، وهو مع اتحاد اللغة أقرب وإن أمر جماعة من الرسل عليهم السلام بعد اليأس من النفع بالبيان، فإذا تقررت نبوة النبي في قومه قامت الحجة على غيرهم، فإن أقارب الإنسان ومخالطيه المطلعين على حاله والعارفين بوجوه الطعن عليه أكثر من غيرهم إذا سلموا ووافقوا، فغيرهم أولى أن يسلم ويوافق، فهذه هي الحكمة في إرسال الرسول بلسان قومه ومن قومه لا أن المقصود لا يتعدى برسالته لغير قومه.

وفرق: بين قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [٦] وبين قوله، وما أرسلنا من رسول إلا لقومه فالقول الثاني هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم لا الأول، بل لا فرق بين قوله، وما أرسلنا من رسول إلا لقومه، وبين قوله: وما أرسلنا من رسول إلا مكلفاً بهداية قومه، فكما أن الثاني لا إشعار له بأنه لم يكلف بهداية

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٣) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٤) سورة القصص: الآية ٤٦.

(٥) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٦) سورة إبراهيم: الآية ٤.

غيرهم، فكذلك الأول، فمن لم يكن له معرفة بدلالة الألفاظ، ومواقع المخاطبات سوّى بين المختلفات، وفرق بين المؤتلفات.

وثانيها: أن التوراة نزلت باللسان العبراني والإنجيل بالرومي، فلو صح ما قاله لكانت النصارى كلهم مخطئين في اتباع أحكام التوراة، فإن جميع فرقهم لا يعلمون هذا اللسان إلا كما يعلم الروم اللسان العربي بطريق التعليم، وأن تكون القبط كلهم والحبشة مخطئون في اتباعهم التوراة والإنجيل، لأن الفريقين غير العبراني والرومي، ولو لم ينقل هذان الكتابان بلسان القبط، وترجما كما ترجما بالعربي لم يفهم قبطي، ولا حبشي، ولا رومي شيئاً من التوراة، ولا قبطي ولا حبشي شيئاً من الإنجيل إلا أن يتعلموا ذلك اللسان، كما يتعلمون العربي.

وثالثها: أنه إذا سلم أنه عليه السلام رسول لقومه، ورسل الله تعالى خاصة خلقه وخيرة عباده معصومون عن الزلل، مبَّرءون من الخطل، وهو عليه السلام قد قاتل اليهود، وبعث إلى الروم ينذرهم وكتابه عليه السلام محفوظ عندهم إلى اليوم في بلاد الروم عند ملكهم يفتخرون به، وكتب إلى المقوقس بمصر لإنذار القبط ولكسرى بفارس، وهو الصادق البر كما سلم أنه رسول لقومه، فيكون رسولاً للجميع، ولأن في جملة ما نزل عليه ﷺ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ (١) ، فصرح بالتفهيم، واندفعت شبهة من يدعي التخصيص، فإن كانت النصارى لا يعتقدون أصل الرسالة، لا لقومه، ولا لغيره، فيقولون: أوضحوا لنا صدق دعواكم، ولا يقولون كتابكم يقتضي تخصص الرسالة، وإن كانوا يعتقدون أصل الرسالة لكنها مخصوصة لزمهم التعميم لما تقدم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ (٢) ، لا يقتضي أنه لم يبعثه لغيرهم، فإن الملك العظيم إذا قال: بعثت إلى مصر رسولاً من أهلها لا يدل ذلك على أنه ليس على يده رسالة أخرى لغيرهم، ولا أنه لا يأمر قوماً آخرين بغير تلك الرسالة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ (٣) ، ليس فيه أنه لا ينذر غيرهم، بل لما كان الذي يتلقى الوحي أولاهم العرب كان التنبيه عليه بالمنة عليهم بالهداية أولى من

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(٢) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٣) سورة يس: الآية ٣.

غيرهم، وإذا قال السيد لعبده: بعثتك لتشتري ثوباً لا ينافي أنه أمره بشراء الطعام، بل تخصيص الثوب بالذكر لمعنى اقتضاه، ويسكت عن الطعام، لأن المقصد الآن لا يتعلق به، وما زالت العقلاء في مخاطباتهم يتكلمون فيما يوجد سببه، ويسكتون عما لم يتعين سببه، وإن كان المذكور والمسكوت عنه حقين واقعين، فكذلك الرسالة عامة، ولما كان المقصود إظهار المنة على العرب خصوا بالذكر، ولما كان أيضاً المقصود تنبيه بني إسرائيل، وإرشادهم خصوا بالذكر، وخصصت كل فرقة من اليهود والنصارى بالذكر، ولم يذكر معها غيرها في القرآن في تلك الآيات المتعلقة بهم، وهذا هو شأن الخطاب أبدًا، فلا يغتر جاهل بأن ذكر زيد بالحكم يقتضي نفيه عن عمر،وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [(١)] ، ليس فيه دليل على أنه لا ينذر غيرهم، كما أنه إذا قال القائل لغيره: أدب ولدك لا يدل على أنه أراد أنه لا يؤدب غلامه، بل ذلك يدل على أن مراد المتكلم في هذا المقام تأديب الولد، لأن المقصود مختص به، ولعله إذا فرغ من الوصية على الولد يقول له: وغلامك أيضًا أدبه، وإنما بدأت بالولد لاهتمامي به، ولا يقول عاقل: إن كلامه الثاني مناقض للأول، وكذلك قرابته ﷺ هم أولى الناس ببره ﷺ وإحسانه، وإنقاذه من الهلكات، فخصهم بالذكر كذلك، لأن غيرهم غير مراد كما ذكرنا في صورة الولد والعبد.

وبالجملة: فهذه الألفاظ ألفاظ لغتنا، ونحن أعلم بها وإذا كان ﷺ هو المتكلم بها ولم يفهم تخصيص الرسالة، ولا إرادته، بل أنذر الروم والفرس وسائر الأمم والعرب لم تفهم ذلك وأعداؤه من أهل زمانه لم يدعوا ذلك، ولا فهموه، ولو فهموه لأقاموا به الحجة عليهم، ونحن أيضًا لم نفهم ذلك فما فهمه إلا هذا النصراني الذي ساء سمعًا فساء إجابة، فمن أراد الهدى فطريقه واضحة فليأخذ سبب النجاة قبل الموت، ويستدرك السعادة قبل الفوت، فما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار، وليس عند العاقل أهم من سعادة نفسه، فليحصلها قبل حلول رمسه، والله تعالى هو المعين على الخير كله.

ومنها: أنه قال: إن القرآن الكريم ورد بتعظيم عيسى ﷺ ، وبتعظيم أمه مريم رضي الله عنها، وهذا هو رأينا واعتقادنا فيهما، فالدينان واحد، فلا ينكر المسلمون علينا.

---

(١) سورة الشعراء: ٢١٤.

والجواب من وجوه **أحدها**: تعظيمهما لا نزاع فيه، ولم يكفروا النصارى بالتعظيم، إنما كفروا بنسبة أمور أخرى إليهما لا يليق بجلال الربوبية، ولا بدناءة البشرية من الأبوة والبنوة والحلول، واتخاذ الصاحبة والأولاد تعالى الله عما يقول الكافرون علوًا كبيرًا، فهذه مغالطة في قوله موافق لاعتقادنا، ليس هذا هو الاعتقاد المتنازع فيه، نعم لو ورد القرآن الكريم بهذه الأمور الفاسدة المتقدم ذكرها وحاشاه كان موافقًا لاعتقادهم، فأين أحد البابين من الآخر.

وثانيها: أنه إذا اعترف بأن القرآن الكريم ورد بما يعتقد أنه حق، فهذا دليل على أن القرآن الكريم حق، فإن الباطل لا يؤكد الحق، بل المؤكد للحق حق جزمًا، فيكون القرآن الكريم حقًا قطعًا، وهذا هو سبب إسلام كثير من أحبار اليهود ورهبان النصارى، وهو أنهم اختبروا ما جاء به ﷺ ، فوجدوه موافقًا لما كانوا يعتقدونه من الحق، فجزموا بأنه حق وأسلموا واتبعوه، ومازال العقلاء على ذلك يعتبرون كلام المتكلم، فإن وجدوه على وفق ما يعتقدونه من الحق اتبعوه، وإلا رفضوه.

وثالثها: أن هذا برهان قاطع على رجحان الإسلام على سائر الملل والأديان، فإنه مشتمل على تعظيم جملة الرسل وجميع الكتب المنزلة، فالمسلم على أمان من جميع الأنبياء عليهم السلام على كل تقدير، أما النصراني فليس على أمان من تكذيب محمد ﷺ ، فتعين رجحان الإسلام على غيره، ولو سلمنا تحرير صحة ما يقوله النصراني من النبوة وغيرها بكون المسلم قد اعترف لعيسى عليه السلام ، ولأمه رضي الله عنها بالفضل العظيم والشرف المنيف، وجهل بعض أحوالهما على تقدير تسليم صحة ما ادعاه النصارى والجهل ببعض فضائل من وجب تعظيمه لا يوجب خطرًا أما النصراني، فهو منكر لأصل تعظيم النبي محمد ﷺ ، بل ينسبه للكذب والرذائل والجراءة على سفك الدماء بغير إذن من الله، ولا خفاء في أن هذا خطر عظيم، وكفر كبير فيظهر من هذا القطع بنجاة المسلم قطعًا ويتعين غيره للغرر والخطر، قطعًا فليبادر كل عاقل حينئذ للإسلام، فيدخل الجنة بسلام.

ومنها: أنه قال: إن القرآن الكريم ورد بأن عيسى عليه السلام روح الله تعالى وكلمته، وهو اعتقادنا.

والجواب: من وجوه:

أحدها: أن من المحال أن يكون المراد الروح والكلمة على ما تدعيه النصارى، وكيف يليق بأدنى العقلاء أن يصف عيسى عليه السلام بصفة، وينادي بها على رؤوس الأشهاد، ويطبق بها الآفاق، ثم يكفر من اعتقد تلك الصفة في عيسى عليه السلام ، ويأمر بقتالهم وقتلهم وسفك دمائهم وسبي ذراريهم، وسلب أموالهم، بل هو بالكفر أولى لأنه يعتقد ذلك مضافًا إلى تكفير غيره، والسعي في وجوه ضرره، وقد اتفقت الملل كلها مؤمنها وكافرها على أنه عليه السلام من أكمل الناس في الصفات البشرية خلقًا وخُلقًا وعقلاً ورأيًا، فإنها أمور محسوسة، إنما النزاع في الرسالة الربانية، فكيف يليق به عليه السلام أن يأتي بكلام هذا معناه، ثم يقاتل معتقده ويكفره، وكذلك أصحابه رضي الله عنهم والفضلاء من الخلفاء من بعده، وهذا برهان قاطع على أن المراد على غير ما فهمه هذا القائل وغير ما تعتقده النصارى.

وثانيها: أن الروح اسم الريح الذي بين الخافقين يقال لها: ريح وروح لغتان، وكذلك في الجمع رياح وأرواح، واسم لجبريل عليه السلام وهو المسمى بروح القدس، والروح اسم للنفس المقومة للجسم الحيواني، والكلمة اسم للفظة المفيدة من الأصوات، واسم للخبر من الكلام النفساني، ولذلك يقال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

والعالم مطبق على أن نفس الإنسان تحدثه بالخير والشر، وتطلق الكلمة على الحروف الدالة على اللفظة من الأصوات، ولهذا يقال: هذه الكلمة خط حسن ومكتوبة بالحبر، وإذا كانت الروح والكلمة لهما معان عديدة فعلى أيهما يحمل هذا اللفظ؟ وحمل النصراني اللفظ على معتقده تحكم بمجرد الهوى المحض.

وثالثها: وهو الجواب بحسب الاعتقاد لا بحسب الإلزام أن معنى الروح المذكور في القرآن الكريم في حق عيسى عليه السلام هو الروح الذي بمعنى النفس المقوم لبدن الإنسان، ومعنى نفخ الله تعالى في عيسى عليه السلام من روحه أنه خلق روحًا نفخها فيه، فإن جميع أرواح الناس يصدق أنها روح الله، وروح كل حيوان هي روح الله تعالى، فإن الإضافة في لسان العرب تصدق حقيقة بأدنى الملابسة كقول أحد حاملي الخشبة للآخر: شلّ طرفك يريد طرف الخشبة، فجعله طرفًا للحامل، ويقول: طلع كوكب زيد إذا كان نجم عند طلوعه يسري بالليل، ونسبة الكوكب إليه نسبة المقارنة فقط، فكيف لا

يضاف كل روح إلى الله تعالى، وهو خالقها ومدبرها في جميع أحوالها، وكذلك يقول بعض الفضلاء لما سئل عن هذه الآية فقال: نفخ الله تعالى في عيسى عليه السلام روحًا من أرواحه، أي جميع أرواح الحيوان أرواحه، وأما تخصيص عيسى عليه السلام بالذكر فللتنبيه على شرف عيسى عليه السلام ، وعلو منزلته بذكر الإضافة إليه، يقال: كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [(١)]، ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [(٢)]، مع أن الجميع عبيده، وإنما التخصيص لبيان منزلة المخصص، وأما الكلمة فمعناها أن الله تعالى إذا أراد شيئًا يقول له: كن فيكون، فما من موجود إلا وهو منسوب إلى كلمة كن، فلما أوجد الله تعالى عيسى عليه السلام قال له: كن في بطن أمك فكان، وتخصيصه بذلك للشرف كما تقدم، فهذا معنى معقول متصور ليس فيه شيء كما يعتقده النصارى من أن صفة من صفات الله حلت في ناسوت المسيح عليه السلام ، وكيف يمكن في العقل أن تفارق الصفة الموصوف، بل الذي يمكن أن يوجد في الغير مثل الصفة، وأما أنها هي في نفسها تتحرك من محل إلى محل فمحال، لأن الحركات من صفات الأجسام، والصفة ليست جسمًا، فإن كانت النصارى تعتقد أن الأجسام صفات، والصفات أجسام، وأن أحكام المختلفات وإن تباينت شيء واحد سقطت مكالمتهم، وذلك هو الظن بهم، بل يقطع بأنه أبعد من ذلك من موارد العقل ومدارك النظر، وبالجملة فهذه كلمات عربية في كتاب عربي، فمن كان يعرف لسان العرب حق معرفته في إضافاته وتعريفاته وتخصيصاته، وتعميماته، وإطلاقاته وتقييداته، وسائر أنواع استعمالاته فليتحدث فيه ويستدل له ومن ليس كذلك فليقلد أهله العلماء به، ويترك الخوض فيما لا يعنيه ولا يعرفه.

ومنها: أنه قال في الكتاب العزيز إنه: ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [(٣)].

والجواب: أن الذين اتبعوه ليسوا النصارى الذين اعتقدوا أنه ابن الله، وسلكوا مسلك هؤلاء الدبراء فإن اتباع الإنسان موافقته فيما جاء به وكون هؤلاء المتأخرين

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤١.

(٢) سورة الحجر: الآية ٤٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

اتبعوه محل النزاع، بل متبعوه هم الحواريون، ومن تابعهم قبل ظهور القول بالتثليث، وأولئك هم الذين رفعهم الله في الدنيا والآخرة، ونحن منهم وهم منا، ونحن إنما نطالب هؤلاء بالرجوع إلى ما كان أولئك عليه فإنهم قدس الله أرواحهم آمنوا بعيسى وبجملة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، وكان عيسى عليه السلام بشرهم بمحمد ﷺ كما تقف على نصوصه في آخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، فكانوا ينتظرون ظهوره ليؤمنوا به عليه السلام، وكذلك لما ظهر عليه السلام جاءه أربعون راهبًا من نجران فتأملوه فوجدوه هو الموعود به فآمنوا به في ساعة واحدة بمجرد النظر والتأمل لعلامته، فهؤلاء هم الذين اتبعوه وهم المرفوعون المعظمون، وأما هؤلاء النصارى هم الذين كفروا به مع من كفر، وجعلوه سببًا لانتهاك حرمة الربوبية بنسبة واجب الوجود المقدس عن صفاته البشر إلى الصاحبة والولد الذي ينفر منها أقل رهبانهم حتى إنه قد ورد أن الله تعالى إذا قال لعيسى عليه السلام يوم القيامة: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [1]، يسكت أربعين سنة خجلاً من الله تعالى حيث جعل سببًا للكفر به، وانتهاك حرمة جلاله، فخواص الله تعالى يألمون ويخجلون من اطلاعهم على انتهاك الحرمة، وإن لم يكن لهم فيها مدخل ولا لهم فيها تعلق، فكيف إذا كان لهم فيها تعلق من حيث الجملة، ومن عاشر أماثل الناس ورؤسائهم، وله عقل قويم وطبع مستقيم غير طبع النصارى أدرك هذا، فما آذى أحد عيسى عليه السلام ما آذته هؤلاء النصارى، نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه.

ومنها: أنه قال: إن القرآن الكريم شهد بتقديم بيع النصارى وكنايسهم على مساجد المسلمين بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [2]، فقد جعل الصوامع والبيع مقدمات على المساجد، وجعل فيها ذكر الله كثيرًا، وذلك يدل على أن النصارى في زعمهم على الحق، فلا ينبغي لهم العدول عما هم عليه، لأن العدول عن الحق إنما يكون للباطل.

والجواب: من وجوه:

(١) سورة المائدة: الآية ١١٦.

(٢) سورة الحج: الآية ٤٠.

أحدها: أن المراد بهذه الآية أن الله تعالى يدفع المكاره عن الأشرار بوجود الأخيار، فيكون وجود الأخيار سببًا لسلامة الأشرار من الفتن والمحن، فزمان موسى عليه السلام يسلم فيه أهل الأرض من بلاءٍ يعمهم بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة الموسوية، وزمان عيسى عليه السلام يسلم فيه أهل الأرض بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة العيسوية، وزمان محمد ﷺ يسلم فيه أهل الأرض بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة المحمدية، وكذلك سائر الأزمان الكائنة بعد الأنبياء عليهم السلام كل من كان مستقيمًا على الشريعة الماضية هو سبب لسلامة البقية، فلولا أهل الاستقامة في زمن موسى عليه السلام لم يبق صوامع يعبد الله تعالى فيها على الدين الصحيح لعموم الهلاك، فينقطع الخير بالكلية، وكذلك في سائر الأزمان، فلولا أهل الخير في زماننا لم يبق مسجد يعبد الله فيه على الدين الصحيح، ولغضب الله تعالى على أهل الأرض.

والصوامع أمكنة الرهبان في زمن الاستقامة حيث يعبد الله تعالى فيها على دين صحيح، وكذلك البيعة والصلاة والمسجد، وليس المراد هذه المواطن إذا كفر بالله تعالى فيها وبدلت شرائعه، وكانت محل العصيان والطغيان لا محل التوحيد والإيمان، وهذه المواطن في أزمنة الاستقامة لا نزاع فيها، إنما النزاع لما تغيرت أحوالها، وذهب التوحيد وجاء التثليث وكذبت الرسل والأنبياء عليهم السلام، وصار ذلك يتلى في الصباح والمساء، فحينئذ هي أقبح بقعة على وجه الأرض وألعن مكان يوجد، فلا تجعل هذه الآية دليلاً على تفضيلها.

وثانيها: أن الله تعالى قال: صوامع وبيع وصلوات بالتنكير، والجمع المنكر لا يدل عند العرب على أكثر من ثلاثة من ذلك المجموع بالاتفاق، ونحن نقول: إنه قد وقع في الدنيا ثلاث من البيع، وثلاث من الصوامع كانت أفضل مواضع العبادات بالنسبة إلى ثلاثة مساجد، وذلك أن البيع التي كان عيسى عليه السلام وخواصه من الحواريين يعبدون الله تعالى فيها هي أفضل من جميع المساجد، ثلاثة أو أربعة لم يصل فيها إلا السفلة من المسلمين، وهذا لا نزاع فيه إنما النزاع في البيع والصوامع على العموم واللفظ لا يقتضيه، لأنه جمع منكر، وإنما يقتضيه أن لو كان معرفًا كقولنا: البيع باللام.

وثالثها: أن هذه الآية تقتضي أن المساجد أفضل بيت عند الله تعالى على عكس ما

قاله هذا الجاهل بلغة العرب، وتقريره أن الصنف القليل المنزلة عند الله تعالى أقرب للهلاك من العظيم المنزلة، والقاعدة العربية أن الترقي في الخطاب إلى الأعلى فالأعلى أبدًا في المدح والذم والتفخيم، والامتنان فيقول في المدح الشجاع البطل، ولا يقول البطل الشجاع لأنك تعد راجعًا عن الأول، وفي الذم العاصي الفاسق، ولا يقول الفاسق العاصي، وفي التفخيم فلان يغلب المائة والألف، ولا يقول: يغلب الألف والمائة، وفي الامتنان لا أبخل عليك بالدرهم، ولا بالدينار، ولا يقول بالدينار والدرهم والسر في الجميع أنك تعد راجعًا عن الأول كقهقرتك عما كنت فيه إلى ما هو أدنى منه إذا تقرر ذلك ظهرت فضيلة المساجد ومزيد شرفها على غيرها، وإن هدمها أعظم من تجاوز ما يقتضي هدم غيرها، كما نقول: لولا السلطان لهلك الصبيان والرجال والأمراء فترتقي أبدًا للأعلى فالأعلى لتفخيم أمر عزم السلطان، وإن وجوده سبب عصمة هذه الطوائف، أما لو قلت: لولا السلطان لهلك الأبطال والصبيان لعد كلامًا متهافتًا.

ورابعها: أن الآية تدل على أن المساجد أفضل بيت وضع على وجه الأرض للعابدين من وجه آخر، وذلك أن القاعدة العربية أن الضمائر إنما يحكم بعودها على أقرب مذكور، فإذا قلت: جاء زيد، وخالد، وأكرمته فالإكرام خاص بخالد، لأنه الأقرب فقوله تعالى: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [١]، يختص بالأخير الذي هو المساجد، فقد اختصت بكثرة ذكر الله تعالى، وهو يقتضي أن غيرها لم يساوها في كثرة الذكر، فتكون أفضل وهو المطلوب.

فائدة: الصومعة موضع الرهبان، وسميت بذلك لحدة أعلاها ودقته، ومنه قول العرب: أصمعت الثريدة إذا رفعت أعلاها، ومنه قولهم: رجل أصمع القلب، إذا كان حاد الفطنة.

والصلاة: اسم لمتعبد اليهود، وأصلها بالعبراني صلوتًا فعربت، والبيعُ اسم لمتعبد النصارى، اسم مرتَجَل غير مشتق، والمسجد اسم لمكان السجود فإن مفعلاً في لسان العرب: اسم للمكان، واسم للزمان الذي يقع فيه الفعل نحو: المضرب لمكان الضرب ورماته.

---

(١) سورة الحج: الآية ٤٠.

ومنها: أنه قال القرآن دل على تعظيم الحواريين، والإنجيل وأنه غير مبدل بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [١]، وإذا قصدها لا تكون مبدلة، ولا يطرأ التغيير عليها بعد ذلك لشهرتها في الأعصار والأمصار، فيتعذر تغييرها، ولقوله تعالى في القرآن: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [٢]، والكتاب هو الإنجيل لقوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [٣]، والكتاب ههنا هو الإنجيل، ولأنه تعالى لو أراد القرآن لم يقل ذلك، بل قال هذا، ولقوله تعالى: ﴿ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ﴾ [٤].

والجواب: أن تعظيم الحواريين لا نزاع فيه، وأهم من خواص عباد الله الذين اتبعوا عيسى عليه السلام، ولم يبدلوا، وكانوا معتقدين لظهور نبينا محمد ﷺ في آخر الزمان على ما دلت عليه كتبهم على ما أذكره في الباب الرابع إن شاء الله تعالى: وإنما كفر وخالف الحادثون بعدهم: وأما تصديق القرآن لما بين يديه فمعناه: أن الكتب المتقدمة عند نزولها قبل تغييرها وتخبيطها كانت حقًا موافقة القرآن، والقرآن موافق لها، وليس المراد الكتب الموجودة اليوم فإن لفظ التوراة والإنجيل إنما ينصرفان إلى المنزلين وسأبين أن الموجود الآن غيرهما في كثير من المعاني والوجوه: وأما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾ [٥]، وأنه المراد به الإنجيل: فمن الافتراء العجيب والتخيل الغريب، بل أجمع المسلمون قاطبة على أن المراد به القرآن ليس إلا وإذا أخبر الناطق بهذا اللفظ، وهو رسول الله ﷺ أن المراد هذا الكتاب كيف يليق أن يحمل على غيره، فإن كل أحد مصدق فيما يدعيه في قول نفسه إنما ينازع في تفسير قول غيره إن أمكنت من منازعته وأما الإشارة بذلك التي اغتر بها هذا السائل فاعلم أن للإشارة ثلاثة أحوال: ذا للقريب، وذاك للمتوسط، وذلك للبعيد، لكن البعد والقرب يكون تارة بالزمان، وتارة بالمكان، وتارة

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١، ٢.

(٣) سورة فاطر: الآية ٤.

(٤) سورة الشورى: الآية ١٥.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢.

بالشرف، وتارة بالاستحالة، ولذلك قالت زليخا في حق يوسف عليه السلام بالحضرة: وقد قطعن أيديهن من الدهش بحسنه، ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢]، إشارة لبعده عليه السلام في شرف الحسن، وكذلك القرآن الكريم لما عظمت رتبته في الشرف أشير عليه بذلك، وقد أشير إليه بذلك لبعد مكانه، لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، وقيل لبعد زمانه لأنه وعد به في الكتب المنزلة قديمًا، وقيل: لما كان أصواتًا، والصوت يستحيل بقاؤه، فصار بسبب هذه الاستحالة في غاية البعد، لأن المستحيل أبلغ من البعيد: وأما قوله تعالى: ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ (١).

فاعلم: أن اللام في لسان العرب تكون لاستغراق الجنس نحو حرم الله الخنزير والظلم، وللعهد نحو قولك لمن رآك أهنت رجلاً أكرمت الرجل بعد إهانته، ولها محامل كثيرة ليس هذا موضعها فتحمل في كل مكان على ما يليق بها، فهي في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾ (٢)، للعهد، لأنه موعود به مذكور على ألسنة الأنبياء عليهم السلام، فصار معلومًا فأشير إليه بلام العهد وهي في قوله تعالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ﴾ (٣)، للجنس إشارة إلى جميع الكتب المنزلة المتقدمة، فليس ههنا المتقدمة، ولا يمكن أن يفهم القرآن الكريم إلا من فهم لسان العرب فهما متقنًا. وقوله تعالى لنبيه عليه السلام، فهو أمر له بأن يقول: ﴿ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ﴾ (٤)، فالمراد الكتب المنزلة لا المبدلة، وهذا لا يمتري فيه عاقل، ونحن ننازعهم فيما بأيديهم منزلة، بل هي مبدلة مغيرة في غاية الوهن والضعف، وسقم الحفظ، والرواية والسند بحيث لا يوثق بشيء منها، وبيانه أن الأناجيل خمسة يعرف النصارى منها أربعة مشهورة، والخامس لا يعرفه إلا القليل منهم.

فالأربعة: الأول: إنجيل متى، وهو من الحواريين الاثني عشر، وبشر بإنجيله باللغة السريانية بأرض فلسطين بعد صعود المسيح عليه السلام إلى السماء بثماني سنين، وعدة إصحاحاته ثمانية وستون إصحاحًا.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢.

(٣) سورة فاطر: الآية ٢٥.

(٤) سورة الشورى: الآية ١٥.

و[**الثاني**]: إنجيل مرقس، وهو من السبعين وبشر بإنجيله باللغة الفرنجية بمدينة رومية بعد صعود المسيح ﷺ باثنتي عشرة سنة، وعدة إصحاحاته ثمانية وأربعون إصحاحًا.

و[**الثالث**]: إنجيل لوقا وهو من السبعين، وبشر بإنجيله بالأسكندرية باللغة اليونانية، وعدة إصحاحاته ثلاثة وثمانون إصحاحًا.

و[**الرابع**]: إنجيل يوحنا، وهو من الاثني عشر بشر بإنجيله في مدينة أفسس من بلاد رومية بعد صعود المسيح ﷺ بثلاثين سنة، وعدة إصحاحاته في النسخ القبطية ثلاثة وثلاثون إصحاحًا.

و[**الخامس**]: يسمى إنجيل **الصبوة** ذكر فيه الأشياء التي صدرت من المسيح في حال طفولته ينسب لبطرس عن مريم عليها السلام، وفيه زيادة ونقصان، وقد ترك فيه كثيرًا من أعلام المسيح ﷺ ومشاهير معجزاته، ويذكر فيه قدوم المسيح ﷺ ، وأمه رضي الله عنها، ويوسف النجار إلى صعيد مصر، ثم عودته إلى ناصرة قرية عند المقدس، وإليها ينسب النصارى، وفي هذه الأناجيل الأربعة من التناقض والتعارض والتكاذب ومصادمة بعضها لبعض أمر عظيم حتى إن من وقف عليها يشهد بصريح عقله أنها ليست الإنجيل المنزل من عند الله تعالى، وأن أكثره من أقوال الرواة وأقاصيصهم، وإن نقلته أفسدوه بما ألحقوا فيه من حكايات وأمور غير مسموعة من المسيح ﷺ ، ولا من أصحابه مثال حكاية صورة الصلب والقتل واسوداد الشمس، وتغيير لون القمر، وانشقاق الهياكل، وهذه الأمور إنما جرت في زعمهم بعد المسيح ﷺ بسبب قتله، فكيف تجعل من الإنجيل، والإنجيل الحق إنما هو الذي نطق به المسيح ﷺ ، وإذا كان كذلك انخرمت الثقة بهذا الإنجيل لا سيما وهو أربعة، والمنزل واحد، وهذه الأربعة أمليت في أقطار متباعدة بلغات مختلفة، وأقلام متباينة مع أن كل واحد منها ذكر من الأقاصيص والحكايات ما لم يذكره الآخر، فليت شعري أي شيء منها، أو فيها هو المنزل من عند الله تعالى، والمنزل واحد بلغة واحدة على نظام واحد ثم إن لوقا ومرقس ليسا من الحواريين، بل نقلا عن غيرهما عن المسيح ﷺ فهما نقلا كلام غير المسيح ﷺ ، والحجة إنما هي في كلامه ﷺ ، فلا حجة في هذين الإنجيلين البتة، وقد قال لوقا في صدر إنجيله إن أناسًا راموا ترتيب الأمور التي نحن بها عارفون، كما عهد إلينا أولئك الصفوة الذين كانوا خدامًا للكلمة، فرأيت أنا إذا كنت تابعًا أن أكتب إليك

أيها الأخ العزيز تأويلاً تعرف به حقائق الأمر الذي وعظت به فقد اعترف أنه لم يلق المسيح عليه السلام، ولا خدمه، وإنما كتابه تأويلات جمعها مما وعظ به خدام الكلمة، وها أنا أسرد عدة من تناقضاتها ليعلم تغييرها وتبديلها، وعدم الوثوق بشيء منها، فإنه ليس البعض أولى من البعض.

التناقض الأول:

قال يوحنا بن يوسف خطيب مريم عليها السلام، وهو المسمى يوسف النجار إلى إبراهيم عليه السلام اثنان وأربعون ولادة، وقال لوقا: أربعة وخمسون.

التناقض الثاني:

قال لوقا: قال جبريل الملك لمريم بناصرة (إنك ستلدين ولدًا اسمه يسوع يجلسه الرب على كرسي أبيه داود، ويملكه على بيت يعقوب) وكذبه يوحنا وغيره فقال: (بل حمل يسوع هذا الذي وعده الله بالملك إلى القائد بيلاطيس، وقد ألبسه شهرة الثياب، وتوجه بتاج من الشوك، وصفعوه وسخروا منه ففاوضه بيلاطيس طويلاً، فلم يتكلم فقال له: أما تعلم أن لي عليك سلطانًا إن شئت صلبتك، وإن شئت أطلقتك، فأجابه يسوع عليه السلام: لولا أنك أعطيت ذلك من السماء لم يكن لك علي سلطان، ومن أجل ذلك خطيئتي التي أسلمتني إليك عظيمة)، وصلبه بعد ذلك، وهو تناقض فاحش، أحدهما يجعل يسوع عليه السلام ملكًا عظيمًا لبني إسرائيل، والآخر يصفه بهذه الذلة والمهانة، ثم إن هذا الملك لم يتفق قط، أما على رأيهم فلأنه صلب، وهو في غاية الخمول، وأما على رأينا فلأن الله تعالى رفعه من غير ملك ولا مهانة، فهذا لا أصل له، ثم إن محاورة تجري بين جبار وعيسى عليه السلام أي شيء أدخلها في الإنجيل المنزل من السماء، بل نقطع بأن هذا غير منزل.

التناقض الثالث:

قال لوقا: (لما نزل بيسوع عليه السلام الجزع من اليهود ظهر له ملك من السماء ليقويه، وكان يصلي متواترًا وصار عرقه كعبيط الدم) ولم يذكر ذلك متى، ولا مرقس، ولا يوحنا، وإذا تركوا ذلك لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه من الفرائض والأحكام، وإن كان الترك صحيحًا فتكون الزيادة كذبًا في النسخ الأخرى، وهذا هو التحريف والتبديل، مع أن نقل لوقا يقتضي رفع المسيح عليه السلام إلى السماء، لأن الملك لا تغلبه

اليهود، وما نزل إلا للعصمة من الأذى والرفع هذا ظاهر الحال، وهو مبطل معتقد النصارى في الصلب، ثم تقوية الملك إن كانت للاهوت المتحد بالناسوت فمحال، لأن الله تعالى لا يحتاج إلى تقوية بغيره، وإن كانت للناسوت، فحينئذ هو غير اللاهوت فما حصل الاتحاد الذي يقولونه.

التناقض الرابع:

قال يوحنا وهو أصغر الأربعة: إن أول آية أظهرها المسيح عليه السلام تحويل الماء خمرًا، ولم يذكرها الثلاثة، وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين، وإن كانت لم تصح عندهم فكيف ينقل الدين عن شخص واحد، وهو يوحنا وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر؟

التناقض الخامس:

قال يوحنا: إن المسيح عليه السلام غسل أقدام تلاميذه، ومسحها بمنديل كان في وسطه، وأمرهم أن يقتدوا به في التواضع لم يذكر ذلك الثلاثة الأخر، فإن كان كذبًا دخل الخلل، وإن كان صدقًا فلم أغفلوه، فدخل الخلل.

التناقض السادس:

قال يوحنا: قال اليسوع عليه السلام : (إني لو كنت أنا الشاهد لنفسي لكانت شهادتي باطلة، ولكن غيري يشهد لي فأنا أشهد لنفسي، وأبي أيضًا يشهد لي أنه أرسلني) وقد قالت توراتكم: إن شهادة رجلين صحيحة، فجعلوا الله تعالى رجلاً وأثبتوا شهادته لنفسه مع القول ببطلانها، وهذا كلام ينزه عنه المسيح عليه السلام وأصحابه.

التناقض السابع:

قال يوحنا: لما مضى المسيح عليه السلام ليوحنا المعمداني: ليتعمد منه قال له المعمداني حين رآه: هذا خروف الله الذي يحمل خطايا العالم وهو الذي قلت لكم إنه يأتي به بعدي وإنه أقوى مني، وقال متى: لما رآه المعمداني قال: إني المحتاج إلى أن انصبغ على يدك فكيف جئتني تصبغ على يدي، وأرسل إليه بعد ذلك أنت الآتي، أو تنظر غيرك، ومرقس لم يقل شيئًا من ذلك فاختلف الثلاثة، فجزم الأول وجعله الثاني غير عالم حتى يسأله، وسكت الثالث بالكلية.

التناقض الثامن:

قال متى: يوسف خطيب مريم عليها السلام اسم أبيه يعقوب، وقال لوقا، أقام يسوع ثلاثين سنة يظن أنه ابن يوسف بن هال، فجعل اسم أبيه هال، والأول جعله يعقوب، وهو تكاذب، ثم إن قضية عيسى عليه السلام في كونه ولد من غير أب كانت في غاية الشهرة عند بني إسرائيل حتى آذوا مريم، عليها السلام إيذاء عظيمًا برميها بالزنا، ووصلت القضية إلى أقطار الأرض، فكيف يخفى على عيسى عليه السلام ذلك ثلاثين سنة؟

التناقض التاسع:

قال متى: صلب مع المسيح عليه السلام لصان عن يمينه وعن شماله كانا يهزآن به جميعًا، ويعيرانه. وقال لوقا: إنما هزأ به أحدهما وكان الآخر يقول لصاحبه أما تتقي الله تعالى، أمّا نحن فبالعدل جوزينا، وأما هذا فلم يعمل قبيحًا، ثم قال للمسيح عليه السلام: اذكرني في ملكوتك، فقال: حقًا إنك تكون معي اليوم في الفردوس، فكذب قول متى أنهما يهزآن به، وأغفل هذه القضية مرقس ويوحنا، ومن المحال أن يحدث مثل هذا، ولا يشيع في ذلك الوقت، فإن كان صحيحًا فلم تركاه، أو كذبا فلم اختلقه الآخر؟

التناقض العاشر:

قال لوقا: إن ابن الإنسان لم يأت ليهلك نفوس الناس، ولكن لينجي، وقال الباقون: ابن الإنسان لم يأت ليلقي على الأرض سلامه، ليكن سيفًا ويضرم فيها نارًا، وهذا كلام تبرأ التلاميذ منه، لأن الأول جعله رحمة للعالمين والآخرون جعلوه نقمة عليهم.

التناقض الحادي عشر:

قال متى: إن مريم خادمة المسيح عليه السلام جاءت لزيارة قبره عشية السبت، ومعها امرأة أخرى، وإذا ملك قد نزل من السماء وقال لهما: لا تخافا، فليس يسوع ههنا قد قام من بين الأموات، ثم لقيا المسيح، وقال: لا بأس عليكما قولا لإخواني، ينطلقون إلى الجليل، وقال يوحنا: جاءت وحدها يوم الأحد بغلس فرأت الصخرة رفعت عن القبر فأسرعت إلى شمعون، وتلميذ آخر فأخبرهما أن المسيح عليه السلام قد أخذ من تلك المقبرة، ولا أدري أين دفن، فخرج شمعون وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة ناحية من القبر، فبينما هي كذلك التفتت فرأت المسيح عليه السلام قائمًا فلم تعرفه، وحسبته حارس البستان

فكلمها فعرفته، وقال لها: إني لم أصعد بعد؛ إذهبي إلى إخواني فقولي إني منطلق إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، فأحدهما يقول: إن الملك هو الذي أمرها، والآخر يقول: هو المسيح عليه السلام ، وأحدهما يقول: عشية السبت، والآخر يقول: يوم الأحد، وأحدهما يحكي عن مريم وحدها، والآخر عنها مع غيرها، ويجعل النصارى هذا الكلام مع اضطرابه أصلاً لمعتقدهم، ويقولون: قد قال: إني منطلق إلى أبي، ويغفلون عن قوله: وأبيكم، وعن قوله: إلهي، ويقبلون في أصل دينهم قول امرأة واحدة مع أن هذا الكلام لو وجد في كلام المغفلين لم يقبل واستهجن، ولا يظهر في مرآة عقلهم كيف يعبدون من ولد في رطوبات الأرحام ودمائها، ونشأ في ضعف الطفولية ولأوائها تعتوره[1] الأمراض والأسقام والأنكاد والآلام، والحاجة إلى الشراب والطعام والمنام، ثم يصفع على زعمهم ويصلب ويهان، ثم يبكى عليه، ويندب بالثكلان، ويلتبس على من رآه بناطور البستان، فلو أن اليهود بالغوا في الهزء والسخرية بالنصارى ما قدروا أن يقولوا أكثر من هذا الهذيان.

التناقض الثاني عشر:

صعود المسيح عليه السلام إلى السماء أغفله يوحنا ومتى، وهما من الحواريين الاثنى عشر، وذكره لوقا ومرقس وليسا من الحواريين، واختلفا فقال مرقس: إن سيدنا يسوع لما قام كلم تلاميذه تكليمًا، ثم صعد من يومه، وخالفه لوقا فقال: إنما صعد بعد قيامه بأربعين يومًا، مع أن الصعود أمر عظيم لا ينبغي أن يخفى على التلاميذ ويعلمه غيرهم.

التناقض الثالث عشر:

قال متى: قال يسوع: حقًا أقول لكم إن قومًا من القيام ههنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيًا في ملكوته، وقد مضى نحو ألف سنة، ولم يأت في ملكوته، ومات القيام ومن بعدهم، فدل على أن هذا الكلام كذب وافتراء، وهو يخرم الثقة بجميع ما يقولونه.

التناقض الرابع عشر:

قال متى: قال المسيح عليه السلام للتلاميذ الاثنى عشر: أنتم الذين تكونون في الزمن الآتي

---

(١) تعتوره: تصيبه.

على اثني عشر كرسيًا تدينون اثني عشر سبطًا بني إسرائيل، فشهد للكل بالفوز والزعامة، ثم نقض ذلك متى بنفسه فقال: مضى أحد التلاميذ الاثني عشر، وهو يهوذا صاحب صندوق الصدقة، فارتشى على يسوع بثلاثين درهمًا، وجاء بالشرط إليه فقال له اليسوع: الويل لك خير لك أن لا تولد.

التناقض الخامس عشر:

قال متى: لما حمل يسوع إلى فيلاطيس القائد قال: أي شر عمل هذا؟ فصرخ اليهود، وقالوا: يصلب فأخذ القائد ماء وغسل يده، وقال: أنا بريء من دم هذا الصديق، وأنتم أبصروا.. كذبه يوحنا فقال: بل ضرب يسوع، ثم سلمه إليهم، وهو تناقض صريح، ولنقتصر على هذه النبذة من تهافت الأناجيل، وما اشتملت عليه من الذلل والأباطيل، ومن طالع كتبهم وأناجيلهم وجد فيها من العجائب ما يقضي له بأن القوم تفرقت شرائعهم وأحكامهم ونقولهم تفرق أيدي سبأ، وإن القوم لا يلتزمون مذهبًا والعجب أن أناجيلهم حكايات، وتواريخ ومجريات، وكلام كفرة وكهنة وتلاميذه وغيرهم حتى إني أحلف بالله الذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عند المسلمين أصح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد العاقل عليه أكثر مع أن التاريخ لا يجوز عند المسلمين أن يبنى عليه شيء من أمر الدين، وإنما هو حكايات في المجالس، ويقولون مع ذلك: الإنجيل كتاب الله أنزله إلينا، وأمر السيد المسيح باتباعه، فليت شعري أين هذا الإنجيل المنزل من عند الله تعالى، وأين كلماته من بين هذه الكلمات، ثم الذي ينقلونه عن عيسى ﷺ من لفظه، وهو القليل لا يلزم أن يكون منزلاً من عند الله تعالى، لأن المسيح ﷺ كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة، ومن مقتضى الطباع البشرية وغير ذلك، فهذا كله ليس من عند الله، ولذلك لا يقول المسلمون كل ما تكلم به محمد ﷺ من القرآن، ونقل عنه القرآن نقلاً متواترًا يقطع بصحته خلفًا وسلفًا، وأما النصارى فلا يتعين لهم شيء مما أنزل الله تعالى أبدًا فضلاً عن نقله بعد تعيينه فانظر هذه الحال ما أشد بعدها عن الصواب، وما أخلصها للشك والارتياب، ومع ذلك لا يستحيون، ويجاهرون بقولهم: نحن متمسكون بالإنجيل المنزل من عند الله تعالى، وهو مضبوط عن الخلل بريء من الزلل، فهم جديرون بأن يضحك عليهم أبد الدهر، وإن شئت قلت: يُبكى عليهم وأعجب من ذلك صومهم الذي يتكرر عليهم في كل عام

يصومون نحو الشهرين، والشهران فيها واجب، وغير واجب بإجماعهم، وإذا سألتهم ما عدد الواجب لم تجد من يعرفه، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، ولقد عذرت بعض الفضلاء لما سمعته يومًا يقول: النصارى عرة على ولد آدم.

ومنها أنه قال: القرآن الكريم أثنى على أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ إلى قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [١]، وبقوله تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [٢]، والظالمون إنما هم اليهود عبدة العجل، وقتلة الأنبياء وبقوله تعالى: ﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٤٦﴾ [٣]، ولم يقل: كونوا به مسلمين، وبقوله تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢﴾ [٤]، فذكر حميد صفاتنا وجميل نياتنا، ونفى عنا الشرك بقوله: والذين أشركوا، وسووا بيننا وبين غيرنا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [٥].

والجواب: أما قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ إلى آخرها، فمعناها أن قريشًا قالت له ﷺ: اعبد آلهتنا عامًا، ونعبد إلهك عامًا فأمره الله تعالى أن يقول لهم ذلك[٦]، فليس المراد النصارى، ولو كان المراد النصارى لم ينتفعوا بذلك، لأن قوله

---

(١) سورة الكافرون: الآية ١-٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٠.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٤) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٥) سورة البقرة: الآية ٦٢.

(٦) **[حديثٌ ضعيفٌ]**: أخرجه ابن إسحاق (٣٥٤) في السيرة، وعن طريقه الطبري (٣٠/٢١٤) في تفسيره مرسلاً عن سعيد بن ميناء، وأخرجه عبد الرزاق (٣٧٢٧) في تفسيره عن وهب مرسلاً. وأخرجه الطبري (١٢/٢١٤) في تفسيره، وابن أبي حاتم، والطبراني كما في الدر المنثور (٦/٤٠٤) =

تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝ ﴾ معناه الموادعة والمتاركة، فإن الله تعالى أول ما بعث نبيه ﷺ أمره أولاً بالإرشاد بالبيان ليهتدي من قصده الاهتداء، فلما قويت شوكة الإسلام أمره بالقتال بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ ﴾ [1]، قال العلماء: نسخت هذه الآية نيفًا وعشرين آية منها: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝ ﴾ ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [2]، ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ ﴾ [3] وغير ذلك.

وليس في المتاركة والاقتصار على الموعظة دليل على صحة الدين المتروك، وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [4]، دليل على أنهم على الباطل فإنهم لو كانوا على الحق ما احتجنا للجدال معهم، فهي تدل على عكس ما قالوا، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [5]، المراد من طغى، ولم يقصد الاسترشاد من كل طائفة، ولا يختص ذلك باليهود، فإنا نعدل معه عن الدليل والبرهان إلى السيف والسنان وأمره تعالى لنا بأن نؤمن لما أنزل على أهل الكتاب صحيح، ولكن أين ذلك المنزل، والله إن وجوده أعز من عنقاء مغرب، وقد تقدم بيانه في تناقض الأناجيل.

وأما قوله: ونحن له مسلمون، فخاص بنا أمرنا الله تعالى أن نقول ذلك لنتبع فيه، فهو دليل أمرهم بالإسلام عكس ما قاله، ولو لم يكن لهم أمرًا لكانوا مأمورين بآيات غير هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [6] الآية، وبقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ [7]، وغير ذلك وهو كثير، وأما مدح النصارى بأنهم أقرب مودة، وأنهم

=عن ابن عباس، وفيه داود بن الحصين، وروايته عن عكرمة ضعيفة كما في التهذيب (١٨١/٣).

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٠٥.

(٣) سورة الغاشية: الآية ٢٢.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٧) سورة المائدة: الآية ٧٧.

متواضعون فمسلم، لكن هذا لا يمنع أن يكونوا كفرة مخلدين في النار، وغضب الديان لأن السجايا[1] الجليلة والآداب الكسبية تجتمع مع الكفر والإيمان كالأمانة والشجاعة والظرف واللطف، وجودة العقل، فليس فيه دليل على صحة دينهم، وأما نفي الشرك عنهم فالمراد الشرك بعبادة الأصنام، لا الشرك بعبادة الولد، واعتقاد التثليث، وسببه أنهم مع التثليث يقولون: الثلاثة واحد، فأشاروا إلى التوحيد بزعمهم بوجه من الوجوه، ويقولون: نحن لا نعبد إلا الله تعالى، لكن الله تعالى هو المسيح ونعبد المسيح، والمسيح هو الله، تعالى الله عن قولهم، فهذا وجه التوحيد من حيث الجملة، ثم يعكسون ذلك فيقولون: الله ثالث ثلاثة، وأما عبدة الأوثان فيصرحون بتعدد الآلهة من كل وجه، ولا يقول أحد منهم: إن الصنم هو الله تعالى، وكانوا باسم الشرك أولى من النصارى، وكان النصارى باسم الكفر أولى، حيث جعلوا الله تعالى بعض مخلوقاته، وعبدوا الله تعالى، وذلك المخلوق فساووا عبدة الأوثان في عبادة غير الله تعالى، وزادوا بالاتحاد والصاحبة والأولاد، فلا يفيدهم كون الله تعالى خصص كل طائفة من الكفار باسم هو أولى بها في اللغة مدحًا ولا تصويبًا لما هم عليه.

ومنها أنه قال: مدح قرباننا وتواعدنا أن أهملنا ما متعنا بقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ ﴾[2] إلى قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾[3]، فالمائدة هي القربان الذي يتقربون به في كل قداس.

والجواب: إن من العجائب أن يدعى أن المائدة التي نزلت من السماء هي القربان الذي يتقربون به مع الذين يتقربون به من مصنوعات الأرض، وأين المائدة من القربان[4]؟ نعوذ بالله تعالى من الخذلان، بل معنى الآية أن الله تعالى طرد عادته وأجرى

---

(١) السجايا: الصفات والخلال، والطبائع.

(٢) سورة المائدة: الآيتان (١١٢، ١١٣).

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٥.

(٤) قال العلامة ابن كثير رحمه الله: هذه قصة المائدة، وإليها تنسب السورة، فيقال: سورة المائدة، =

سنته أنه متى بعث للعباد أمرًا قاهرًا للإيمان لا يمكن العبد معه الشك، فمن لم يؤمن بعد عجل له العذاب لقوة ظهور الحجة، كما أن قوم صالح لما أخرج الله تعالى لهم الناقة من الحجر، فلم يؤمنوا عجل لهم العذاب، وكانت هذه المائدة جسمًا كينونيًا عليه خبز وسمك نزل من السماء يقوت القليل من الخلق العظيم العدد فأمرهم أن يأكلوا، ولا يدخروا، فخالفوا وادخروا، فمسخهم الله تعالى. ونزول مثل هذا من السماء كخروج الناقة من الصخرة الصماء، فأخبر الله تعالى أن من لم يؤمن بعد نزول المائدة عجلت له العقوبة، ولا تعلق للمائدة بقربانهم البتة، بل للمائدة معجزة عظيمة خارقة، والقربان أمر معتاد ليس فيه شيء من الإعجاز البتة فأين أحد البابين من الآخر لولا العمى والضلال.

ومنها أنه قال: إن الله تعالى أخبر خبرًا جازمًا أنا نؤمن بعيسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [1] فكيف نتبع من أخبر الله تعالى عنه أنه شاك في أمره بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝﴾ [2] وأمره في سورة الفاتحة أن يسأل الهداية إلى صراط مستقيم ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾ [3] والمنعم عليهم هم النصارى، والمغضوب عليهم اليهود، والضالون عبدة الأصنام.

والجواب: أن النصارى لما لعبوا في كتابهم بالتحريف والتخليط صار ذلك لهم سجية، وأصبح الضلال والإضلال لهم طوية، فسهل عليهم تحريف القرآن، وتغيير معانيه لأغراضهم الفاسدة، والقرآن الكريم بريء من ذلك، وكيف يخطر لهم هذه التحكمات بغير دليل، ولا برهان، بل بمجرد الأوهـــام والوسواس وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ ففيه تفسيران:

أحدهما: أن كل كافر إذا عاين الملائكة عند قبض روحه ساعة الموت ظهر لهم منه

=وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى عليه السلام لما أجاب دعاءه بنزولها، فأنزلها الله آية باهرة، وحجة قاطعة، وقد ذكر بعض الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل، ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين، فالله أعلم، نقلاً عن تفسير القرآن العظيم (٢/١١٦).

(١) سورة النساء: الآية ١٥٩.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٤.

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٧.

الإنكار عليه بسبب ما كان عليه من الكفر، فيقطع حينئذ بفساد ما كان عليه، ويؤمن بالحق على ما هو عليه، فإن الدار الآخرة لا يبقى فيها تشكك ولا ضلال، بل يموت الناس كلهم مؤمنين موحدين على قدم الصدق ومنهاج الحق، وكذلك يومَ القيامة بعد الموت، لكنه إيمان لا ينفع ولا يعتد به، وإنما يقبل الإيمان من العبد حيث يكون متمكنًا من الكفر، فإذا عدل عنه وآمن بالحق كان إيمانه من كسبه وسعيه، فيؤجر عليه، أما إذا اضطر إليـــه، فليس فيه أجر فما من أحد من أهل الكتاب إلا يؤمـــن بنبوة عيسى عليه السلام وعبوديته لله تعالى قبل موته لكن قهرًا لا ينفعه في الخلوص من النيران وغضب الديان.

التفسير الثاني:

أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان عند ظهور المهدي بعد أن يفتح المسلمون قسطنطينية من الفرنج، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ولا يبقى على الأرض إلا المسلمون[1]، ويستأصل اليهود بالقتل ويصرح بأنه عبد الله ونبيه فتضطر النصارى إلى تصديقه حينئذ لإخباره لهم بذلك وعلى التفسيرين ليس فيه دلالة على أن النصارى الآن على خير وأما قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝﴾ [2] فهو من محاسن القرآن الكريم، لأنه من تلطف الخطاب وحسن الإرشاد، فإنك إذا قلت لغيرك أنت كافر، فآمن ربما أدركته الأنفة فاشتد إعراضه عن الحق، فإذا قلت له: أحدنا كافر ينبغي أن يسعى في خلاص نفسه من عذاب الله تعالى، فهلم بنا نبحث عن الكافر منا فنخلصه فإن ذلك أوفر لداعيته في الرجوع إلى الحق والفحص عن الصواب، فإذا نظر فوجد نفسه هو الكافر فر من الكفر من غير منافرة منك عنده، ويفرح بالسلامة ويسر منك بالنصيحة، هكذا هذه الآية سهلت الخطاب على الكفار ليكون ذلك أقرب لهدايتهم، ومنه قول صاحب فرعون المؤمن لموسى عليه السلام: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [3] إلى قوله: ﴿وَإِن يَكُ صَادِقٗا

---

(١) [حديثٌ صحيحٌ]: أخرجه البخـــاري (٣/١٠٧) ، ومســـلم (١٥٥) ، (٢٤٣) ، وعبد الرزاق (٢٠٨٤٠)، وأحمد (٢/٥٣٨)، وأبو داود (٤٣٢٤)، والترمذي (٢٢٣٣)، وابن حبان (٨/٢٨٨).

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٤.

(٣) سورة غافر: الآية ٢٨.

﴿ يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[١]، فخصهم أولاً بالملك والظهور لتنبسط نفوسهم مع علمه بأنه وبال عليهم، وسبب طغيانهم، ولم يجزم في ظاهر اللفظ بصدق موسى عليه السلام مع قطعه بصدقه، بل جعله معلقًا على شرط لئلا ينفرهم فيحتجبوا عن الصواب، فكل من صح قصده في هداية الخلق سلك معهم ما هو أقرب لهدايتهم، وكذلك قوله تعالى لموسى وهارون في حق فرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[٢]، وقوله لمحمد صلوات الله عليهم أجمعين: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٣]، ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[٤]، فهذا كله من محاسن الخطاب لا من موجبات الشك والارتياب، وأما أمره تعالى لمحمد عليه السلام ولأمته بالدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم، فلا يدل على عدم حصول الهداية في الحال، لأن القاعدة اللغوية أن الأمر والنهي والدعاء والوعيد والشرط وجزاءه إنما يتعلق بالمستقبل من الزمان دون الماضي والحاضر، فلا يطلب إلا المستقبل، لأن ما عداه قد تعين وقوعه، أو عدم وقوعه، فلا معنى لطلبه والإنسان باعتبار المستقبل لا يدري ماذا قضي عليه، فيسأل الهداية في المستقبل ليأمن من سوء الخاتمة، كما أن النصراني إذا قال: اللهم أمتني على ديني لا يدل على أنه غير نصراني وقت الدعاء، ولا أنه غير مصمم على صحة دينه، وكذلك سائر الأدعية، وأجمع المسلمون والمفسرون على أن المغضوب عليهم اليهود، وأن الضالين النصارى، فتبديل ذلك بما قاله مصادمة ومكابرة ومغالطة وتحريف وتبديل، فلا يسمع من مدعيه.

ومنها: أنه قال: ليس من عدل الله تعالى أن يطالبنا باتباع رسول لم يرسله إلينا، ولا وقفنا على كتابه بلساننا.

والجواب: أنه عليه السلام لو لم يرسل إليهم فليت شعري من كتب إلى قيصر هرقل ملك الروم وإلى المقوقس أمير القبط يدعوهم إلى الإسلام ولولا ذلك لم يسلط السيف على دين النصرانية اليوم ستمائة سنة:

---

(١) سورة غافر: الآية ٢٨.

(٢) سورة طه: الآية ٤٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

وليس يقر في الأذهـــان شـــيء   إذا احتـــاج النهـــار إلى دليـــل

ومنها: أنه قال: لو علم المسلمون مرادنا بالأب والابن، وروح القدس لما أنكروا علينا، فإن مرادنا بالأب الذات، وبالابن النطق الذي هو القائم بتلك الذات، وروح القدس الحياة الثلاثة إله واحد، وهذه الثلاثة يعتقدها المسلمون، ونحن لم نطلق ذلك من قبل أنفسنا، بل في الإنجيل قال عيسى عليه السلام (اذهبوا على سائر الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس).

وفي أول القرآن (بسم الله الرحمن الرحيم) فاقتصر على هذه الثلاث الأب والابن وروح القدس، ونريد بقولنا: المسيح ابن مولود من الله تعالى بلا حدث قبل الدهور، وأنه لم يزل نطقًا، ولم يزل الله تعالى ناطقًا، ثم أرسل الله تعالى نطقه من غير مفارقة الأب الوالد له، كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة القرص الوالد له، وكما يرسل الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل الوالد له، فتجسم النطق إنسانًا من الروخ القدس، ومن مريم رضي الله عنها، وولد منها بالطبيعة البشرية لا بالإلهية، فإذا قلنا: المسيح ابن الله تعالى لا نريد بنوة بشرية، وإن له ولدًا من صاحبة، وقد أثبت القرآن الولد بمعنى النطق كقوله تعالى: ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ ﴾ [1]، وسبب تجسم كلمة الله تعالى إنسانًا أن الله تعالى لا يخاطب إلاَ بحجاب، لأن اللطائف لا تظهر إلا في الكثايف فظهر في الإنسان، لأنه أشرف خلقه كما خاطب موسى عليه السلام من العوسجة[2] ففعل المعجز بلاهوته وأظهر المعجز بناسوته، والفعلان للمسيح عليه السلام كما تقول: زيد ميت بجسده، باق بنفسه، ولذلك صلب الناسوت دون اللاهوت، كما أن الحديدة المحماة يطرق حديدها، أو يقطع دون ناريتها، وكذلك سمى القرآن عيسى عليه السلام روح الله، وكلمته، واسمه عيسى، فيكون الخالق واحدًا وهو الأب ونطقه وحياته، ولا يلزم من تعددها تعدد الخالقين، كما تقول: الخياط خيط الثوب، ويد الخياط خيطت الثوب، ولا يلزم أن يقال: خيط الثوب خياطان، بل خياط واحد كذلك قولنا: الله تعالى وروحه وكلمته إله واحد، ولا يلزمنا أنا عبدنا ثلاثة كما لا يلزم إذا قلنا عقل الإنسان ونطقه وحياته ثلاثة أناسي.

---

(١) سورة البلد: الآية ٣.

(٢) العوسجة: الشجرة.

والجواب: أما قوله: نريد بالأب الذات، وبالابن النطق، وبروح القدس الحياة، فلا كفر فيه، وإنما الإطلاق منكر.

وأما ما اعتمد عليه من نص الإنجيل فقد تقدم أن إنجيلهم ليس شيئًا يعتمد عليه، ولا هو مضبوط النقل، ولا مضبوط العين، ولا يوثق منه بشيء في الدين، وقد تقدم ذلك في تناقضه، وأما ما في القرآن من بسم الله الرحمن الرحيم فتفسيركم له غلط وتحريف، كما فعلتم في الإنجيل، لأن الله تعالى عندنا في البسملة معناه الذات الموصوفة بصفات الكمال، ونعوت الجلال، والرحمن الرحيم وصفان له سبحانه وتعالى باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته فإن صفات الله تعالى منها سلبية نحو الأزلي، أي لا أول له، والصمد أي لا جوف له، ومنها ثبوتية قائمة بذاته وهي سبعة: العلم والإرادة والقدرة والحياة والكلام، والسمع، والبصر، ومنها فعلية خارجة عن ذاته تعالى يستحيل قيامها به نحو الرزق والهبات والخلق، والإحسان، فسميته الرازق الوهاب الخالق المحسن باعتبار أفعاله لا باعتبار صفة قديمة بذاته، فالرحمن معناه: المحسن في الدنيا والآخرة لخلقه بفضله، والرحيم: معناه المحسن في الآخرة خاصة لخلقه بفضله، وكذلك يقال: يا رحمن الدنيا والآخرة، فالرحمن أبلغ من الرحيم لشموله الدارين، وأما النطق والحياة فلا مدخل لهما في الرحمن الرحيم، بل هو تحريف منه للقرآن، وإذا بطل المستند من الأناجيل والقرآن حرم هذا الإطلاق، قال: إطلاق الموهمات لما لا يليق بالربوبية يتوقف على نقل صحيح ثابت عن الله تعالى، وليس هو عندكم فكنتم عصاة بهذا الإطلاق، وأما قولكم: إن النطق موجد فغلط، فإن الموجد إنما هو القدرة دون غيرها، وكل صفة من صفات الله تعالى لها خاصية لا توجد لغيرها، فالقدرة توجد والإرادة تخصص الممكن بأزمانه وأحواله، والعلم يكشف الواجبات والممكنات والمستحيلات على ما هي عليه، والسمع إدراك يختص بالكلام النفسي، والصوت اللساني والبصر إدراك خاص يختص بالموجود، دون المعدوم بخلاف العلم، فإنه يعمها والكلام النفسي الذي هو النطق يكون من الأمر والنهي والخبر والاستخبار دون التأثير، فلا يجوز أن يعتقد أن الإيجاد إلا للقدرة ليس إلا، والبراهين على هذه المطالب في كتبنا الكلامية ليس هذا موضعها، وقوله: ونريد بنوة المسيح وولادته من الله تعالى بلا حدث أنه لم يزل نطقًا، ولم يزل الله تعالى ناطقًا قلت: هذا كلام غير معقول أصلاً إلا على وجه لا يبقى لدين النصرانية أثر، وتقريره: أن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى، وقد

سلمتم ذلك، فهو من المعاني لا من الأجسام، بل هو كالعلم والحياة والإرادة فإن أردتم أن عيسى عليه السلام المتجسد أنه لم يزل هذه الصفة المعنوية، فهو من باب قلب الحقائق الذي يستحيل وقوعه في زمن من الأزمان فضلاً عن كونه لم يزل كذلك، كما يستحيل أن السواد يكون بياضًا، والعلم يكون طعمًا، أو الرائحة لونًا كذلك يستحيل أن يكون الناطق إنسانًا، فهذا التفسير غير معقول ولا متصور، وإن أردتم أنه لم يزل نطقًا أي لم يزل الله تعالى يخبر عن وجود عيسى عليه السلام في أزله، فهو صحيح مقصود، لأن خبر الله تعالى يتعلق بجميع الأشياء الموجودات والمعدومات الماضيات، والحاضرات والمستقبلات، لكن هذا التفسير لا يبقى معه لدين النصرانية وجود فإن خبر الله تعالى كما يتعلق بوجود عيسى عليه السلام يتعلق بوجود كل واحد من اليهود وغيرهم في الأزل، و لم يزل كل واحد من اليهود نطقًا بهذا التفسير، فينبغي أن يكون كل واحد من اليهود ابن الله تعالى، ولا مزية لعيسى عليه السلام على أحد من اليهود في ذلك، بل ولا على أحد من الحشرات، وإن أردتم تفسيرًا ثالثًا فقولوه، فإنه غير معقول من قولكم: لم يزل المسيح عليه السلام نطقًا، فظهر أن أحد الأمرين لازم، وهو إما إبطال مذهب النصارى، أو يكون كلامهم غير معقول فضلاً عن إقامة الدليل عليه، فإنهم لا يتكلمون بكلام إلا مثل هذا لا يتحصل منه شيء.

قوله ثم أرسل الله نطقه من غير مفارقة.

قلت: هذا غلط وعمى وعدم بصيرة، فإن إرسال الشيء اتصاله بغيره المباين له، وهو غير معقول في كل صفة من الصفات النطق وغيره، فيستحيل إرسال الألوان والطعوم والروايح والعلوم والظنون إلا مع انتقال محالها، إما بمفردها فمحال ببديهة العقل، ومن شك في ذلك فليس بعاقل، ومحل هذا النطق يستحيل عليه الحركة والاتصال والانفصال، فإنه ليس بجسم باتفاق الفريقين، وأما إرسال الشمس لضوئها، فليس معناه أن صفة قائمة بالشمس اتصلت بالغير، بل الله تعالى يخلق الأنوار والأضواء في أجرام الهواء الكائن بين السماء والأرض، فالضوء الحاصل في كل جزء من الهواء غير الضوء الحاصل في الجزء الآخر، وغير الضوء القائم بجرم الشمس، فههنا صفات عديدة وموصوفات كثيرة لم يرسل منها صفة واحدة، بل كل صفة لازمة لمحلها لم تفارقه، فإن أردتم أن الله تعالى خلق في عيسى عليه السلام نطقا بما طلبه الله تعالى من العباد، أو بغيره، فكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام، بل العلماء والمشرعون كذلك خلق الله تعالى في

نفوسهم الإخبار عن أحكامه تعالى، فإن كان عيسى عليه السلام بهذا ابنًا فالعلماء كلهم كذلك، وإلا فلا أحد من خلق الله تعالى ابنًا وهو الحق، وإما إرسال الإنسان كلامه لغيره عن فكره فذلك إما بالكتابة، فالمرسل حينئذ أجسام ورقوم سود في أجسام بيض، ونطقه القائم بنفسه لم يرسله، بل أرسل ما يدل عليه، وإما أن يوصي من يخبره بمقاصده مشافهة فهو صوت صدر على لسانه سمعه رسوله فقال ذلك الرسول أصواتا أخر لذلك الغير، والأصوات من خواص الإنسان وقصبة الرئة لا تكون إلا في الأجسام، ولذلك أحلناها على الله تعالى، لأنه ليس بجسم، بل الثابت لله تعالى إنما هو الكلام النفسي الذي ليس بأصوات، والأصوات دالة عليه، وعلى كل تقدير فلم يرسل الإنسان كلامه النفسي، ولا الصوتي، بل النفسي قائم بنفسه، والصوتي سمعه رسوله وعدم لحينه لم يأخذه الرسول معه، فعلم أن هذا التمثيل غير مطابق لدعواكم، بل جهل بالحقائق وأحكامها، وما هي عليه، فإن قلتم: إن الله تعالى أمر عيسى عليه السلام فقال: ما يدل على أحكام الله تعالى للخلق فهو والأنبياء سواء في ذلك فلا معنى باختصاصه بالنبوة.

قوله: فتجسم النطق إنسانا من الروح القدس، ومن مريم رضي الله عنها إلى آخر كلامه.

قلت: هذا موضع الخبط والجهل والكفر، وعدم الإنسانية بالكلية كيف يتخيل عاقل أن النطق يسير جسما، وذلك كقول القائل: الألوان والطعوم والروائح صارت جمالا وبراذين، فمن قام به لون قام به برذون، ومن قام به رائحة قام به جمل، أو فرس، وكيف يتخيل عاقل أن المعاني تنقلب أجساما مع أن المعاني مفتقرة للمحال لذاتها، والأجسام مستغنية عن المحال لذاتها، فكيف ينقلب المفتقر لذاته مستغنيا لذاته، وذلك كانقلاب الممكن واجبا لذاته، والزوج فردا والفرد زوجا، والسواد بياضا، فإن كنتم تجوزون هذا كله وليس لكم من العقول ما تدركون به هذه الأحكام وهو الظن بكم سقطت مكالمتكم، لأن الكلام مع البهائم عبث وسفه، وإن كنتم تعقلونها فارجعوا عن قولكم بتجسم النطق الرباني في عيسى ابن مريم، واعترفوا ببطلان البنوة المبنية عليه، وأن عيسى عليه السلام فيه وجهان، واعتبار أن هو من وجه إله، ومن وجه إنسان، فالآفات والصلب ترد على الوجه الإنساني، ويصير هذا الكلام كله كفرا وجنونا لأن المبني على الأصل الفاسد فاسد.

قوله: إن القرآن الكريم أثبت هذه البنوة بقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾[1].

قلت: هذا افتراء على الله تعالى، وعلى كتابه وعلى المسلمين، إنما أقسم الله تعالى بآدم وذريته، فليس للنصراني أن يتسلط بالتحريف على كتابنا كما تسلط على كتابه.

قوله: وسبب تجسم الكلمة أن اللطيف لا يظهر إلا في الكثيف، كما خاطب الله موسى عليه السلام من العوسجة.

قلت: هذا أيضا من الجهالات النصرانية ولم قلتم أن اللطيف لا يظهر إلا في الكثيف، بل يجوز أن يخلق الله تعالى لنا علما ضروريا لكل لطيف على ما هو عليه من غير أن يحل ذلك اللطيف في غيره، ولا يتحد بسواه، كما أن الخلق يعلمون وجود الله تعالى وصفاته العلى بدلالة صنعته عليه قبل ما يدعونه من الاتحاد الحادث في زمن عيسى عليه السلام ، ويلزم النصارى في هذا المقام أمور شنيعة: إما بطلان مذهبهم إن صح ظهور اللطيف مع الغنى عن الكثيف، أو يكون الخلائق آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام، وجميع الخلائق لم يظهر لهم من صفات الله تعالى وكمال ذاته شيء قبل عيسى عليه السلام إن لم يكن قبله اتحاد، لأن هذا الاتحاد شرط للظهور عندهم، وإن كان الظهور حاصلا قبله كان الاتحاد الحاصل لعيسى عليه السلام حاصلا لجميع الخلائق العالمين بالله تعالى وبصفاته الذين ظهرت لهم الصفات الربانية والمعارف الإلهية وحينئذ لا اختصاص لعيسى عليه السلام ، ولا مزية له حتى يجعل ابن الله تعالى دون الناس أجمعين، ولم يتخذ الكلام لموسى عليه السلام بالعوسجة، بل سمع كلام الله تعالى، وهو قائم بذاته، وقد تقدم استحالة مفارقة الصفة للموصوف، فكيف ينتقل كلام الله تعالى للشجرة حتى يسمعه موسى عليه السلام ، فهذا أيضا من الافتراء على قصة موسى عليه السلام ، ومن أين للنصارى عقل يفهمون به أفعال الأنبياء عليهم السلام في دقائق الملكوت، وعجائب أسرار الربوبية، مع أنهم جهلوا أحكام المعاني، وجوزوا عليها أن تكون أجساما، ولذلك عدلت عن بيان كيفية سماع موسى عليه السلام لكلام الله تعالى، وهو قائم بذاته بغير حرف ولا صوت، وهو مبسوط في كتبنا الكلامية، وقد ذكرته مستوعبا في شرح الأربعين للإمام فخر الدين، فمن أراده نظره هناك، وبهذا التقرير يظهر فساد تمثيلهم بالحديدة والخياط، فإن

---

(١) سورة البلد: الآية ٣.

ذلك فرع تجسد المعنى، وانتقاله للناسوت وقد ظهر بطلانه وأما تصريح القرآن الكريم بكون عيسى عليه السلام روح الله وكلمته فقد تقدم الجواب عنه.

قوله: الله وكلمته وروحه إله واحد، فلا يلزمنا القول بثلاثة آلهة، كما تقول الإنسان وعقله وحياته ثلاثة، وهو إنسان واحد.

قلنا: بل يلزمكم، لأنكم قلتم الكلمة انتقلت للمسيح عليه السلام ، فاستحق العبادة لأجل ما انتقل له من الكلمة، والله يستحق العبادة لذاته من غير أن ينتقل له من غيره شيء، والروح القدس الذي هو الحياة، ونحن ننكر عليكم هذا الإطلاق أيضا لما فيه من الإيهام بأحوال الأجسام الحيوانية سوية بالله تعالى، وتقولون في صلاتكم مساو لك في الكرامة، ولا تفضلون أحد الثلاثة على الآخر، فالثلاثة عندكم مستوية مستحقة للعبادة والخضوع، فلكم ثلاثة آلهة بالضرورة ووزانه في الإنسان أن تعتقد أن عقله قد انتقل للجمل فاستحق تعظيما كتعظيم الإنسان لأجل ما انتقل، وروحه أيضا تستحق تعظيم الإنسانية والإنسان في نفسه يستحق تعظيم الإنسانية، فيكون لنا ثلاثة أناسي جزما، وإنما كان الإنسان واحدا، لأن صفاته لم تتعداه ولم تعدل لصفة من صفاته ذاته في التعظيم، بل المعظم واحد، وهو الإنسان لما اشتمل عليه من كمال العقل وجميل الصفات، فكان ينبغي للنصارى إذا قصدوا هذا المعنى أن يقولوا كما قال المسلمون المعظم باستحقاق العبادة والعبودية واحد، وهو الله تعالى لكمال صفاته وشرف ذاته، وليس شيء من صفاته مستحق للعبادة كان منتقلا لوجود الانتقال، أو كانت الصفة قائمة بذاته، ولا يستحق للعبادة الموجبة للإلهية إلا ذات واحدة موصوفة بصفات الكمال لا شيء من صفاتها، ولا غير من صفاتها فهذا هو التوحيد المحقق الذي عليه المسلمون، أما النصارى فاعتقدوا استحقاق العبادة للذات وبعض الصفات، ومن حل في بعضها فكانوا قائلين بتعدد الآلهة بالضرورة، فلا معنى لقولهم: إن ذلك لا يلزمنا، وإنما لا يلزمهم ذلك إذا قالوا: المسيح عليه السلام لا يستحق العبادة، ولا يصلى له، ولا نعبده، ومن عبده كفر، لأنه عبد من حلت فيه صفته، فهو غير الله تعالى، ومن عبد غير الله تعالى فهو مشرك، بل من عظم صفة من صفات الله تعالى علمه، أو كلامه، أو حياته، أو سمعه، أو بصره تعظيم الله تعالى، فهو كافر مشرك مع الله غيره قائل بتعدد الآلهة، فلا معنى لإنكار ذلك منهم، ولا شك النصارى لغلبة الجهل عليهم لا يفهمون

معنى الإله ولا أي شيء هو الموجب لاستحقاق العبودية، فلذلك عبدوا ثلاثة آلهة، وهم لا يشعرون، فهم كمن لا يفهم حقيقة القتل ثم يقتل، ثم ينكر على من ينسب له العمل ويتعجب منه ويغلطه، فينبغي لهذه الطائفة النصرانية أن تبكي وتنوح على فقد العقل قبل أن تبكي على فقد الدين، فإذا وهبها الله تعالى عقلا سألت عن حقيقة الإلهية تعلمها بحدودها وشروطها وخصوص ماهيتها، وما يجب للإلهية، وما يستحيل عليها وأي شيء إذا فقد لا يكون المحل مع هذه إلها وإذا علمت هذه الأمور كلها كما علمها المسلمون استيقظت من سكر جهلها، وظهر لها أنها تعبد ثلاثة آلهة وأن المتعين ألا يعبد إلا الله وحده، فإن قالوا: نحن لا نعبد المسيح عليه السلام، ولا نعظم الكلمة تعظيم العبادة، ولا نصلي لها حلت الكلمة، أم لا، ولا يستحق العبادة إلا الله وحده دون صفاته العلى، حلت أم لا، فهذا حق لا ننكره عليهم ويكونون موحدين، وإنما يبقى الإنكار في القول بالحلول والاتحاد على اختلاف مذاهبهم، وجحد النبوة فبهذه الطرق نكفرهم لا بتلك إن صرحوا بما ذكرته، والمصرح بهذا هم النصطورية دون اليعاقبة والملكية، والفريقان يكفرونهم، وهم أقرب النصارى إلى الصواب، وليس للمسيح عليه السلام عندهم مزية على سائر الأنبياء إلا أنه أفضلهم فقط كما تقول نحوه: إن محمدا عليه السلام أفضلهم.

ومنها: أنه قال: إذا احتججنا ببعض القرآن لا يلزمنا بقيته، لأنه كمكتوب أخرجه صاحب الدين بمائة دينار، وفيه مكتوب أنه قد وفى فإن ذلك لا ينفع المديون.

قلنا: هذا التمثيل غير مستقيم، فإن كتاب الدين إن كانت البينة فيه على القبض والوفاء نفع المديون، وإن كانت البينة على القبض دون الوفاء فهذا هو الذي لا ينفع وبيانه صحة القرآن هو المعجزة الدالة على عصمة الرسول عليه السلام، والمعصوم كلامه كله حق وصدق، فهو كالمكتوب الذي فيه البينة على القبض والوفاء بجميع ما فيه.

ومنها: أنه قال: إن قالوا لم أطلقتم لفظ الابن والزوج والأقانيم، مع أن ذلك يوهم أنكم تعتقدون تعدد الآلهة، وأن الآلهة ثلاثة أشخاص مركبة، وأنكم تعتقدون ببنوة المباضعة، قلنا للمسلمين هذا كإطلاق المتشابه عندكم من لفظ اليد، والعين، ونحوها يوهم التجسيم، وأنتم لا تعتقدونه.

قلنا: إنما يطلق المسلمون المتشابه بعد ثبوته نقلا متواترا تقطع به عن الله تعالى أنه أمر بتلاوته امتحانا لعباده ليضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وليعظم ثواب المهتدين

حيث حصل الهداية بعد التعب في وجوه النظر ويعظم عذاب الضالين حيث قطعوا لا في موضع القطع، ولم ينقلوا ذلك عن امرأة كما اتفق ذلك في الإنجيل، بل ما اقتصر المسلمون على الجمع القليل، بل اعتمدوا على العدد الذي يستحيل عليهم الكذب، فلما تحققوا أن الله أمرهم بذلك نقلوه، وأما النصارى فأطلقوا بعض ذلك من قبل أنفسهم كالأقانيم والجوهر، وبعضها نقلوه نقلا لا تقوم به حجة في أقل الأحكام، فضلاً عن أحوال الربوبية، فهم عصاة الله حيث أطلقوا عليه ما لم يثبت عندهم بالنقل، بل لو طولبوا بالرواية لإنجيلهم لعجزوا عن الرواية، فضلا عن النقل القطعي، فلا تجد أحدا له رواية في الإنجيل يرويه واحد عن واحد إلى عيسى عليه السلام ، وأقل الكتب عند المسلمين من الارتياب وغيرها يروها عن قائلها فتأمل الفرق بين الاثنين، والبون الذي بين الدينين هؤلاء المسلمون ضبطوا كل شيء، والنصارى أهملوا كل شيء، ومع ذلك يعتقدون أنهم كل شيء.

ومنها: أنه قال: المسلمون ينكرون علينا إطلاق الجوهر[1] على الله تعالى، وليس بمنكر، لأن الموجودات منحصرة في الجواهر والأعراض[2]، لأن الموجود إما غير مفتقر في وجوده إلى غيره، وهو الجوهر، أو مفتقر في وجوده إلى غيره وهو العرض، ولا واسطة بين قولنا: مفتقر في وجوده، وغير مفتقر، ويستحيل عليه تعالى أن يكون عرضا فيتعين أن يكون جوهرا لضرورة الحصر فيهما، وأما قول المسلمين: إن الجوهر هو الذي يقبل العرض فيشغل الحيز، فيستحيل إطلاقه على الله تعالى، فليس كذلك بل الذي يشغل الحيز ويقبل العرض وهو الجوهر الكثيف، أما اللطيف كالضوء والنفس والعقل فلا.

قلنا: هذا كلام من لا يعلم الجوهر، ولا يعرف العرض، ولا يضبط علما من العلوم كأنه نصراني فإن هذه خصيصتهم أما ما يفتقر في وجوده لغيره، وما لا يفتقر فهو الواجب الوجود لذاته، والممكن الوجود لذاته، فهذا تفسير الواجب والممكن، لا تفسير الجوهر والعرض، فأين أحد البابين من الآخر، بل الجوهر والعرض كلاهما من أقسام ما يفتقر في وجوده إلى غيره، فتبرع للنصارى الآن بتفسير هذه الحقائق، فنقول: الجوهر

(١) الجوهر في الفلسفة: هو ما قام بنفسه.

(٢) العرض في الفلسفة: هو ما يقوم بغيره.

هو المتحيز لذاته الذي لا يقبل القسمة، فقولنا لذاته: احتراز من العرض فإنه متحيز لأجل قيامه بالجوهر وقولنا: لا يقبل القسمة احترازا من الجسم، فإنه يقبل القسمة، والجسم المتحيز لذاته الذي يقبل القسمة، وقد ظهرت فائدة هذه القيود مما تقدم، والعرض هو المعنى المفتقر إلى متحيز يقوم به، لا أنه يفتقر إليه في وجوده، بل وجود العرض وغيره من الله تعالى إذا تقرر هذا ظهر خطؤهم في إطلاقهم لفظ الجوهر على الله تعالى، وظهر بطلان تفسيرهم للجوهر والعرض بل على تفسيرهم للجوهر يلزم أن لا يكون القابل للعرض والشاغل للحيز جوهرا، لأن وجوده من الله تعالى هو خالق المتحيزات وغيرها، ومن العجيب قوله: إن الجوهر اللطيف لا يشغل حيزا ولا يقبل عرضا، ثم مثله بالنفس والعقل والضوء !! أما النفس فإنها متحيزة، وهي تقوم بها الأعراض، لأنها تقوم بها العلوم والظنون والاعتقادات، والآلام، واللذات وغير ذلك، وكلها أعراض نفسانية، لكنه لا يعرف حقيقة العرض، فلذلك نفى الأعراض عن النفس، وكذلك العقل يقوم به الفكر والعبر والمعارف وغيرها، وهى أعراض، وأما الضوء فعرض يقوم بجواهر، الهواء ليس من الجوهر في شيء وهو يعتقد أنه جوهر فمثل به، فحديث النصارى كله عجب، حتى لو وجد عندهم صواب كان عجبا.

ومنها: أنه قال: الله له عدل وفضل، وهو سبحانه وتعالى يتصرف بهما، فأرسل موسى عليه السلام بشريعة العدل لما فيها من التشديد، فلما استقرت في نفوسهم وقد بقي الكمال الذي لا يصنعه إلا أكمل الكملاء، وهو الله تعالى، ولما كان جوادا تعين أن يجود بأفضل الموجودات، وليس في الموجودات أجود من كلمته يعنى نطقه، فجاد بها واتحدت بأفضل المحسوسات، وهو الإنسان لتظهر قدرته، فحصل غاية الكمال، ولم يبق بعد الكمال إلا النقص.

قلنا: أما شريعة موسى عليه السلام ، فكانت عدلا وفضلا وقل أن يقع في العالم عدل مجرد، وإنما وقع ذلك لأهل النار خاصة كما لم يقع الفضل وحده إلا لأهل الجنة.

وتقرير هذا الباب: أن كل وجود وإحسان فهو فضل من الله تعالى وجود لا يجب عليه فعله، فما عري عن الخير والإحسان البته فهو العدل المحض، لأن الملك ملكه، والتصرف في الملك المملوك كيف كان عدل ليس بظلم، وإنما يكون الظلم في مملوك الغير، فإن وقع الخير المحض فهو التفضيل المحض، وهذا هو شأن أهل الجنة إذا تقرر هذا،

فشريعة موسى عليه السلام كان فيها من الإحسان أنواع كثيرة، فتلك كلها فضل كتحريم القتل والغصب والزنا والقذف والمسكر من الخمور المغيبة للعقول، وإنما أباح فيها اليسير الذي لا يصل إلى حد السكر، وكإباحة الفواكه واللحوم والزواج وغير ذلك، وهذه كلها أنواع من الفضل، ثم إن عيسى عليه السلام جاء مقررا لها وعاملا بمقتضاها، ومستعملا لأحكامها، ولم يزد شيئا من الأحكام، إنما زاد المواعظ والأمر بالتواضع والرقة والرأفة فلم يأت عيسى عليه السلام بشريعة أخرى حتى يقال: إنها الفضل، بل مقتضى ما قاله أن تكون شريعة الفضل هي شريعتنا، لأنها هي الشريعة المستقلة التي ليست تابعة لغيرها ولا مقلدة سواها، وهذا هو اللايق لمنصب الكمال أن يكون متبوعا لا تابعا، فهذه الحجة عليه لا له، ثم قوله، لا يصنع الأكمل إلا هو سبحانه فهو باطل لأنه لا حجر عليه سبحانه في ملكه، فيأمر بعض خلقه بوضع الأكمل، ويرسل للناس بأوامر وشرايع هي في غاية جلب المصالح، ودرء المفاسد، كما هي شريعتنا المعظمة، ثم قوله: الله تعالى جواد فجاد بأعظم الموجودات وهو كلمته، فجعله متحدا بأفضل المحسوسات، وهو الإنسان باطل لوجوه:

أحدها: أن الجود بالشيء فرع إمكانه، فإن الكرم بالمستحيل محال، فينبغي أن يبين أولا تصور انتقال الكلام النفسي من ذات الله تعالى إلى مريم رضي الله عنها، ثم يقيم الدليل على وقوع هذا الممكن بعد إثبات إمكانه، وقد تقدم بيان استحالة ذلك.

وثانيها: سلمنا أنه ممكن، لكن لم قلتم إن الكلام هو أفضل الموجودات، ولم لا يكون العلم أفضل منه، لأن الكلام تابع للعلم.

وثالثها: أن الذات الواجبة الوجود التي الصفات قائمة بها أفضل من الصفات، لأن الصفات، تفتقر للذات في قيامها، والذات لا تفتقر لمحل بخلاف الصفة.

ورابعها: أن صفتين من الصفات، والصفات بجملتها مع الذات أفضل من الكلام وحده، ولم يقل أحد باتحاد هذا، فالأفضل لم يحصل حينئذ، ولما كان كلام النصراني نوعا من الوسواس اتسع الخرق عليه. والرد أنا نبين أن صفة الكلام والوجود والفضل ظهرت في شريعتنا أكثر من جملة الشرايع، وبيانه من وجوه.

فضائل الإسلام على سائر الإيمان

أحدها: أن معجزات جميع الشرايع ذهبت بذهاب أنبيائها، فوقع الخبط في تلك الشرائع بعد طول المدة، وموت الفرقة الذين شاهدوا المعجزات، وجاء قوم لم يشاهدوا نبيا ولا معجزة، فطغوا وبغوا، وضلوا، وأضلوا، ودثرت تلك الشرايع بهذا السبب، فلم تتم المصلحة بسبب هذا العارض، **ومعجزة شرعنا هي القرآن الكريم** بوصفه ونظمه، وما اشتمل عليه من المغيبات، وحلاوة السماع حلاوة لا يخلقها الآباد، ولا يسئمها الترداد، ووجدنا فيه من المعجزات نحو عشرة آلاف معجزة مسطورة في كتب هذا الشأن، واحدة منها كافية، فكيف بالجميع؟ وجميعها باق بمشاهدة الأخلاف بعد الأسلاف والأبناء بعد الآباء، فلا يزيد الإسلام إلا قوة، ولا الإيمان والتوحيد إلا جدة ولله الحمد على ذلك، فتمت المصلحة، واستمرت، ودحضت الضلالات ودثرت، فهذا هو الكلام الأشرف والفضل المنوَّف.

وثانيها: أن كل نبي بعث إلى قومه خاصة، ومحمد ﷺ بعث للثقلين جميعا الإنس والجن على اختلاف أنواعها، وبيان ذلك أن أكمل الشرايع المتقدمة شريعة التوراة، مع أن موسى عليه السلام لم يبعث إلا لبني إسرائيل، ولما أخذهم من مصر وعبر البحر لم يعد لمصر، ولا وعظ أهلها، ولا عرَّج عليهم، ولو كان رسولا إليهم لما أهملهم، بل إنما جاء لفرعون ليسلم له بني إسرائيل فقط، فلما انقضى هذه الغرض أهلمهم ولم يعد لمصر البتة، وإذا كان هذا حديث موسى عليه السلام، فغيره أولى، وقد أخبرنا سيد المرسلين بذلك، ولا شك أن المصالح إذا عمت كانت أكمل، وهو المطلوب.

وثالثها: أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس فتكون شرايعها أفضل الشرائع، أما أنها أفضل فلقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [1] ولأنها صنفت من العلوم ما لم يصنف في ملة من الملل، حتى إن العالم الواحد منهم يصنف ألف كتاب في المجلدات العديدة في العلوم المتباينة، ولعله لا يوجد في شريعة الإسرائيليين كلام من النصارى واليهود من التصانيف مثل هذا العدد، فيكون العالم منا قدر شريعتهم

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

بجملتها، وكم فيها من عالم، ولأن العلوم القديمة كلها إنما تحررت فيها من الحساب والهندسة والطب والموسيقى والهيئة، والمنطق، وغير ذلك وجددت هي علوم لم تكن لغيرها من النحو واللغة العربية البديعة، وبسط وجوه الإعراب الذي صنفت فيه الدواوين العظيمة، وعلوم الحديث على اختلاف أنواعها، وعلوم القرآن العظيم على سعتها، وعلوم العروض والشعر والنظم وغير ذلك من العلوم الخاصة بها، وهم أولى بعلوم غيرهم لتلخيصها وإظهار بهجتها، وإزالة فاسدها عن صحيحها، وبسطها بعد قبضها عند غيرها، فصار علم الوجود منحصرا فيها أولا وآخرا، فتكون أفضل، ولأن ما وهبه الله تعالى لهم من جودة العقول وقوة الإدراك، وتيسير ضبط العلم لم يحصل لغيرها مضافا لقوة الحفظ وجودة الضبط الذي لم ينقل عن أمة من الأمم وهو دليل كثرة علومها، ولولا ذلك لم يكثر العلوم فيها ولها، وأما أنها إذ كانت أفضل الأمم تكون شريعتنا أفضل الشرائع، فلأنها إنما نالت ذلك ببركة شريعتها، واتباع نبيها ﷺ ومتى كانت الثمرة أفضل كان المثمر أفضل.

ورابعها: أن الله تعالى جعل عبادة الأمة في هذه الشريعة على نسق الملائكة عليهم السلام تسوية بين الملائكة، وهذه الأمة في صفة العبادة فكل الأمم يصلون همجا من غير ترتيب إلا هذه الأمة تصلي صفوفا كما تصلي الملائكة لقوله تعالى إخبارا عن قول الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [1] والشريعة المشتملة على أحوال الملائكة أفضل من غيرها، فشريعتنا أفضل الشرائع.

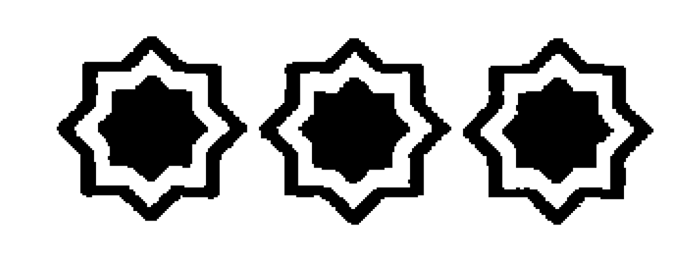
وخامسها: أن سائر الأمم أمرت بتطهير الباطن عن الرذائل والأخلاق الشيطانية فقط، وهذه الأمة أمروا بذلك وزيد لها وحدها الأمر بتطهير الظاهر بالوضوء والغسل، واجتناب النجاسات، والقذورات فيقف الراهب يناجي ربه ويتمثل بين يديه لخطابه والعذرة قد تحجرت على سوءته، والقاذورات قد غلبت على أطرافه وسحنته، حتى لو وقف ذلك الراهب قدام شيخ ضيعته لمقته، وقبح حالته، فكيف بملك الملوك ورب الأرباب؟ وأمر المسلم إذا ناجى ربه أن يكون نقي الباطن نظيف الظاهر. حسن الهيئة مستقبلا أفضل الجهات ملازما للسكينة والوقار، تاركا للعبث والنفار، فكل حالاته هي

---

(١) سورة الصافات: الآيتان ١٦٥، ١٦٦.

والاستعانة على الدين والدنيا بها واقع في نظر الحكمة، وأتم في مراعاة المصلحة، فتكون هذه الشريعة أفضل الشرائع وهو المطلوب.

وعاشرها: أنا لا نعلم في شريعة من الشرائع إلا إعلاما بالأوقات المعينات للصلوات بشيء يشتمل على مصلحة غير الإعلام، فاليهود يعلمون بالبوق، والنصارى بضرب خشبة على خشبة، أو نوع آخر من الجمادات يسمونه الناقوس، وغير هاتين الملتين تعلم بالنيران، ومعلوم أن هذه الأمور لا تحصل إلا مصلحة الإعلام، وشرع في هذه الشريعة وحدها الأذان، فحصل الإعلام، ومصلحة أفضل وهي الثناء على الملك العلام، وتجديد كلمة الإيمان، وتفخيم قدر رسول الملك الديان، والحض على الصلاة وجميع سبل النجاة بقوله: حي على الصلاة، حي على الفلاح، والفلاح خير الدنيا والآخرة، وكلمة حي أمر وتحضيض على ما بعدها، وفي إيقاظ الغافلين، وانتشار ذكر الذاكرين بالمجاوبة للمؤذنين، وفيه الإشعار للتوحيد، وأنواع التمجيد بدوي الأصوات بين الأرض والسموات على أعلى البنايات، وأين هذا من النفخ في البوقات، وقراقع الخشبات، ومعلوم أن هذه مصالح جليلة ومناقب فضيلة لم تقرر إلا في هذه الشريعة المحمدية، وهذه الأمة الطاهرة الذكية، وذلك مما يوجب شرفها على غيرها وهو المطلوب، ولنقتصر على هذه النبذة في هذا المختصر اللطيف، وإلا فمحاسن الشريعة لا يحصى عدها ولا يخبو زندها، وهذا هو آخر الرسالة والجواب عنها.





في الجواب عن أسئلة عبثوا بها ولنذكر منها خمسة عشر سؤالا تكميلا للفائدة.

السؤال الأول:

قالوا: اليهود والنصارى أمتان عظيمتان طبقوا مشارق الأرض ومغاربها وكلهم يخبر أن المسيح عليه السلام صلب، وهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب، والإنجيل أيضا مخبر عن الصلب، فإذا جوزتم كذبهم وكذب ما يدعى أنه الإنجيل، وأن مثل هؤلاء ممكن تواطؤهم على الكذب لزم المحال من وجوه:

أحدها: يتعذر عليكم كون القرآن متواترا.

وثانيها: أن قاعدة التواتر تبطل بالكلية فإن غاية خبر التواتر يصل إلى مثل هذا.

وثالثها: أن إنكار الأمور المتواترة جحد للضرورة، فلا يسمع، فلو قال إنسان: الخبر عن وجود بغداد ودمشق كذب لم يسمع ذلك منه، وعد خارجا عن دائرة العقلاء، وحينئذ يتعين أن القول بالصلب حق، وأن أخبار القرآن والمسلمين عن عدم ذلك مشكل؟

والجواب: من وجوه: **أحدها:** أن جميع النصارى واليهود على كثرتهم يوردون هذا السؤال، وهم لا يعلمون حقيقة التواتر، ولا شروطه، وإنما فهم ذلك وغيره هذه الأمة المحمدية والملة الإسلامية لشرفها وعلو قدرها واختصاصها بمعاقد العلوم، وأذمتها دون غيرها وها أنا أوضح ذلك.

فأقول: التواتر له شروط:

الشرط الأول: أن يكون المخبر عنه أمرا محسوسا، ويدل على اعتبار هذا الشرط أن الأمة العظيمة قد تخبر عن القضايا العظيمة وهي باطلة كأخبار المعطلة عن عدم الصانع، والمجسمة عن التجسيم، والفلاسفة عن قدم العالم، وهم كثيرون مع بطلانه، وسببه أن مجال النظر بحجة الغير يكثر فيها وقوع الخطأ، فلا يثق الإنسان بالخبر عن العقليات حتى ينظر فيجد البرهان القطعي يعضد ذلك الخبر، فحينئذ يقطع بصحة ذلك الخبر.

· أما الأمور المحسوسة مثل المبصرات ونحوها فشديدة البعد عن الخطأ، وإنما يقع الخلل من التواطؤ على الكذب، فإذا كان المخبرون يستحيل تواطؤهم على الكذب جعل القطع بصحة الخبر.

الشرط الثاني: استواء الطرفين والواسطة وتحرير هذا الشرط أن المخبرين لنا إذا كانوا عددا يستحيل تواطؤهم على الكذب وكانوا هم المباشرين لذلك الأمر المحسوس المخبر عنه حصل العلم بخبرهم، وإن لم يكن المخبر لنا هو المباشر لذلك الأمر المحسوس، بل ينقلون عن غيرهم أنه أخبرهم بذلك، فلا بد أن يكون الغير المباشر عددا يستحيل تواطؤهم على الكذب فإنه إن جاز الكذب عليه وهو أصل المخبرين لنا، فإذا لم يبق الأصل لم يبق الفرع عليه، فلا يلزم من كون المخبر لنا يستحيل تواطؤهم على الكذب حصول العلم بخبرهم، لجواز فساد أصلهم المعتمدين عليه، فيتعين أن يكون الأصل عددا يستحيل تواطؤهم على الكذب، فهذا معنى قولنا: استواء الطرفين في كونهما عددا يستحيل تواطؤهما على الكذب شرط، فإن كان المخبر لنا عددا يستحيل تواطؤهم على الكذب، وأصلهم الذي ينقلون عنه كذلك، لكن أصلهم لم يباشر ذلك الأمر المحسوس، بل ينقل عن غيره أيضا، فأصل ذلك الأصل يجب أن يكون عددا يستحيل تواطؤهم على الكذب أيضا لما تقدم، وفي هذه الصورة حصل طرفان وواسطة فانظر!! فإن المخبر لنا، والمباشر الأول، والواسطة التي بينهما، فيجب استواء الطرفين والواسطة والوسايط مهما تكثرت شرط في كونهم عددا يستحيل تواطؤهم على الكذب، فينقسم بهذا التحرير التواتر إلى طرف فقط، وإلى طرفين بلا واسطة، وإلى طرفين وواسطة والثلاثة أقسام مشتركة في هذا الشرط إذا تقرر حقيقة التواتر؟

فنقول: الحس إنما يتعلق بأن هذا مصلوب على هذه الخشبة، وإما أنه عيسى عليه السلام نفسه، أو غيره، فهذا لا يفيده الحس البتة، بل إنما يعلم بقراين الأحوال إن وجدت، أو بأخبار الأنبياء عليهم السلام عن الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، والذي يدل على أن الحس لا يفرق بين المتماثلات أنا لو وضعنا في إناء رطلا من الماء، أو الزيت، أو نحو ذلك، وأريناه الإنسان، ثم رفعنا ذلك المايع، ووضعنا فيه رطلا آخر من ذلك المايع، ثم أريناه لذلك الإنسان وقلنا له: هذا الماء هو عين الماء الأول، أو مثله، فإنه إذا أنصف يقول: الذي أدركه بحسي إن هذا ماء بالضرورة، أما

أنه عين الأول، أو مثله، فلا أعلم لكون الحس لا يحيط بذلك هذا في المايعات، وكذلك كف من تراب، أو أوراق الأشجار أو أنواع الحبوب كالحنطة إذا أخذ منها حقتان ونحو ذلك وكذلك الحيوانات الوحشية شديدة الالتباس على الحس إذا اتحد النوع في اللون والسن والغلظ، وإنما كثرت الفروق في الحيوانات الإنسية، وسر ذلك أن أسباب النشأة في الوحشية مشتركة كالمياه والمراعى، والبراري والحيوان الإنسي يختلف ذلك فيه بحسب معتنيه اختلافا كثيرا، فينشأ بحسب دواعي بنى آدم في السعة والضيق وإيثار نوع من العلف على غيره، ومكان مخصوص على غيره وإلزام الحيوان أنواعا من الأعمال والرياضة دون غيرها، فيختلف الحيوان الإنسي بحسب ذلك، ثم يتصل ذلك بالنطف في التوليد مضافًا إلى ما يحصل للولد من داعية مربية فيعظم الاختلاف، والحيوان الوحشي سلم عن جميع ذلك، فتشابهت أفراد أنواعه، ولا يكاد الحس يفرق بين نوعين منه البتة إذا تقرر أن الحس لا سلطان له على الفرق بين المثيلين، ولا التمييز بين الشيئين، فيجب القطع أن كون المصلوب هو خصوص عيسى عليه السلام دون شبهة، أو مثله ليس مدركا بالحس، وإذا لم يكن مدركا بالحس جاز أن يخرق الله تعالى العادة لعيسى عليه السلام بخلق شبهه في غيره، كما أخرق العادة في إحياء الموتى وغيره، ثم يرفعه ويصونه عن إهانة أعدائه، وهو اللائق بكريم الآية في إحسانه لخاصة أنبيائه وأوليائه، وإذا جوز العقل مثل هذا مع أن الحس لا مدخل له في ذلك بقي إخبار القرآن عن عدم الصلب سالما عن كل معارض مؤيدا بكل حجة، وسقط السؤال بالكلية.

وثانيها: سلمنا أن الحس يتعلق بالتفرقة بين المثيلين والتمييز بين الشبيهين، لكن لا نسلم أن العدد المباشر للصلب كانوا بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب، ويدل على أنهم ليسوا كذلك، إن الحواريين فروا عنه لأنه لو وجد أحد منهم لقتله اليهود، فحينئذ عدد التواتر متعذر من جهة شيعة النصارى، فخبر النصارى عن أسلافهم لا يفيد علما، بل هو حزر وتخمين، لا عبرة به، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [1] أي هم لا يتيقنون ذلك، بل يحزرونه بالظن والتخمين: وأما من جهة الملة اليهودية فلأن المباشر منهم للصلب إنما هم الوزعة[2]، وأعوان الولاة، وذلك

---

(١) سورة النساء: الآيتان: ١٥٧، ١٥٨.

(٢) الوزعة: الأعوان وهم يكفون الناس عن الشر في الأصل.

في مجرى العادة يكون نفرا قليلا كالثلاثة ونحوها، يجوز عليهم الكذب، ولا يفيد خبرهم العلم، وبكون العادة خولفت، وخرج للصلب عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب يفتقر إلى نقل متواتر، فإنه لو وقع ونقل بأخبار الآحاد لم يحصل لنا علم بالصلب، فإن المتواترات إذا نقلت بأخبار الآحاد سقط اعتبارها في إفادة العلم لجواز كذب الناقل، فلا يكون عدد التواتر حاصلاً في نفس الأمر، والنصارى واليهود إنما يعتمدون على التوراة والإنجيل، ولا يوجد يهودي ولا نصراني على وجه الأرض يروي التوراة والإنجيل عدلا عن عدل إلى موسى، أو عيسى عليهما السلام، وإذا تعذرت عليهم رواية العدل عن العدل، فأولى أن يتعذر التواتر، ولم يبق في الكتابين إلا أخبار وتواريخ بعيدة الزمان جدا بحيث أن التواريخ الإسلامية أصح منها لقرب عهدها، مع أنه لا يجوز الاعتقاد في فروع الديانات على شيء من التواريخ فضلا عن أصول الأديان، وإذا ظهر أن مستند هذين الأمتين العظيمتين في العدد في غاية الضعف كان إخبارها في نفسها في غاية الضعف، لأن الفرع لا يزيد على أصله.

وثالثها: أن نصوص الإنجيل والكتب النصرانية متظافرة دالة على عدم صلب عيسى عليه السلام بخصوصه، وذلك من وجوه:

أحدها: قال لوقا: صعد يسوع إلى جبل الجليل ومعه بطرس، ويعقوب، ويوحنا، فبينما هو يصلي إذ تغير منظر وجهه عما كان عليه وأبيضت ثيابه، فصارت تلمع كالبرق، وإذا موسى بن عمران وإيلياء قد ظهرا له، وجاءت سحابة فأظلتهم فوقع النوم على الذين معه، فظهور الأنبياء عليهم السلام، وتظليل السحاب، ووقوع النوم على التلاميذ دليل ظاهر على الرفع إلى السماء وعدم الصلب وإلا فلا معنى لظهور هذه الآيات.

وثانيها: ما في الأناجيل المصلوب استسقى اليهود فأعطوه خلا مذاقا بمر، فذاقه و لم يسـغه فنادى إلهي إلهي لم خذلتني، والأناجيل مصرحة بأنه عليه السلام كان يطوي أربعين يوما وأربعين ليلة، ويقول للتلاميذ: إن لي طعاما لستم تعرفونه، ومن يصير أربعين يوما على العطش والجوع كيف يظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه وأعداء الله بسبب عطش يوم وليلة فإنه عندهم لم يمكث على الخشبة أكثر من يوم وليلة لإجماع الأناجيل، على أن الصلب في الثالثة من يوم الجمعة، ثم أنزل من يومه، ودفن

ليلة السبت وأقام يوم السـبت كله مدفونا، ثم طلب ليلة الأحـد بغلس، فلم يوجد.

ومنهم من قال: أقام ليلة الأحد هذا ما لا يفعله أدنى الناس، فكيف بخواص الأنبياء، فكيف بالرب تعالى عما يدعونه، فيكون حينئذ المدعي للعطش غيره وهو المطلوب.

وثالثها: قوله؛ إلهي إلهي لم خذلتني فتركتني وهو كلام يقتضي عدم الرضاء بالقضاء، وعدم التسليم لأمر الله تعالى، وعيسى عليه السلام منزه عن ذلك، فيكون المصلوب غيره لا سيما وهم يقولون: إن المسيح عليه السلام إنما تعنى ونزل ليؤثر العالم بنفسه، ويخلصه من الشيطان ورجسه، فكيف يروون عنه أنه تبرم بالإيثار، واستقال من العثار مع روايتهم في توراتهم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام لما حضرهم الموت كانوا مستبشرين بلقاء ربهم فرحين بانقلابهم إلى سعيهم، ثم لم يجزعوا من الموت، ولا هابوه، ولا استقالوا مذاقه، ولا عابوه، مع أنهم عبيده، والمسيح بزعمهم ولد ورب، فكان ينبغي أن يكون أثبت منهم، ولما لم يكن كذلك دل على أن المصلوب غيره وهو المطلوب.

السؤال الثاني:

قالوا: القول بإلقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام يفضي إلى السفسطة والدخول في الجهالات، وما لا يليق بالعقلاء، وبيان ذلك أنا إذا جوزنا إلقاء شبه الإنسان على غيره، فإذا رأى الإنسان ولده لم يثق بأنه ولده، ولعله غيره ألقى عليه شبه ولده، وكذلك القول في امرأته وسائر معارفه لا يثق الإنسان بأحد منهم، ولا يسكن إليهم، ونحن نعلم بالضرورة أن الإنسان يقطع بأن ابنه هو ابنه، وأن كل واحد من معارفه هو هو من غير شك ولا ريبة، بل القول بالشبه يمنع من الوثوق بمدينة الإنسان ووطنه إذا دخله، ولعله مكان آخر ألقي عليه الشبه، فلا يثق بوطنه، ولا بسكنه، ولا بشيء مما يعرفه ويألفه، بل إذا غمض الإنسان عينه عن صديقه بين يديه، ثم فتحها في الحال ينبغي له أن لا يقطع بأنه صديقه، لجواز أن يلقى شبهه على غيره، لكن جميع ذلك خلاف الضرورة، فيكون القول بالشبه خلاف الضرورة فلا يسمع كالقول بأن الواحد نصف العشرة!!

والجواب: من وجوه:

أحدها: أن هذا تهويل ليس عليه تعويل، بل البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمة

على أن الله تعالى خلق الإنسان، وجملة أجزاء العالم، وأن حكم الشيء حكم مثله، فما من شيء خلقه الله تعالى في العالم إلا هو قادر على خلق مثله إذ لو تعذر خلق مثله لتعذر خلقه في نفسه، فيلزم أن يكون خلق الإنسان مستحيلا، بل جملة العالم، وهو محال بالضرورة، وإذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شيء في العالم، فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام لها أمثال في حيز الإمكان في العدم يمكن خلقها في محل آخر غير جسد عيسى عليه السلام ، فيحصل الشبه قطعا، فالقول بالشبه قول بأمر ممكن، لا بما هو خلاف الضرورة، ويؤنس ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية في عصاة موسى عليه السلام وهو أعظم من الشبه، فإن جعل حيوان يشبه حيوانا أقرب من جعل نبات يشبه حيوانا، وقلب العصا مما أجمع عليه اليهود والنصارى كما أجمعوا على قلب النار لإبراهيم عليه السلام بردا وسلاما، وعلى قلب لون يد موسى عليه السلام ، وعلى انقلاب الماء خمرا وزيتا للأنبياء عليهم السلام، وإذا جوزوا مثل هذا فيجوز إلقاء الشبه من غير استحالة.

وثانيها: أن الإنجيل ناطق بأن المسيح عليه السلام نشأ بين أظهر اليهود وكان في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم يعظمهم ويعلمهم ويناظرهم، ويعجبون من براعته، وكثرة تحصيله حتى يقولون: أليس هذا ابن يوسف، أليس أمه مريم؟ أليس إخوته عندنا، فمن أين له هذه الحكمة؟ وإذا كان في غاية الشهرة والمعرفة عندهم، وقد نص الإنجيل على أنهم وقت الصلب لم يحققوه حتى دفعوا لأحد تلاميذه ثلاثين درهما ليدلهم عليه، فجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان، ومعه جماعة من اليهود معهم السيوف والعصي من عند رؤساء الكهنة، وقال لهم التلميذ: واسمه يهوذا: الرجل الذي أقبله هو مطلوبكم، فأمسكوه، فلما جاء قال: السلام عليكم يا معلم الخير، ثم قبله فقال له يسوع: ألهذا جئت يا صاحب، فوضعوا أيديهم عليه وربطوه فتركه التلاميذ كلهم، وهربوا، وتبعه بطرس من بعيد، فقال له رئيس الكهنة: بالله الحي أنت المسيح، فقال له المسيح: أنت قلت ذاك، وأنا أقول لكم إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى تروه جالسا عن يمين القوة آتيا في سحاب السماء، فهذا اللبس العظيم بعد تلك الشهوة العظيمة نحو ثلاثين سنة في المحاورات العظيمة، والمجادلات البالغة أيدل في وقوع الشبه قطعا؟

وثالثها: أن في الإنجيل أنه أخذ في حندس من الليل مظلم من بستان شوهت

صورته وغيرت محاسنه بالضرب والسحب، وأنواع النكال[١]، ومثل هذه الحالة توجب اللبس بين الشيء وخلافه، فكيف بين الشيء وشبهه؟ فمن أين للنصارى أو اليهود القطع بأن المصلوب هو عين عسى عليه السلام دون شبهه؟ بل إنما يحصل الظن والتخمين كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [٢].

ورابعها: قال يوحنا: كان يسوع عليه السلام مع تلاميذه بالبستان، فجاء اليهود في طلبه، فخرج اليهم عليه السلام ، وقال لهم: من تريدون؟ قالوا: يسوع، وقد خفي شخصه عنهم، ففعل ذلك مرتين، وهم ينكرون صورته، وذلك دليل الشبه، ورفع عيسى عليه السلام لا سيما وقد حكى بعض النصارى أن المسيح عليه السلام قد أعطي قوة التحول من صورة إلى صورة.

وخامسها: قال متى: بينما التلاميذ يأكلون طعاما مع يسوع عليه السلام قال: كلكم تشكون فيَّ هذه الليلة، لأنه مكتوب أني أضرب الراعي، فتفرق الغنم، فقال بطرس: لو شك جميعهم لم أشــك أنا، فقال يســوع: الحق أقول لك إنك في هذه الليلة تنكرني، قبل أن يصيح الديك، فقد شهد عليهم بالشــك، بل على خيارهــم بطرس، فإنه خليفته عليهم، فقد انخرمت الثقة بأقوالهم وجزمهم، بعدم إلقاء الشبه على غيره، وصح قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [٣].

وسادسها: أن في الإنجيل المتيِّ أن يهوذا دل عليه بثلاثين درهما دفعها إليه اليهود، وزاد مرقس أنهم لما قبضوه تخلى عنه التلاميذ وهربوا، فأتبعه شاب عريان وهو ملتف في ردائه فراموا قبضه، فأسلم الرداء ونجا عريانا، زاد لوقا أن إيلاطيس القائد لما علم أنه من طاعة هردوس بعثه إليه، وزاد يوحنا أن المسيح عليه السلام تقدم للجماعة وقال لهم: من تريدون؟ فقالوا: يسوع، فقال: أنا هو، وكان يهوذا الدال عليه واقفا معهم، فلما قال لهم: أنا هو قهقروا إلى خلف، فتساقطوا في الأرض، ثم سألهم وقال: من تريدون؟ فقالوا:يسوع، فقال: قد قلت لكم: أنا هو، فإن كنتم إنما تريدونني فأطلقوا هؤلاء،

---

(١) النكال: العقوبة والعذاب.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٧-١٥٨.

(٣) سورة النساء: الآية ١٥٧.

وذكر لوقا أن يهوذا الدال عليه لما بصر ما فعل له ندم ورد الدراهم، وقال: أخطأت إذ بعت دما صالحا، فقالوا له ما علينا أنت بريء، فألقى الدراهم في البيت، وتوجه إلى موضع خنق فيه نفسه.

فنقول: هذه الأناجيل ليست قاطعة في صلبه، بل فيها اختلافات منها أنه يحتمل أن يهوذا كذب لهم في قوله هو هذا، ويدل على وقوع ذلك ويقويه ظهور الندم بعد هذا، وقول المسيح عليه السلام له يا صديق لم أقبلت، ولو كان مصرا على الفساد لما سماه صديقا، ولأن الإنجيل شهد أن المسيح عليه السلام شهد للتلاميذ الاثني عشر بالسعادة، وشهادته حق، والسعيد لا يتم منه هذا الفساد العظيم إذا شرع فيه، ويهوذا أحد الاثني عشر، فيلزم إما كون يهوذا ما دل، أو كون المسيح عليه السلام ما نطق بالصدق، أو أن كتابكم محرف، اختاروا واحدة من هذه الثلاث؟ ومنها أن يحتمل أن المسيح عليه السلام ذهب في الجماعة الذين أطلقهم الأعوان، وكان المتكلم معهم غيره ممن يريد أن يبيع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح عليه السلام ، وهذا ليس ببعيد في أتباع الأنبياء عليهم السلام، لاسيما أتباع الإله على زعمهم.

ومنها: أن الأعوان اتخذوا عليه رشوة وأطلقوه، كما أخذوا رداء الشاب المتقدم ذكره، وأطلقوه، وإذا نقلتم أن يهوذا التلميذ مع جلالته قبل الرشوة على أن يعين على أخذه، فقبول الأعوان الرشوة في إطلاقه أقرب، ومنها أنه يحتمل أن الله صور لهم شيطانا، أو غيره بصورته وصلبوه، ورفع المسيح عليه السلام ، ويدل على ذلك أنهم سألوه فسكت، وفي تلك السكتة تغيبت تلك الصورة، وهذا ممكن، والله تعالى على كل شيء قدير، وأنتم ليس عندكم نصوص قاطعة بصلبه لما بينا فيها من الاحتمالات واليهود أيضا ليسوا قاطعين بذلك، لأنهم إنما اعتمدوا على قول يهوذا فأي ضرورة تدعوكم إلى إثبات أنواع الإهانة والعذاب في حق رب الأرباب على زعمكم أيها الدواب!! الذي يفضي من ضعف عقولهم العجب العجاب.

عجبي للمسيح بين النصارى ... وإلى أي والد نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا ... إنهم بعد قتله صلبوه
وإذا كان ما يقولونه حقا ... وصحيحا فأين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين الأعادي ... أتراهم أرضوه ، أم أغضبوه

فلئن كان راضيا بأذاهم   فاحمدوهم لأنهم عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوه   واعبدوهم لأنهم غلبوه

وهذه الأبيات برهان قاطع على النصارى لا يحتاج معها إلى شيء آخر، فلقد أصبحوا هزءة للناظر، ومصنعة للمناظر، ولله سر في إبعادهم عن مقام الكرامة، وتخصيصهم تخصيص السخط والندامة لما طبعوا عليه من الجهالة واللامة.

السؤال الثالث:

يشترك فيه اليهود والنصارى، وهو أن المسلمين يدعون أن الشريعة المحمدية نسخت كثيرا من أحكام التوراة كتحريم الشحوم، ولحوم الإبل، وصيد السبت، ومخالطة الحائض وتحريم اليسير من الخمر، ونحو ذلك وهو محال، لأن القول بالنسخ يقتضي تجويز البدء، أو الندم على الله تعالى وهو محال، فالنسخ محال، فيكون شريعة التوراة مستمرة إلى قيام الساعة والشريعة المدعية للنسخ باطلة وهو المطلوب، ثم إنا نقول: الفعل إن كان مصلحة حسنة في نفسه، وجب أن لا يحرم، أو مفسدة في نفسه وجب أن لا يؤمر به، فالقول بالنسخ يؤدي إلى انقلاب الحقائق بأن يصير الحسن قبيحا، وقلب الحقائق محال، فالنسخ محال، وأيضا كلام الله تعالى قديم، وحكمه كلامه، فيكون الأمر والنهي قديمين، فيجتمع الأمر والنهي في الفعل الواحد، وهو محال، فيكون النسخ المفضي إليه محالا وهو المطلوب.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن النسخ ليس فيه بداء ولا ندم، لأن البداء والندم أن يظهر ما لم يكن ظاهرا قبل ذلك كما يبدو للإنسان في سفره، أو يندم عليه إذا ظهر له أن الإقامة هي المصلحة، وقبل ذلك كان جاهلا لمصلحة الإقامة، والله سبحانه وتعالى بكل شيء عليم، فالبداء والندم عليه محالان، لكن معنى النسخ أنه سبحانه علم في الأزل أن تحريم الشحوم مثلا مصلحة للمكلفين في الزمن الفلاني ومفسدة للمكلفين في الزمن الفلاني، ويعلم في الأزل أنه تعالى يشرعه في وقت المصلحة، وينسخه وقت المفسدة، فالحكم الناسخ، والحكم المنسوخ كلاهما معلوم لله تعالى أزلا وأبدا، ولم يتجدد في العلم ما لم يكن معلوما حتى يلزم البداء، بل الأحكام تابعة لمصالح الأوقات، واختلاف الأمم، وليس في هذا شيء من المحال.

وثانيها: اتفاق اليهود والنصارى على أن آدم عليه السلام شرع الله تعالى له تزويج الأخ من أخته التي ليست توأمته، مع اتفاقنا على تحريم ذلك بعد آدم عليه السلام ، وهذا هو حقيقة النسخ، فقد اعترفوا به فلا يكون محالا على الله تعالى.

وثالثها: أن من أحكام التوراة أن السارق إذا سرق في المرة الرابعة تثقب أذنه ويباع، وقد اتفقنا على نسخ ذلك، فيكون النسخ جائزا إجماعا، فلا يكون محالا على الله تعالى.

ورابعها: أن فريقي النصارى واليهود متفقان على أن في التوراة أن الله تعالى قد أبدل ذبح ولد إبراهيم بالكبش، وذلك أشد أنواع النسخ، لأنه نسخ قبل فعل شيء من نوع المأمور، أو أفراده، وإذا شهدت التوراة بأشد أنواع النسخ، فجواز غيره بطريق الأولى.

وخامسها: أن في التوراة أن الجمع في النكاح بين الحرة والأمة كان جائزا في شرع إبراهيم عليه السلام لجمعه بين سارة الحرة، وهاجر الأمة وقد حرمته التوراة.

وسادسها: أن في التوراة قال الله تعالى لموسى عليه السلام : اخرج أنت وشعبك من مصر لترثوا الأرض المقدسة التي وعدت بها أباكم إبراهيم أن أورثها نسله، فلما صاروا إلى التيه قال الله تعالى: لا تدخلوها لأنكم عصيتموني وهو عين النسخ.

وسابعها: تحريم السبت فإنه لم يزل العمل مباحا إلى زمن موسى عليه السلام ، وهو عين النسخ.

وثامنها: أن في التوراة ما هو أشد من الندم والبدل، ففيها مرض ملك اليهود حزقيال، وأوحى الله تعالى إلى أشعياء عليه السلام قل لحزقيال يوصي فإنه يموت من علته هذه، فأخبره فبكى جزقيال، وتضرع فأوحى الله تعالى إلى أشعياء أنه يقوم من علته، وينزل إلى الهيكل بعد ثلاثة أيام، وقد زيد في عمره خمس عشرة سنة، ومثله في التوراة كثير.

وتاسعها: في السفر الأول لما نظر بنو الله بنات الناس حسانا ونكحوا منهم قال الله تعالى: لا تسكبن الروح بعدها في بشر وإقامتهم مائة وعشرين سنة، فأخبرت التوراة أنه لا يعيش أحد أكثر من هذا، ثم أخبرت أن أرفخشد عاش بعد ما ولد له سالح أربعمائة

وثلاث سنين، وأرغو مائتي سنة، وإبراهيم عليه السلام مائة سنة، وذلك كثير في التوراة، وإذا صرحت توراة اليهود بمثل هذه الأمور لا يسمع كلامهم بعد ذلك في النسخ.

وعاشرها: أن النسخ على وفق رعاية المصالح، ورعاية المصالح جائزة على الله تعالى بيان أن النسخ على وفق رعاية المصالح أن الأمم مختلفون في القوة والضعف واليسار، والإعسار، ولين القلوب وغلظها وإقبالها وعتبها، بل الإنسان الواحد تختلف أحواله في الأزمنة المختلفة، فإذا شرع الله تعالى حكما لمعنى، ثم تغير ذلك المعنى فمقتضى رعاية المصالح نسخ ذلك الحكم إلى ضده، أو نقيضه كما وجب الذبح على إبراهيم لإسحاق عليهم السلام ليظهر الإنابه، والتسليم لقضاء الله تعالى من الاثنين، فلما ظهر ذلك وحصلت مصلحة الابتلاء، فرعاية المصالح تقتضي نسخ وجوب الذبح، فيكون النسخ على وفق رعاية المصالح، وأما أنه إذا كان على وفق رعاية المصالح يكون جائزا فلأن رعاية المصالح جائزة على الله تعالى إجماعا، وإنما اختلف الناس هل تجب أم لا، ومذهب أهل الحق عدم الوجوب لما قد تقرر في أصول الدين.

السؤال الرابع:

قال النصارى واليهود: القرآن يشتمل على ما ليس بصحيح، فلا يكون من عند الله، وبيان اشتماله على ذلك ما ينقله المسلمون عنه من قوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [1] ومريم ليست ابنة عمران لأن عمران، أبو موسى عليه السلام وبين موسى عليه السلام ، ومريم رضي الله عنها نحو ستمائة سنة، فأين عمران من مريم رضي الله عنها، حتى يكون أباها.

و الجواب: من وجهين:

أحدهما: نقل أن أباها رضى الله عنها كان اسمه عمران، ولا يلزم من أن اسم أبي موسى عمران أن لا يسمى غيره عمران، واعتقاد وجوب ذلك جهل.

وثانيها: سلمنا أن اسم أبيها ليس عمران، إلا أن عمران أبو موسى عليه السلام جدها من بني إسرائيل، والإنسان يضاف لجده البعيد، كما يضاف لجده القريب، ولولا ذلك لبطلت التوراة والإنجيل في تسمية البطون والأشعاب المتأخرة عن يعقوب عليه السلام ببني

---

(١) سورة التحريم: الآية ١٢.

إسرائيل، لأن يعقوب عليه السلام هو إسرائيل و لم يلدهم، بل بينه وبينهم المئون من السنين، ومع ذلك فكل من جاء إلى يوم القيامة يسمى من بني إسرائيل، وهذا لا غرو فيه، وإنما ينكر ذلك من هو جاهل بوضع اللغات وموارد الاستعمالات، وكذلك كل إنسان يوجد إلى يوم القيامة يسمى ابن آدم عليه السلام ، و لم تزل العرب وغيرها من الأمم تضيف الإنسان إلى أحد أجداده دون أبيه إذا كان أشرف أو أشهر، وعمران عليه السلام كان في غاية الشهرة، فلذلك أضيفت إليه ليتحقق مورد الثناء، ومحل الابتلاء فيها دون غيرها.

السؤال الخامس:

قال اليهود والنصارى مما يستدرك على المسلمين ما في كتابهم من جعل مريم رضي الله عنها أخت هارون صلوات الله عليه، وبينهما ستمائة سنة، فلا تكون أخته، فكيف يخبر كتابهم بأنها أخته؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أنه روي أنه كان في زمانها عابد يسمى هارون، وكانت رضي الله عنها في غاية العبادة، فلما جاءت بعيسى عليه السلام من غير زواج، واتهمها رضي الله عنها بنو إسرائيل بالزنا، قيل لها يا أخت هارون أي في العبادة ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ (١) متعجبين كيف يصدر القبيح من غير محله، وأصل الأخوة التساوي في الصفة، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ (٢) أي مساويتها في الكفر: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ (٣) أي مساويتها في الدلالة، وتقول العرب: هذه العروة أخت تلك العروة، وهذه الواقعة أخت تلك الواقعة، وهذه النعل أخت تلك النعل، ومنه مواخاة الفواصل في السجع، وغيره، وأصل ذلك كله المساواة وسمي أخو النسب أخا لمساواته أخاه في الخروج من تلك البطن لأمهما، أو ذلك الظهر لأبيهما، ولما اجتمعت المساواة في الصفتين للشقيق قويت الأخوة فيه، فسمي شقيقا كالعصا إذا شقت بنصفين فإن المساواة بينهما في غاية القوة، وقيل لآخر أخ للأب، وللآخر أخ للأم إشارة للجهة التي

---

(١) سورة مريم: الآية ٢٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٤٨.

وقعت فيها المساواة، فلما حصلت المساواة بين مريم رضي الله عنها، وبين ذلك العابد سميت أخته على القاعدة، وقيل: كان في ذلك الزمان فاسقا يسمى هرون، فلما اعتقدوا فيها التهمة جعلوها أخته، أي في ذلك الفعل القبيح.

وثانيهما: قيل: إنها من ذرية موسى عليه السلام، وهو أخو هارون فقيل لها: أخت هرون كما جاء في التوراة في الفصل الحادي عشر في السفر الخامس أن الله تعالى قال: إني سأقيم لبني إسرائيل نبيًا من أخوهم مثلك، أجعل كلامي على فيه، وأخوة بني إسرائيل بجملتهم هم بنو إسماعيل، فجعل بني أخي أبيهم إخوهم، فكذلك سميت مريم رضي الله عنها أخت هارون عليه السلام.

السؤال السادس:

قالت النصارى: وافقنا المسلمون على أن المسيح عليه السلام كان يحيي الموتى، وإحياء الموتى مختص بالله تعالى فيصح قولنا: إن المسيح هو الله تعالى، ويبطل قول المسلمين أنه عبد الله من عبيد الله، لأن إحياء الموتى دليل قاطع على ذلك، ولذلك بعث الله النبيين على كثرتهم، ولم يكن فيهم من يحيي الموتى، فدل ذلك على أن الإحياء لا يكون إلا لله، ولذلك أن النمرود لما تعدى طور العبودية حاجه إبراهيم عليه السلام بأن الله يحيي ويميت، ولولا أن الإماتة والإحياء خاصان بالله تعالى لم يحسن ذلك من إبراهيم عليه السلام، وحيث وافق المسلمون على صحة ذلك قامت الحجة القاطعة على المسلمين بربوبية المسيح عليه السلام، وصحة قول النصارى، وأن المسلمين هم المشركون فجعلهم مع الله تعالى من يشاركه في إحياء الموتى، وأن النصارى هم الموحدون لأنهم لم يشركوا مع الله تعالى غيره في خواص ملكه، وهو سؤال عظيم على المسلمين مثبت لشركهم ووحدانية النصارى، وأعظم دليل على صحته تصديق القرآن لصحته بقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [1] فجعل تعالى الإحياء لمن له الإنشاء، وعيسى عليه السلام أحياها، فيكون انشأها أول مرة، وهذا هو الله قطعا، والعجب من المسلمين كيف يغفلون عن مثل هذا، وهو صريح القرآن.

والجواب: من وجوه:

---

(١) سورة يس: الآية ٧٩.

أحدها: أنكم لم تفهموا قول الله تعالى في القرآن، ولا قول المسلمين أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى فإن المسلمين من أولهم إلى آخرهم متفقون على أن الإحياء والإماتة لا يكونان إلا لله تعالى، ويستحيل أن يجعل ذلك لأحد من الخلق كائنا ما كان، وأن عيسى عليه السلام لم يحي قط ميتا، ولا أبرأ أكمه، ولا أبرص، وإنما الفاعل لهذه الأمور هو الله تعالى عند إرادة المسيح عليه السلام ، لا أن المسيح عليه السلام كان يفعل ذلك، كما أن موسى عليه السلام لم يكن يقلب لون يده، ولا يحول جمادية عصاه، بل الله تعالى هو الفاعل لذلك عند إرادته، فالمعجزة في اختصاص إرادتهما بهذه الآثار، لا أنهما الفاعلان لها، فهذا معنى قوله تعالى، وقول المسلمين أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمة، والأبرص، ومن جملة جهالات النصارى اعتقادهم أنه عليه السلام كان هو الفاعل لنفس الإحياء والإبراء، ولا عجب في ذلك فإن جهلهم أعظم من هذا، فالذي حاج به إبراهيم عليه السلام النمرود، إنما هو نفس الإماتة والإحياء اللذين هما خاصان بالله تعالى، فليعلم ذلك، ولذلك حسن احتجاجه عليه السلام ، وكذلك المراد نفس الإحياء في قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [1] فلا يحيي على الحقيقة إلا المنشئ، فاندفع الإشكال، واجتمعت النصوص من غير تناقض، وصح مذهب الإسلام، وإنهم الموحدون حقا، وبطل الكفران والباطل كان زهوقا.

وثانيها: سلمنا أن الإماتة والإحياء أنفسهما كان يفعلهما لكن قد شهد الإنجيل أن الحواريين كانوا يفعلون ذلك، بل نص الإنجيل على أن كل من استقام على شريعة عيسى عليه السلام أحيا ميتا بعد مائتي سنة، وأن الياس واليسع وحزقيال وغيرهم كانوا يحيون الموتى، فإن كان هذا يدل على الربوبية والإلهية، فليكن الحواريون كلهم وداود عليه السلام آلهة مساوين للمسيح عليه السلام في الإلهية، وجميع ما ينسب إليه، ولما لم يقل بذلك أحد دل على بطلان ما اعتمدوا عليه في إلهية عيسى عليه السلام ، فإن قالوا: غير عيسى عليه السلام كان يحيي بإذن عيسى عليه السلام بخلافه؟

قلنا: هذا قائم في حق عيسى عليه السلام ، وهو أنه إنما كان يحيي بإذن الله تعالى فيستوون.

---

(١) سورة يس: الآية ٧٩.

وثالثها: قال الله تعالى في نبوة أشعياء، ويعني المسيح عليه السلام هذا فتاي الذي اصطفيت وحبيبي الذي اورتاحت له نفسي، أنا واضع عليه روحي، ويدعو الأمم إلى الحق، فسماه عبدا مصطفًى على لسان أشعياء مبعوثا مأمورا بدعوة الأمم أسوة غيره من الأنبياء، وهذا هو ما نطق به القرآن، وهو المطلوب لا يقال: الفتى هو الولد عندنا لأنا نقول ليس ذلك عندكم لما في السفر الأول من التوراة لما بلغ إبراهيم عليه السلام أن الملوك أغاروا على سدوم، وسبوا لوطا ابن أخي إبراهيم عليهما السلام عبي فتيانه ثلثمائة وثمانية عشر رجلا، وسار في طلب العدو، فهزمه واستنقذ لوطا وماشيته وجميع ماله، و لم تكن أولاد إبراهيم عليه السلام هذا العدد باتفاق اليهود والنصارى، ففي الإنجيل لمتى مر المسيح عليه السلام بعد قيامه من الدفن على جماعة من تلاميذه يصيدون السمك، فقال: يا فتيان هل عندكم من طعام؟ فأطعموه جزءا من حوت، وشيئا من العسل، وإطلاق لفظ الفتى في التوراة والإنجيل على غير الولد كثير، وقد حمله النصارى في هذا الموضع على الولد، فأتوا للفظ لا ضلال فيه، وحملوه على الضلال، وهو شأن أهل الشقاوة والعناد، وإنما اللايق إذا ورد لفظ الضلال حمل على الهداية، كما هو شأن أهل السعادة والرشاد، فسبحان من جعل الجهل شعارهم، والضلال دثارهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا إذا تقرر معنى ما في الإنجيل، فحينئذ تقول: قد صرح متى بأن الله تعالى معطي ومنعم، وأن المسيح عليه السلام معطى ومنعم عليه، وفتى من فتيان بني آدم وهو المطلوب.

ورابعها: قال متى: أخذ إبليس يسوع المسيح عليه السلام ، وأخرجه إلى البرية ليجربه، وقال له: إن كنت أنت ابن الله فقل لهذه الحجارة تصير خبزا، فقال المسيح عليه السلام ، إنه مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من الله تعالى فأخذه إبليس ومضى به حتى أقامه على أعلى جبل في الأرض، وأراه جميع ممالك العالم، وقال: هذا كله لي، وأنا أعطيكه إن سجدت لي سجدة واحدة، فقال: اغرب عني يا شيطان فإنه مكتوب للرب إلهك أسجد وله وحده أعبد، فمضى به إبليس وأقامه على جناح الهيكل، وقال له: انطرح من هنا إلى أسفل، فإنه مكتوب أن يرسل بعض ملائكته فتحملك حتى لا تعثر رجلك بحجر، فقال المسيح عليه السلام : ومكتوب أيضا لا تجرب الرب إلهك ومضى به إبليس وتركه، وجاءت الملائكة تحرسه، وصام المسيح عليه السلام عند ذلك ثلاثين يوما بلياليها، فقد صرح المسيح عليه السلام في هذه القصة بأنه يعبد الله تعالى،

ويسلك الأدب معه على سنن العباد في عدم تجربة الرب تعالى، وكيف يجرب إبليس المسيح عليه السلام ويسحبه من مكان إلى مكان، ويسومه السجود له، وهو خالق كل شيء وإله العالم عندكم، وعلى هذا التقدير يكون إبليس لا مطمع له فيه، فلما طمع فيه وعامله بتلك المعاملة واعترف المسيح عليه السلام بالعبودية ولزوم الأدب مع الله تعالى دل ذلك على أنه عبد لا رب وهو المطلوب.

وخامسها: وقال متى: سمع هيرودس ملك اليهود خبر يسوع عليه السلام، فقال لغلمانه: أترى يوحنا قد قام من بين الأموات، وهذه القوى تعمل معه، وكان هيرودس قد قتل يوحنا المعمدان فى السجن، وهو يحيى بن زكريا، وأعطى رأسه لابنته هيرديا، وكانت قد تمنت عليه ذلك يوم رقصت فى مجلس لمولود ولد له، فجاء التلاميذ، فأخبروا يسوعًا عليه السلام بمصاب يوحنا فجزع يسوع، وخرج من وقته من الموضع الذي كان فيه منفرداً والله — تعالى — عالم بجميع المعلومات، محيط بسائر الكائنات، قادر على جميع الممكنات جلبا ودفعا وإعطاء ومنعا، فلما لم يعلم المسيح عليه السلام حتى أخبره التلاميذ، وخاف من الجبار لعجزه عن دفع الجبابرة ، كان ذلك دليلا قاطعا على أنه عبد محتاج خلق من جملة الخلق ، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وهو المطلوب.

فإن قالوا: نحن نسلم أن يسوع عليه السلام يخاف ويألم ويجوع ويعطش، وتصيبه جميع آفات البشر، لكن ذلك مخصوص بناسوته دون لا هوته.

قلنا: الاتحاد عندكم لم يبق اللاهوت متميزا عن الناسوت، فلذلك لا يمكنكم تخصيص أحوال البشرية بها.

وسادسها: قال متى: قال رجل للمسيح عليه السلام : يا معلم صالح، فقال له: لا تقل لي صالح، لا صالح إلا الله تعالى الواحد، فأضاف المسيح عليه السلام لربه الوحدة وخصصه بالصلاح ، ونفاه عن نفسه وذلك ينافي الإلهية ويثبت العبودية ويبطل التثليث وهو المطلوب.

وسابعها: قال متى: مر يسوع عليه السلام بشجرة وقد جاع، فقصدها فلم يجد فيها سوى الورق، فقال: لا يخرج منك ثمرة إلى الأبد، فيبست الشجرة لوقتها فتعجب التلاميذ، فقالوا: كيف يبست؟ فقال: الحق أقول لكم إنه لو كان لكم إيمان بغير شك، وقلتم للجبل: تعال واسقط في البحر لفعل، وكان كل ما سألتموه تنالوه، وذلك يدل من وجوه.

أحدها: جوعه وهو ينافي الربوبية، ويثبت العبودية.

وثانيها: عدم علمه بعدم ثمرة الشجرة، والله تعالى بكل شيء عليم، فدل على أنه بشر لا يعلم إلا ما علم، وذلك يثبت عبوديته، وينافي إلهيته.

وثالثها: غضبه على الشجرة، لأنه لما انخرم عليه أمله قوي غضبه، وهذه خاصية البشرية ومنافية للربوبية.

ورابعها: تعجب التلاميذ من يبسها بقوله: ولو كانوا يعتقدون أنه الله تعالى لم يعجبوا من ذلك، فإن اليسوع عند النصارى هو الخالق العالم، والذي تاب على آدم وبيده كل شيء والتلاميذ لم يعتقدوا ذلك، فدل ذلك على عبوديته ﷺ وضلال النصارى.

وخامسها: قوله لهم: لو كان إيمانكم بغير شك لطاوعكم الجبل، ونلتم ما شئتم، ودل ذلك على أنه إنما ظهرت كرامته ﷺ في الشجرة بإيمانه الصادق لا بكونه إله العالم، وإلا كان يكون الجواب لو كنتم مثلي إله وأبناء لله لفعلتم مثل فعلي، ولا كان يحسن ذكر الإيمان، ولما علل به دل ذلك على أنه نبيه، وعلى إثبات عبوديته، وإبطال إلهيته.وهو المطلوب.

وثامنها: قال لوقا: ورد أمر قيصر بتدوين الناس، فمضى يوسف ومريم رضي الله عنهما، وهي حامل بالمسيح ﷺ ليكتتبا مع الناس، فضربها الطلق فولدته ﷺ ، ولفته في الخرق، وتركته في مدود حيث نزل، فلما تمت له ثمانية أيام سموه يسوعا، ولما أكملوا أيام تطهيرهم أقاموه ليقربوا عنه زوج يمام أو فرخي حمام كسنة الناموس، ثم رجعوا إلى ناصرهم؟ فكان الصبي ينشأ ويتقوى بالروح ويمتلي بالحكمة، وكانت نعمة الله تعالى عليه، فلما تمت له اثنتا عشرة سنة مضوا به إلى أورشليم[1]، وحطاه في الهيكل بين العلماء والشيوخ يناجيهم ويسمع منهم، ثم أخذاه وانصرفا به، فنشأته في الأرحام ولفه في الخرق، ونشأته نشأة الصبيان أولا فأولا، وتعلمه من العلماء ما لم يعلمه، وتفهمه ما لم يكن يفهمه واستفادته ممن تقدمه من الشيوخ كل واحد من هذه دليل قاطع على أنه عبد مربوب، لا رب معبود وتعالى رب الأرباب أن تحويه معالف الدواب، بل

---

(١) أورشليم: مدينة القدس.

لا تحويه الأفكار ولا يحده المقدار، بل لا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون والسموات، فالنجا النجا من هذا المذهب الذميم، والوحا الوحا في حل عقد هذا التصميم.

وتاسعها: قال لوقا: قال رجل ليسوع عليه السلام : أتبعك إلى حيث تمضي يا سيدي، فقال له يسوع عليه السلام : للثعالب أجحار وللطيور أوكار، وابن الإنسان ليس له موضع يسند رأسه، فسمى نفسه ابن الإنسان مناقضة لما يقوله النصارى، وقد كرر صلوات الله عليه هذه العبارة في مواضع كثيرة من الإنجيل، ولعله ليس ببعيد من حالة الأنبياء عليهم السلام أن يكون اطلع على ما سيقوله النصارى، فيه، وما يجترئون على الربوبية بسببه، فكان عليه السلام يكرر ما يكون سببا للهداية لمن اهتدى وعذرا له عليه السلام إذا سأل عن ذلك في الموقف غدا، ومع ذلك فلم يفد ذلك النصارى لفرط جهلهم وشدة ضلالهم، ووصف نفسه عليه السلام بغاية التخلي عن الملك، حتى لا يملك مسقطا لرأسه، ولا يجوز شيئا لنفسه، وهذا غاية العبودية.

وعاشرها: قال مرقس في إنجيله: إن نفسي حزينة حتى الموت، ثم خر على وجهه يصلي لله تعالى، وقال: أيها الرب كل شيء بقدرتك أخر عني هذا الكأس لكن كما تريد لا كما أريد أنا، وهو يدل من وجوه:

أحدها : أنه وصف نفسه بالحزن، والله تعالى لا يحزن، بل هو من خصائص البشر.

وثانيها: قول مرقس: يصلي لله والمعبود غير العابد، فلا يكون هو الله.

وثالثها: أنه أخبر عنه أنه سأل الله خير الموت والسائل غير المسئول، فلا يكون هو الله تعالى.

ورابعها: قوله : كما تريد لا كما أريد، جعل إرادة الله تعالى فوق إرادته، فلا يكون هو الله تعالى، وهذه الوجوه كلها دالة على عدم الربوبية، وإثبات العبودية وهو إثبات المطلوب.

السؤال السابع:

قالت اليهود : أجمع المسلمون معنا على صحة شريعة موسى عليه السلام ، وأنه الصادق البر، وقد قال: تمسكوا بالسبت ما دامت السموات والأرض، فلا تكون بعده رسالة أخرى فتبطل رسالة عيسى عليه السلام، ولأنها إنما تثبت بالمعجزة والمعجزة إنما تحصل

العلم لمن باشرها حتى تفرق بينها وبين السحر والسيمياء والشعبذه، قالوا : ونحن أيها اليهود باشر أسلافنا أمر عيسى عليه السلام ، وهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب، وحققوا أمره فوجدوه يتعاطى نوعا من السيمياء، فيظن الناس أحيا الموتى، وليس كذلك، وكذلك جميع ما يعتقده المسلمون أنه معجزه دالة على صدقه، فينبغي تقليدنا لأن المباشرون لحقيقة ما جاء، ونحن يستحيل تواطؤنا على الكذب، فيكون خبرنا قاطعا ضروريا، فمن ادعى خلاف ذلك فدعواه باطلة بالضرورة.

والجواب: عن شبهة اليهود، وإثبات نبوة عيسى عليه السلام من وجوه:

أحدها: البرهان العقلي علي نبوة عيسى عليه السلام أن النبي من جاء بالمعجزة وهو عليه السلام جاء بالمعجزة، فيكون نبيا إما أن النبي من هو كذلك، فبالاتفاق، ولأنا لا نعني بكونه عليه السلام نبيا غير هذا، وإما أنه عليه السلام جاء بالمعجزة فلأن إحياء الموتى من أعظم المعجزات وأما قولهم لا يعلم المعجزة إلا من باشرها فممنوع، بل إذا نقلت أحوال الشخص مع ما ظهر على يده جزم العقل بنبوته، وكذلك بالنقل وتتفاوت مقامات الأنبياء عليهم السلام، والأولياء والعلماء، والملوك والأمم الماضية مما ينقل لنا عنهم، ويقطع بكثير من أحوالهم التي كانوا عليها، وأما قولهم، لأنهم عدد يستحيل تواطؤهم على كذب، فيكون مخالفهم مخالفا للضرورة، فليس بصحيح، بل غلط محض، وجهل صرف، فإن هذه المقدمة إنما تفيد في التواتر، والتواتر، إنما يكون في الأمور الحسيات كما تقدم بيانه، والرسالة والنبوة ليسا من الأمور الحسية، فلا عبرة بكثرة الناقلين فيها، كما لو أخبروا عن قدم العالم، فإنه لا يفيد خبرهم علما، وأحوال المسيح عليه السلام في زهده وصدقه، وإيثاره لآخرته وإعراضه عن الدنيا أمر معلوم من التواريخ القديمة والرسائل المنزلة التي قامت المعجزة على تصديق رسلها، فيحصل القطع بنبوته عليه، وهو المطلوب.

وثانيها: وافقت اليهود لعنهم الله على ظهور الخوارق على يده، وإنما قالوا: هي من قبيل السيمياء، وتارة يقولون: هي من قبيل الشياطين، وعلى كل تقدير جميع ما يقولونه يلزمهم في القلب العصا ثعبانا، واليد بيضاء وفلق البحر ونتق الجبل، وسائر معجزات رسلهم عليهم السلام، فما هو جوابهم عن معجزات رسلهم عليهم السلام هو جوابنا عن عيسي عليه السلام حرفا بحرف.

وثالثها: إن نص التوراة يقتضي نبوته صلوات الله عليه، وهو أن فيها ،لوياسور

وشبيط ميهوذا ومحوقيق مبين رغلا»، وتفسيره لا يزال الملك من آل يهوذا، والراسم من بين ظهرانيهم إلى أن يأتي المسيح ﷺ وكذلك كان مازالت لهم ملوك ودول إلى زمن المسيح صاروا ذمية محقورة ورعية مأسورة، وهذا شيء لا ينكرونه، وهو دليل قاطع علي نبوة عيسى ﷺ ، وأن موسى ﷺ أخبر أنهم يكونون في ذلك الوقت على باطل، وأن الحق يأتي مع المسـيح فيدحض الباطل بالحق، وهذه سنن المرسـلين أبدا، وسـنة الله تعالى في خلقه، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ (1) وفي هذا المقام كابرت اليهود، واشتد عنادها، وقالت: هو المسيح الدجال الذي يأتي في آخر الزمان، ويزعمون أنه ينصر دين موسى ﷺ ، ويظهر الحق على يده، مع أن ملكهم قد ذهب من نحو ألف سنة إلى اليوم، مع أن نص التوراة أنه يستمر حتى يأتي المسيح ﷺ ، وهو مكابرة ظاهرة.

السؤال الثامن :

قالت اليهود والنصارى: لو ثبت الأكل والشرب والنكاح في الجنة، مع أنها دار الكرامة العظمى، والمنزلة العليا التي أبدع الله تعالى فيها حلائل الإحسان، ومقامات الامتنان، لكانت محل الحاجات وإبداء العورات ومصب القاذورات، وذلك ينافي كمالها، ويخرم تمامها، ولذلك إن كثيرا ممن له أنفة المروءة، وأبهة الرياسة يأنف من الأكل بمشهد الناس، فإن تحريك الأشداق، واختلاف اللهوات، وطحن الأضراس، وارتجاج الرأس عورة ظاهرة ومنقصة بادية، ولذلك يستعد لها الناس في المنازل والخلوات، يأنفون من وقوعها في الطرقات والخلوات حتى جعل من جملة قواعد الشرع أن ذلك مخل بالمروءات، ومسقط للشهادات، فدل ذلك على أنه من أفحش العورات، وإذا كان هذا في الأكل والشرب فالنكاح أولى، لأن فيه انكشاف العورتين، وذهاب الحرمتين، وارتفاع الحياءين مضافا لصب القاذورات من الفروج، وما يحصل من الفضلات المستقذرة بسبب الولوج والخروج ويكفي في نقايض هذه الأمور أنها من خصايص هذه البهائم المبعدة لطور الإنسان عن طور الملائكة، والمدخل في حيز البهيمية، فإن الملك عقل بلا شهوة والبهائم شهوة بلا عقل، والإنسان عقل وشهوة،

---

(1) سورة الإسراء: الآية ٨١.

فلذلك توسط بين الفريقين وباين بوصفيه كلا الجهتين، فاذا ظهر ما في هذه الأمور من النقص، وجب الجزم بعدمها من الجنة المقدسة المخصوصة بغاية النعمة، وتمام الكرامة.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن النعيم الجسماني الذي يثبته المسلمون ليس مفسرا بما ذكرتموه من التشنيع، بل على وفق الكرامة الربانية، والسعادة الأبدية، وتقريره: أنا نجد في هذه الدار الملاذ الجسمانية تترتب على أسباب عادية، فالملاذ إما علوم خاصة حسية كإدراك الحلاوة، وأنواع الطعوم الملائمة، وإدراك الأرايج المناسبة لجوهر النفس البشرية، وإدراك الملامسة للأجسام الموافقة لجواهر الطباع، وإدراك المبصرات من الألوان والأضواء، وتفاصيل أنواع الحسن والجمال وغيرها من المبصرات السارة للنفس، وكذلك القول في بقية الحواس، وإما إدراك الأحوال النفسانية كاستشعار النفس حصول الشراب والغذاء عند حاجتها للاغتذاء، والإرواء ونحو ذلك، فهذه هي الملاذ الجسمانية، ولذلك حد الفضلاء اللذة بقولهم: هي إدراك الملائم، فجمعوا الجميع في هذا الحد الشامل، وأما أسبابها العادية فهي المباشرة لأنواع المآكل والمشارب والمناكح ونحو ذلك، ثم هذه المباشرة تقترن بها في العادة حاجات للمتناولات وقاذورات تقترن بالمباشرات، فالمسلمون يدعون من هذه الأقسام الثلاثة الأولين فقط دون الثالث، فيثبتون اللذات وأسبابها مجردة عن القاذورات، وأنواع الحاجات، فيقولون: الأكل والشرب والنكاح في الجنة من غير ألم جوع، ولا عطش، ولا بصاق، ولا مخاط، ولا دمع، ولا بول، ولا غائط، ولا ريح منتن، ولا حيض، ولا مني، ولا رطوبات مستقذرة، ولا إبداء عورة منقصة، ولا زوال أبهة معتبرة، ولا شيء مما يعاب بنوع نقيصة، بل يجد المؤمن غاية ما يكون من لذة الأكل بمباشرة أنفس المآكل من غير بصاق، ولا تلويث، ولا ألم جوع سابق، ولا شين لا حق، وكذلك يحصل أعظم ما يكون من لذة الشرب عند مباشرة أشرف المشروبات من غير عطش، ولا حاجة سابقة، ولا تلويث لا حق، ولا شيء يعاب، وكذلك يحصل الجماع بمباشرة أجمل الموطوءات من الحوريات والآدميات التي كل واحدة منهن لو ظهرت لأهل الأرض لهاموا أجمعين بجمالها، وتحيرت عقولهم بجلالها، وبديع حسنها، وفايق محاسنها، ورائق تركيبها في جملتها، وتفصيلها مكسوة من الحلي والحلل ما أقله خير من ملك الدنيا، وما فيها قد نشأت في السعادة الأبدية

وهيئت للكرامة الإلهية وأبدعت بمتسع شمول القدرة الربانية، ومع ذلك فقد تناسب خلقها وخلقها، وطبعت على الميل من غير نفار، وعلى المحبة من غير ازورار، قد وصلت في محبة المؤمن، وتعظيمه والأدب معه، وإظهار المسرة به والتشرف بقربه إلى أفضل الغايات، وتجاوزت في الحسن والإحسان إلى أقصى النهايات.

وللحسن والإحسان معنى ورونق إذا أمكن الإنسان بينهما الجمع

فنظرة إليها خير من جميع ممالك الأرض وزورة منها وإليها تنسي مؤلمات يوم العرض، فيحصل من لذة جماع هذه ما هو لائق بهذا الطور العجيب، والرونق الغريب من غير إنزال فضلات، ولا رطوبات مستقذرات، منزهة عن جميع الدناءات، بل كل حالة منها في غاية الرتب العليات، وكل جزء من أجزاء حسنها في غاية الشرف والجلالة، فلا عورة لها، ولا للمؤمن، ولا سوءة فيها، ولا فيه، لأن العورة إنما تثبت في هذه الدار لكونها مخرج النجاسات والشعر والنتن والرطوبات فإذا ذهبت هذه المعيبات المنقصات ذهبت بذهابها العورات، وبقيت المحال شريفة عليه لا ينسب إليها خصلة دنيئة، وإذا كان هذا هو الذي يعتقده المسلمون من الجمع بين النعيم الروحاني المتعلق بالأرواح من إدراك معنى جلال الله تعالى وجماله، وتفاصيل صفاته وآلائه المتجددة على ممر الأبد، والنعيم الجسماني الذي تقدم تحقيقه كان هو اللائق بالكرم الإلهي والإحسان الرباني، فإن الاقتصار على النعيم الروحاني تقصير من قائله في سعة النعمة، وتمام الكرامة، وأن ما يقوله المسلمون يجزم العقل الشريف بأن مثله لا تعرى عنه دار أريدت لغاية الإكرام، وأن يكون على غاية التمام، بل لو فرض عدم هذه الملاذ البديعة منها لقال العقل الوافر: لو كان فيها هذه الملاذ لكانت أتم وأكمل، وهي أولى بقول الشاعر:

ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كملا

فظهر إصابة المسلمين للصواب ببيان الجواب، واندفع السؤال.

وثانيها:

قال لوقا: قال يسوع عليه السلام : إذا صنعت وليمة فادفع المساكين والضعفاء ليكون مجازاتك في قيامة الصديقين، فقال من حضر: طوبى لمن يأكل خبزا في ملكوت الله تعالى فما فهم عنه الحاضرون إلا النعيم الجسماني.

وثالثها: قال حملة الإنجيل قال يسوع لتلاميذه: إني ذاهب أعد لكم مائدة في الملكوت لتأكلوا وتشربوا وتجلسوا على كراسي المجد.

ورابعها: في الإنجيل شرب المسيح عليه السلام مع تلاميذه عصيرا، وقال: إني لست شاربا من هذه الكرمة حتى أشربها معكم حديثا في ملكوت السموات.

وخامسها: في الإنجيل قال المسيح عليه السلام : إنكم ستأكلون وتشربون على مائدة أبي، فسمى الله تعالى أبا أي يعامل بالإحسان، كما يعامل الوالد، والنصارى إلى اليوم يقولون للقس: يا أبونا بهذا المعنى وقالت اليهود والنصارى ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ [1] ومرادهم ما ذكرناه.

وسادسها: في الإنجيل قال المسيح عليه السلام: طوبى للجياع العطاشى فإنهم يشبعون.

وسابعها: في الإنجيل قال المسيح عليه السلام لتلاميذه: أعملوا لا للطعام الفاني، بل للطعام الباقي في الحياة المؤبدة، لأنه ذلك قد حتمه الله تعالى فصرح عليه السلام بأن في الجنة الأكل والشرب والشبع والتفكه، وأما الجماع فقال في الإنجيل: من ترك زوجة، أو بنين، أو حقلا من أجلي، فإنه يعطى في الجنة مائة ضعف، ويرث الحياة الدائمة، فقد صرح بأنه يعطى في الجنة مائة زوجة، ومائة بستان، لأن الحقل الكرم، وهذه النصوص كلها حجج على النصارى، وأما اليهود فمن وجوه.

أحدها: في السفر الأول من التوراة أن الله تعالى غرس فردوسا في جنة عدن وأسكنه آدم، وغرس له من كل شجرة طيبة المآكل شهية الطعم، وتقدم إليه إني قد جعلت جملة شجر الجنة لك مأكلا سوى شجرة معرفة الخير والشر، ثم قال الله تعالى: لا يحسن أن يبقى آدم وحده، فألقى عليه سباتا ونزع ضلعا من أضلاعه، ثم أخلف له عوضه لحما ثم خلق الله تعالى من ذلك الضلع حواء، فتزوجها آدم فنصت التوراة على أن المأكولات في الجنة.

وثانيها: في السفر الأول قبل أن تخسف بها يشبه فردوس الله تعالى.

وثالثها: في السفر الأول أما هابيل الشهيد، فإنه يجزى بدل الواحد سبعة، وهو

(١) سورة المائدة: الآية ١٨.

دليل على المكافأة من جنس العمل، وكان قد قرب من أبكار غنمه فوعده الله تعالى الواحد بسبع.

ورابعها: في نبوة أشعياء عليه السلام: يا معاشر العطاشى الجياع توجهوا إلى الماء المورد، ومن ليس له فضة، فليذهب يستقي ويأكل ويتزود من الخمر واللبن موافقة لقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ (١) فقد تضافرت كتب اليهود والنصارى على النعيم الجسماني وهو كثير في كتبهم، ولكنهم قوم لا يعقلون.

تنبيه: كثر التنبيه على أحوال الآخرة في شرعنا أكثر من التوراة والإنجيل، حتى لم يكثر الله تعالى ذكر شيء في القرآن أكثر من ذكر البعث، وبالغ فيه حتى أخبر وحلف سبحانه وتعالى فقال: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ (٢) وهو كثير وخرَّج البيهقي مجلدا كبيرا فيما أملاه عليه السلام من أحوال القيامة، وسبب الإكثار عندنا من ذكره أكثر من بني إسرائيل من وجوه:

أحدها: أن بني إسرائيل كثيفو الطباع والتخويف بالمؤلمات المستقبلات والترغيب بالمثوبات المستقبلات، إنما يؤثر في وافر العقل كثير الحزم متوفر اليقظة، وأما الكثيف الطبع فكلاهم لا يؤثر في زجرها إلا المنخاس المباشر لجلدها وأما ما يأتي في عد، فلا يؤثر في استصلاحها، ولما جعل تعالى هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، وافرة الحلوم كثيرة العلوم شديدة الخشية مراعية للعاقبة، خصها الله تعالى بذكرها الأهم من أمر المعاد، ليتوفر عملها لمعادها، ويكثر للقاء الله استعدادا، واقتصر في حق بني إسرائيل بوعدها بعمارة بلادها، وصلاح أجسادها وتنمية أولادها.

وثانيها: أنهم كانوا عاتين متمردين، والمتمرد إنما يتحدث معه بالزواجر الحاضرة والمؤلمات العاجلة، وهذه الأمة أشرق إيمانها في صدورها إشراق الشموس، وأتت داعي ربها حين ناداها لهداها ماشية على الرءوس، وقالوا له: اقترح ما شئت، فإنا له باذلون، ولسنا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، فعوملت بالتصريح عن المعنى

---

(١) سورة محمد: الآية ١٥.

(٢) سورة التغابن: الآية ٧.

الصحيح، واطلعت على أسرار الغيب، لأنها لا يعتريها الريب ولله در الشاعر حيث يقول:

والخل كالماء يبدي لي سرائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وثالثها: أن زمانها كان أبعد عن القيامة من زماننا، ولم يكونوا يرد عليهم شيء من أشراط الساعة، ونحن قرب زماننا منها ووردت آياتها علينا، وهو ﷺ أول علامات الساعة، ثم وردت السنة بعلاماتها ووقع كثير منها ونحن نباشره كما قال ﷺ : «**تلد الأمة ربتها**»[1] ويتعالى رعاء الشاء في البنيان: وتبيض القبور وتشيد القصور، ولا يوقر الصغير الكبير إلى غير ذلك مما وردت السنة به، فكنا بالحديث في أمر الساعة والإكثار منه أولى منهم.

ورابعها: أنه سبق في علم الله تعالى بعث محمد ﷺ ، وأنه يجعله أفضل الرسل وآخرهم، فأخر الله تعالى بسط ذلك ليخصه به، فيكون ﷺ أكثر علما وإعلاما وهداية، وإفهاما، فتكون أمته أكثر فضلا على الأمم بالعلوم والمناقب كما فضل مذهبها في شرعها على سائر المذاهب.

وخامسها: أن هذا النبي الكريم أوفر نصيبا من نعيم الآخرة من سائر الأنبياء عليهم السلام، وكذلك أمته أكثر اتساعا في الآخرة في النعيم الجسماني والنفساني من سائر الأمم، وهم أكثر أهل النعيم عددا كما قال ﷺ : «**إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة**»[2] فزادوا على سائر الأمم نعيما، وعددا، فكان تخصيصهم ببسط أمر المعاد أنسب من غيرهم، فلذلك لا نجد علم تفاصيل البعث والحشر والصراط والميزان وأحوال أهل الجنان والنيران، وما يتفق في المحشر من الوقائع، وما يكون في القبور قبل ذلك، وما علم منه فإنه علم من أخبار هذه الأمة، ولله الحمد، والله تعالى هو المحمود حمدا يليق بجلاله على ما خصنا به من الرسالة المحمدية، والكرامات الأبدية، والمواهب السرمدية.

---

(١) [**حديثٌ صحيحٌ**]: أخرجه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٤٩٩٠)، وابن ماجه (٦٣)، وأحمد (٨/٢٧، ٥١)، والطيالسي (ص/٢٤)، وابن حبان (١٦٨).

(٢) [**حديثٌ صحيحٌ**]: أخرجه مسلم (٢٠٠)، والترمذي (٣١٦٨)، وابن ماجه (٤٢٨٣)، وأحمد (٣٨٦/١)، والحميدي (٨٣١)، وأبو عوانة (٨٩/١).

السؤال التاسع:

قالت اليهود: من العجائب أن المسلمين يدَّعون أن التوراة فيها تبديل وتغيير، وأنها ليست على وضعها المنزل من عند الله تعالى، مع أنها منتشرة في المشرق والمغرب، وسائر أقطار الأرض وهي على نظام واحد لا اختلاف فيه، ولا تغيير، ولا تبديل، وينقلون عن قرآنهم أن فيه أن الله تعالى أخبر عنا أنا نحرف الكلم عن مواضعه، مع أننا ما حرفنا، ولا بدلنا، وهذه كتبنا تحكم بيننا وبينهم، هل فيها تبديل، أم لا؟ فكيف يخبرون عنا بما لم يكن؟ وذلك قدح عظيم في حقهم.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن أحبار اليهود يعلمون علما يقينا أن هذه التوراة ليست المنزلة على بني إسرائيل بعينها بسبب أن موسى عليه السلام صان التوراة عن بني إسرائيل، ومنعها منهم، وخص بها بني عمه أولاد ليوى، وذلك قول التوراة (ويحتوب موشى آت هنورا هزوت ونبياه آل كهو هكوا هنيم بني ليوى) تفسيره: وكتب موسى هذه التوراة وأعطاها لأمة بني إسرائيل، وكان بنو هارون الـ ـمة وقضاة اليهود وحكامهم، ولم يبذل موسى عليه السلام لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها: (هاازينو) وهي التي علمها موسى عليه السلام لبني إسرائيل، وذلك قول التوراة (ويحتوب موسى آت مشيرا هزوت وويلميداه لبني إسرائيل) تفسيره: وكتب موسى عليه السلام هذه السورة، وعلمها بني إسرائيل، وهذا دليل على أن موسى عليه السلام لم يعط بني إسرائيل إلا هذه السورة لم يكن بنو إسرائيل يعلمون من بقية التوراة شيئا ثم إن الهارونيين الذين خصوا بالتوراة لم يكونوا يعتقدون أن حفظها واجب، ولا سنة، بل كان الحفظ فيهم لبعضها يقع بطريق الاتفاق، وعلى سبيل الفضيلة كما يحفظ المسلمون التواريخ وغيرها ليكون ذلك لهم فضيلة بين الناس، لا أنهم مأمورون بها شرعا، فإن كابروا في ذلك نطالبهم بنقل خلافه من التوراة، فلا يجدونه، ثم قتل بختنصر الهارونيين على دم يحيى بن زكريا، وكان أصل هذا أن يحيى بن زكريا صلوات الله عليهما أنكر على ملك بني إسرائيل في زمانه زواجه لابنة امرأته، فضرب عنقه، ودفن فبقي كلما ردم فار الدم مع طول الأيام حتى قدم بختنصر فقال: ما هذا الدم فقيل: إنه يفور كلما ردم فقال: إنه يقول خذوا بثاري، فقتل من بني إسرائيل عليه سبعين ألفا، فسكن الدم، فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم، وزالت

دولتهم وعدم كتابهم جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي كان يحفظها الكهنة ما لفق منه في هذه التوراة التي بأيديهم وذلك بعد سبعين سنة بعد بختنصر، فلذلك بالغوا في تعظيم عزرا غاية المبالغة، ويزعمون أن التوراة تنزل على قبره إلى الآن، فالذي في أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا، وليس كتاب الله تعالى، وإذا اعتبرت فصولها دلت على أن الذي جمعها رجل جاهل بالصفات الربانية والآداب النبوية على ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى، ولذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم والندامة على ما مضى من أفعاله، وأنه ندم على الطوفان، وقد أقلع عن مثلها، وما زالت الأمم التي استولت عليهم كالكشدابين والبابليين، والفرس واليونان، والنصارى يقصدونهم أشد قصد، ويطلبون استئصالهم وخراب بلادهم وحرق كتبهم حتى جاء الإسلام فوجدهم تحت ذمة الفرس إلا يهود العرب، وأشد من ذلك ملوكهم العصاة الطغاة الإسرائيليون الذين عبدوا الأصنام، وتركوا أحكام التوراة وشرعها الدهر الطويل ومع تطاول هذه الآفات وتواترها من غيرهم ومنهم، ومنع الأمم لهم لا سيما الفرس منعوهم من الختان والصلاة، لعلمهم أن معظم صلاتهم دعاء على الأمم بالبوار، وعلى العالم بالخراب سوى بلادهم التي هي أرض [illegible]، ولذلك لما رأت اليهود ذلك اخترعوا أدعية مزجوا بها فصولا من صلاتهم وسموها الخزانة، وصاغوا لها ألحانا، وصاروا يجتمعون أوقات الصلاة على تلحينها وتلاوتها، والفرق بين هذه الخزانة وبين الصلاة أن الصلاة بغير تلحين، ويتلوها الكاهن وحده، ولا يجوز أن يجهر بالصلاة غيره والخزانة تشاركه في الجهر بها جماعة، فكانت الفرس إذا أنكرت عليهم، قالوا: نحن نلحن بنوح على أنفسنا، فكفوا عنهم وعن دبرهم، ذهب الفرس وأقررناهم نحن على أديانهم، وهم على الخزانة، وقد جعلوها عبادة من السنن المستحبة في الأعياد والمواسم عوضا عن الصلاة، وهي من جملة دبرهم وتغييرهم لشرعهم، وقيل: إن التوراة لما فقدت بالتحريق والتقطيع بعد القتل أخبرتهم امرأة أن زوجها ترك توراة مكتوبة مدفونة في مكان، فنبشوها بعد الدهر الطويل، فأخذوا منها ما تيسر، وتركوا منها ما تعفن وتعسر، فهذا أصل توراتهم كما تراه، ثم إنهم مع هذا الأصل الواهي الذي لا يوثق بشيء منه ليس على وجه الأرض منهم بشر يروي التوراة عدلا، عن عدل، بل هي تلفيقات مجهولات، وتواريخ موضوعات بحيث إن التواريخ الإسلامية خير منها، وأوضح بكثير لقرب عهد زمانها،

فإن بعد الزمان المفرط يقتضي مزيد عدم الوثوق أكثر مع أن المسلمين لا يجيزون الاعتماد على التواريخ في شيء من الأحكام البتة، وهم يجعلون هذه التلفيقات والتواريخ عمدة لمعادهم وشريعة لخالقهم ومانعة مما ورد من الحق وهو غاية الخذلان، فظهر بهذا التقرير أن التوراة التي بأيديهم لا يقطع ولا يظن أن شيئا منها من عند الله تعالى، وهو المطلوب.

وثانيها: أن في التوراة أن داود عليه السلام ممزير، وتفسيره عندهم: ابن زنا، لأنه عندهم أنه ابن بشاي ابن عابد، وأم عابد يقال لها، روث الموابية من بني مواب، وقالوا في مواب لما أهلك الله تعالى أمة لوط عليه السلام ونجا بابنتيه فقط: توهمت ابنتاه أن الأرض قد خلت ممن يستبقين منه نسلا، فقالت الكبرى للصغرى: إن أبانا لشيخ، ولم يبق في الأرض من يأتينا كسبيل البشر هلمي نسقي أبانا خمرا، ونضاجعه لنستبقي من أبينا نسلا، ففعلتا فولدت إحداهما مواب معنى أنه من الأب، والثانية سمت ولدها عمون، بمعنى أنه من قبيلتها، والولدان عند اليهود أولاد زنا، لأنهما من الأب وابنتيه وداود عليه السلام عندهم من هذه الذرية، فهو ولد زنا عندهم لعنهم الله، فما أجرأهم على أعراض الأنبياء عليهم السلام، بل على دمائهم، ومثل هذه الحكاية كثير في التوراة يسمونها النجاسات، وناهيك بكتاب مشتمل على النجاسات، وكيف يليق نسبته إلى الله تعالى؟ فيقطع العاقل أن شرب لوط عليه السلام الخمر وزناؤه بابنتيه كذب، مع قيام الأدلة على عصمة الأنبياء عليهم السلام، وأن الله تعالى شرفهم نسبا وخلقا وسيرة وسريرة، بحيث لا يوجد في نسب نبي ولا شيء من أحواله ما يكون سببا للطعن عليه ، وهو مقتضى الحكمة، وإلا لما صلح جعله رسولا عن الله تعالى، ولما حصلت حكمة الرسالة بسبب نفور الخلق منه واهتضامهم لجهته، بل أقل الملوك في الدنيا لا يعتمد مثل هذا، فكيف برب الأرباب، ثم تأمل كيف إذا سكر الشيخ الكبير يتأتى منه نكاح امرأتين، ثم وطئهما وتحبيلهما معا في الليلة الواحدة، فهذه القصة غارقة في بحر البهتان قاضية على التوراة بأنها مشتملة على الإفك والعدوان، وسبب هذا الإفك العداوة التي ما زالت بين بني إسرائيل، وبين بني عمون، وبني مواب بعثت الواضع على تلفيق هذا المحال، ليكون عارا كبيرا في بني عمون ومواب، لعنه الله فيما افترى لعنا كثيرا، وسبب العداوة أن موسى عليه السلام كان وضع الإمامة في الهارونيين، ثم استولى الداوودين عليهم، فكان المرتب لهذه التوراة هارونيا فظهر اشتمال التوراة على التغيير والبهتان وهو المطلوب.

وثالثها: في التوراة، قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: لقد وصل إلى إثم سدوم وعامور، فقلت: أنزل الآن فأنظر هل منعوا وأثموا، كما بلغني وإلا عرفت ذلك، وفي هذا الكلام نسبة الباري تعالى إلى عدم العلم بالمغيبات، ونسبة الملائكة إلى عدم الصدق وأنهم متهمون عند الله تعالى، وهذا كلام في غاية البعد عن جلال الربوبية والملائكة الكرام، فيقطع العاقل بكذبه، فتكون التوراة مشتملة على الكذب والتغيير، وهو المطلوب.

ورابعها: في التوراة أن إبراهيم عليه السلام أطعم الملائكة خبزا وصنع لهم عجلا سمينا، وسقاهم لبنا وسمنا، وأن لوطا عليه السلام أطعمهم فطيرا، مع أن أهل الكتاب ينكرون قول المسلمين بالنعيم الجسماني، ويقولون: لا طعام في الجنة، ولا شراب، ولا نكاح، بل حال أهل الجنة كحال الملائكة لا يأكلون، ولا يشربون، وهذه غفلة عظيمة، فإن كان هذا صحيحا فإنكارهم على المسلمين باطل، وإن كان باطلا فتكون التوراة مشتملة على الباطل، فهي مشتملة على الباطل على كل تقدير، مع أنا نقطع بأن الملائكة صلوات الله عليهم لم يأكلوا عندهما شيئا لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ (١).

وخامسها: في التوراة جمع إسرائيل عليه السلام بين أختين في عصمة وهما آليا وراحيل ابنتا لابان والجمع بين الأختين حرام بنص التوراة، وهم لا يعترفون بالنسخ، فيكون هذا كذبا على إسرائيل عليه السلام، لأنه معصوم ونبي مكرم يجل على الوطء الحرام، وهو دليل اشتمال توراتهم على الكذب والبهتان، وهو المطلوب.

وسادسها: في السفر الأول من التوراة أن الله تعالى لما رأى معاصي بني آدم قد كثرت على الأرض قال: لقد ندمت إذ خلقت آدم، فأرسل ما على الأرض من الحيوان، وأنه لما فعل ذلك ندم أيضا، وقال: لا أعود أفعل ذلك، وهو كلام يقتضي أن الله تعالى لا يعلم ما سيكون، وأنه تعتريه صفات البشر من الندم والبداء والأسف، ومن العجب أنهم ينكرون النسخ لئلا يلزم البداء، وهم يعتقدون البداء والندم، فما أدري أي الأمرين أعجب؟ ثم في هذا الكلام الندم والنـــدم على الندم، وهو لو فعله والي ضيعة

(١) سورة هود: الآية ٧٠.

لا ستحق العزل، فكيف يليق نسبته إلى رب الأرباب سبحانه وتعالى عن قول هذه الطائفة الملعونة، وذلك أبلغ دليل على اشتمال توراهم على الكذب، والجهل والكفر فضلا عن التبديل والتغيير.

وسابعها: في التوراة أن نوحا عليه السلام نام في خيمته، فكشفت الريح عورته، فضحك منه ابنه حام فدعا عليه وعلى عقبه فأين هذا الخلق الذميم والطبع السقيم والعقوبة العظيمة على من جنى، وعلى من لم يجن على جناية صغيرة من خلق العقلاء فضلا عن الأنبياء، وهل هذا إلا من ترهات العوام، وخرافات العجائز اتخذته اليهود قرآنا يقرأ، وجعلوه مما أنزل من عند الله وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وجلت رسله ورسائله عن هذا الافتراء.

وثامنها: في التوراة أن روبيل بكر يعقوب عليه السلام زنا بسرية أبيه، يعقوب عليه السلام، وافترشها فلما حضرت يعقوب الوفاة قرعه وعيره بين إخوته، وقال له: بخست فراشي وامتهنته، ولست أعطيك السهم الزائد، وكان من سنة إبراهيم عليه السلام توريث البكر سهمين وغيره سهما، فأي حكمة في ذكر هذه القبايح في التوراة يعير بها سبط عظيم، ومآثر الآباء مفاخر الأبناء، ثم فيه من التناقض أن في التوراة أن إبراهيم عليه السلام ورث ماله ولده إسحاق، وحرم إسماعيل، مع أن في هذا الفصل أنه كان يورث البكر سهمين وغيره سهما، وهي غفلة من اليهود، وجهالة بكتب الله تعالى، وما دخلها من التبديل والتغيير، وأنتم معاشر المسلمين تعلمون أن سيد المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلاة الله عليه، قال: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة**» (١)، فأخبر عن جميع الأنبياء عليهم السلام أنهم لا يورثون، وهؤلاء يجيزون في توراهم أنهم يورثون، فيكون خبر المعصوم مقدما على خيرهم، وإخبارا عن تبديل هذا الموضع وهو المطلوب.

وتاسعها: في التوراة أن يهودا بن يعقوب عليه السلام زنا بكنته ناموز، ووهبها على ذلك خاتمه وعصاه، وأنها حملت منه، وصار شهرة في بني إسرائيل، مع أن في التوراة أنه كان حظيا عند أبيه، ودعا له بتخليد الملك والنبوة في عقبه، فلا نبوة يهودا صانوها عما تليق

---

(١) **[حديثٌ صحيحٌ]**: أخرجه البخاري (٣٠٩٢)، ومسلم (١٧٥٩)، وابن سعد (٢٨/٨) في طبقاته، وأحمد (١٤٥/٦)، وأبو داود (٢٩٦٨)، (٢٩٦٩).

بأدنى السفلة من الفاحشة، وسوء السمعة ولا دعاء يعقوب عليه السلام صانوه عن عدم الإجابة، بل أعقبوه بالعار والفضيحة، وذلك كله ينافيه ما للأنبياء عليهم السلام من العصمة، بل ما وجب لهم من صون الله تعالى لهم في جميع أحوالهم عما يوجب وصمهم واحتقارهم في نفوس شيعهم، وأممهم، وذلك دليل التبديل والافتراء والكذب والبهتان على الله تعالى، وعلى خاصته صلوات الله عليهم أجمعين.

وعاشرها: في التوراة أن رينا ابنة يعقوب عليه السلام خرجت فرآها مشرك، وهو سجم ابن حمود رئيس القرية فافترسها، وأنزل العار بيعقوب عليه السلام ، فتنصل أبوه حمود إلى يعقوب عليه السلام وآمن، والتزم الأحكام هو وأهل القرية وأن بني يعقوب قالوا لأهل القرية: إن أحييتم سنتنا وديننا فاختتنوا لنصير شعبا واحدا، ومكروا بهم، فلما اختتن كل أهل القرية دخلوا عليهم بالسلاح، وهم لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم فقتلوهم أجمعين، وأخذوا أموالهم وحريمهم، ولما علم يعقوب عليه السلام بالقصة هرب ليلا على جمل خوفا وترك البلاد، فحكموا على الأنبياء أولاد يعقوب عليه السلام بأنهم قتلوا المؤمنين، ومن لم يؤذهم لسبب من الأسباب، وانتهبوا الأموال والحريم بعد صدور الإسلام منهم، والإنابة إلى الله تعالى المقتضين لحسن المعاملة، وبسط الإحسان، وهذه أمور لا تليق بأدنى السفلة من ذوي المروءات فضلا عن الأنبياء عليهم السلام، مع أن هذه الأشياء ينقلونها على سبيل نقل التواريخ، ويسمونها النجاسات لا أن الله أوحى بذلك إلى موسى عليه السلام ، فأي صواب في نقل النجاسات الكاذبة والفضائح المستمرة على مر الأيام لا سيما في حق الأنبياء عليهم السلام، وإذا استهانوا بالتوراة إلى هذه الغاية فأي وثوق يبقى لما فيها، بل أقل التواريخ الإسلامية أثبت لقرب زمانه.

وحادي عشرها: في التوراة قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام : إن ذريتك ستستعبد بمصر أربعمائة سنة، وقال مؤرخوهم: لم يمكثوا إلا مائتين وثلاثين سنة، والخلف على الله تعالى محال، فهم وكتبهم الكاذبون.

وثاني عشرها: في التوراة في نسخة منها: أن آدم عليه السلام عاش مائة وثلاثين سنة، ثم ولد على شبهه ولدا، فسماه شيثا، وفي نسخة أخرى لم يرزق شيث إلا بعد مائة وخمسين سنة، وعاش بعد ولادته ثمانمائة سنة، فكان جميع عمره تسعمائة سنة وثلاثين

سنة وفي نسخة ألف وثلاثون سنة، ثم عاش شيث مائة وخمسين سنة، فولد أنوش، وعاش بعد ولادة أنوش تسعمائة واثنى عشر سنة، وفي نسخة أخرى تسعمائة وسبع سنين، واستمر هذا التكاذب والتناقض في مشاهير أولاد آدم عليه السلام ، ولا تكاد نسخة توافق أخرى، وإذا كان هذا تحريفهم وتبديلهم تهاونهم فيما لا غرض لهم فيه من أعمار الأنبياء عليهم السلام، وفضائح أسلافهم ومعظمي رسلهم، فكيف يكون حالهم في كذبهم على رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، وما يتعلق لهم به غرض، ولنقتصر على هذا القدر.

وثالث عشرها: في آخر السفر الخامس أن موسى عليه السلام توفي في أرض مواب، ودفن في الوادي في أرض مواب بإزاء بيت فغورا، ولم يعرف إنسان موضع قبره إلى اليوم، وكان قد أتى على موسى عليه السلام ، إذ توفي مائة وعشرون سنة، ولم يضعف بصره، ولم يتشنج وجهه، وبكى بنو إسرائيل على موسى عليه السلام ثلاثين يوما في غريب مواب، فلما تمت أيام حزنهم على موسى عليه السلام امتلأ يوشع بن نون من روح الحكمة، لأن موسى عليه السلام كان قد وضع يده على رأسه في حياته، وكان بنو إسرائيل يطيعونه، ويعملون كما أخبر الرب موسى، هذا آخر كلام التوراة، وهو تاريخ حدث بعد موسى عليه السلام بالضرورة، فهو من غير المنزل قطعا، بل هو كلام القائل ولم يعرف إنسان موضع القبر إلى اليوم الذي كتب فيه هذا التاريخ، ولا يعترفون بأن التوراة زيد فيها ما ليس فيها، بل الجميع عندهم كلام الله تعالى وهو جهل عظيم منهم، وإذا زيد فيها مثل هذا أمكن أن يقال: إن تلك الحكايات الركيكة زيدت بالأهوية والأغراض، وليست منزلة من عند الله تعالى، بل يسقط الاحتجاج بجميع التوراة، لأن باب الزيادة والنقصان قد انفتح فلا يوثق بشيء بعد ذلك، ويجب اجتناب الجميع خشية أن يكون زيد، وهو محرم كما إذا اختلطت الميتة بالمذكاة يحرم الجميع، والذي يغلب على الظن أن السفر الأول الذي هو سفر البدء والأنساب زيد بجملته وهم لا يشعرون.

الرابع عشر: أنه قد تكرر في التوراة، وكلم الرب موسى وقال له: اقبض حساب بني إسرائيل، وكلم الرب موسى، وقال له: كلم بني إسرائيل، وهذه العبارة يقطع العاقل بأنها ليست من كلام الله تعالى، ولا من كلام موسى عليه السلام ، بل حكايات من قول الغير لمعنى ما وقع، ولعل هذا الحاكي أخل باللفظ والمعنى، أو بالمعنى وحده ولم

يثبت عندنا عدالته، ولا معرفته، بل لعله عدو للدين قصد الإفساد والتبديل، والتغيير، فيحصل القطع بأن هذه التوراة لا يجوز الاعتماد على شيء منها، وأنها مغيرة قطعا.

الخامس عشر: أن اليهود تعترف بأن سبعين كوهانا اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة بعد المسيح عليه السلام في زمن القياصرة، ومن اجترأ على تبديل حرف من كتاب الله تعالى وتحريفه لا يوثق به فيما يدعي أنه كتاب الله تعالى إذ لعله مما حرفه، والكوهان هو المقدم في أصول ديانتهم، وصاحب هيكلهم، ولا يكون إلا من ولد هارون عليه السلام ، واتفق اليهود على أن التوراة ما كانت توجد إلا عند الكوهان وحده، فإذا كان هذا ثناؤهم الجميل فعلى من يحصل التعويل، بل يجزم الطفل بوقوع التغيير والتبديل.

السادس عشر: طائفة من اليهود يقال لهم السامرية: اتفق اليهود على أنهم حرفوا التوراة تحريفا شديدا، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك التحريف، ولعل الفريقين صادقان فأين حينئذ في التوراة شيء يوثق به مع تقابل هذه الدعاوى من فرق اليهود، فكفونا بأنفسهم عن أنفسهم، وكذلك النصارى أيضا يدعون على اليهود أنهم حرفوا في التوراة التواريخ، ونقصوا من تاريخ آدم عليه السلام ألفا ونحو المائتين سنة حتى تنازعوا في زمن ظهور المسيح عليه السلام ، وتقدموه، وهذه أمور لا يدعي معها الجزم بعدم تحريف التوراة إلا معاند متعسف.

فإن قالوا: فقد كان النبيون صلوات الله عليهم يحكمون بها إلى زمن المسيح عليه السلام معصومون عن الباطل، وهذا يبطل جميع ما يذكره المسلمون فإنهم وافقونا على حكم النبيين بها لقول القرآن يحكم بها النبيون.

قلنا الجواب: من وجهين:

أحدهما: لعل النبيين عليهم السلام كان يوحى إليهم بالصحيح منها.

وثانيها: نسلم أن كل شيء حكموا به هو صحيح، فلم قلتم إنهم حكموا بجملتها، ثم الذي حكموا به غير معين فسقط الاستدلال بالجميع، ولا يفيدكم حكمهم شيئا، ثم إن التغيير لم يتعين له زمان، فلعله كله وقع بعد النبيين حتى وبعد المسيح عليه السلام .

السابع عشر: في التوراة في سفر ملاحيم أن داود عليه السلام اطلع من قصره، فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغتسل في دارها فعشقها، وبعث اليها فحبسها أياما حتى حملت

ثم ردها، وكان زوجها يسمى أوريا غائبا في العسكر، ولما علمت المرأة بالحمل أرسلت به إلى داود عليه السلام، فبعث داود عليه السلام إلى قائده على العسكر يأمره أن يبعث اليه بأوريا، فجاءه فصنع له طعاما وخمرا حتى سكر، وأمره بالانصراف إلى أهله ليواقعها، فينسب الحمل إليه ففهم أوريا ذلك، فتجانب و لم يمش إلى أهله، فلما يئس داود عليه السلام منه رده إلى العسكر، وكتب إلى القائد أن يصدر به القتال مستقلا له، فقتل أوريا، وقتل معه من المؤمنين سبعة آلاف، ففزع القايد من داود عليه السلام لقتل العدد العظيم، وقال: للرسول إذا أنت أخبرت الملك داود بقتل الناس، ورأيته قد غضب فقل له سريعا: إن أوريا قد قتل فيهم، ففعل الرسول، وسكن داود عليه السلام بعد الغضب وسر بموت أوريا، وهانت عليه من أجل موته دماء المؤمنين، فانظر هذه الفواحش العديدة المنكرة، والصفات المستقذرة، هل تليق بأولى الديانات، فكيف بمعدن النبوات، وهل يحسن ذكرها من ذوي المروءات، فكيف يوحي بها إله الأرض والسموات؟ فلعنهم الله لعنا دائما أبدا ما أجرأهم على الله تعالى، وعلى رسله، ولو لم يكن في التوراة إلا هذا الموضع لقطع العاقل بتبديلها وتحريفها، وأنها لفقت بالأهوية والأغراض.

الثامن عشر: في التوراة في سفر ملاحيم أن سليمان بن داود صلوات الله عليهما ختم عمره بعبادة الأصنام والسحر، كذبوا قاتلهم الله أنى يؤفكون، وصدق الله العظيم، وكتابه الكريم ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ [1] فلعنة الله ولعنة الملائكة أجمعين عليهم وعلى من يصدقهم إلى يوم الدين، ثم هذه الحكايات القبيحة والأكاذيب الشنيعة التي في التوراة تبطل من أن التوراة بما فيها من الثناء العظيم على هؤلاء الرسل الكرام ثناء يتعذر معه مقاربة هذه الأمور فضلا من ملابستها، وإذا أمعنت النظر في الفصلين جزمت بأن هذه الفواحش مفتعلات، وأن التوراة امتلأت تبديلات وتغييرات ، ولنقتصر على هذا القدر من كذبهم، لأنه أمر يملأ الصحف، وتصدأ له الأسماع والقلوب، وإنما القصد بيان كذبهم في قولهم: إن التوراة في غاية الضبط والتحرير سالمة من الكذب والتحريف، وقد ظهر ما هي عليه من عدم النظام، واشتمالها على ما يقطع بكذبه في حق الله تعالى، وفي حق أنبيائه عليهم السلام.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

السؤال العاشر:

قال الفريقان الملعونان اليهود والنصارى: إن دين المسلمين في غاية الضعف، وإنما ظهر بسبب القتال والقهر والغلبة والإخافة، وسلب الذراري والأموال، ولو سلكوا العدل والإنصاف لما ظهر في دينهم حق؟

والجواب: من وجوه:

أحدها: يختص بالنصارى، وهو أن الإنجيل بين أيديهم ناطق مصرح بالمسألة، والتزام التواضع والمذلة وأن من ضرب خدك حول له الخد الآخر، ومن سامك نوعا من الهوان، فلا تنازعه، وأن يبتعدوا من القتال والمنازعة غاية البعد إلى أن تقوم الساعة، وهذا نص الإنجيل قال المسيح عليه السلام : سمعتم ما قيل العين بالعين، والسن بالسن، ولكن من لطمك على خدك الأيمن، فحول له الآخر، ومن رام أخذ ثوبك فزده إزارك، ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين، ومن سألك فأعطه، ومن اقترض منك فلا تمنعه، وسمعتم ما قيل: أحب قريبك، وأبغض عدوك، وإنما أقول لكم: أحبوا أعداءكم وباركوا على لاعنيكم، وأحسنوا إلى من يبغضكم، وصلوا على من يطردكم ويخزيكم، لكي تكونوا بني أبيكم، كونوا كاملين مثل أبيكم، فهو كامل، ومع ذلك فهم من أشد الناس تكالبا وحرصا على القتل والقتال، وبسط الأيدي بالأذى في أقطار الأرض بسلب النفوس والأموال مستحبين لذلك يعتقدونه من أعظم القربات وأوثق أسباب السعادات مع تحريم إنجيلهم ذلك عليهم، وإيجاب التزام الاستسلام لأعدائهم، ومن استحل حرمات الله تعالى، فهو أشد الناس كفرا بالله، وكتبه وأحكامه، وأما نحن وكتابنا، فنحن أولياء الله تعالى وأنصاره، وهم كفرته وأعداؤه، وكتابنا أوجب علينا القتال، ونص على أنه من أعظم القربات.

وثانيها: أن المسيحي وغيره من مؤرخيهم نقلوا أن ابتداء دينهم إنما كان بسبب القتال مع اليهود، وأنهم كانوا يحرقونهم بالنيران، ويغرقونهم في السفن في البحار، وعملوا في اليهود كل نوع من أنواع الأذى، ولولا ذلك لم يبق لهم اليهود أثرا، فإن الدولة كانت لهم، وقد قتلوا إلههم على زعمهم، ولم يترك بعده أكثر من اثني عشر حواريا، وسبعين معارف هاربين خائفين، ولو ظهر منهم أحد لقتل شر قتلة، فلو التزموا شريعتهم من المسالمة لم تقم لهم قائمة، ولم يبق منهم باقية، لكن أقاموا دينهم

برفض معالمه ونصروه بمحو آثاره والتزموا القتل والعسف، ومع ذلك فلم ينص دينهم بذلك حتى أضافوا لدينهم أنواعا من الشعبذة والمخاريق، وضروبا من التخيل للعوام والملوك كبكاء الصور الجمادية عند قراءة الإنجيل، وتعليق الأصنام والصلبان في هياكل الكنائس بحجارة المغناطيس في الهواء من غير شيء يمسكها إلى غير ذلك مما تقدم في أول الكتاب من ترهاتهم التي يمشون بهم دينه، فسؤالهم منعكس عليهم، بل هو خاص بهم، لأنه على خلاف كتبهم، وأما نحن فممتثلون لأمر الله تعالى ناصرون لدينه قائمون بحقه في أرضه على خلقه، سعداء شهداء أولياء أعزاء نناظر بالمعجزات الباهرة والبراهين القاطعة، فندعو إلى مكارم الأخلاق، وننهى عن لئامها فمن اهتدى إليها ظفر بالسعادة، وحاز أسباب السيادة، ومن أعرض عنها كان جديرا بالصغار والذل والعار لا تحتاج إلى التتميم بالمحال، ولا نعتمد في الأقوال والأفعال إلا ما يثبت نقله عن ذي الجلال، ولا ندعو إلى عبادة الرجال، ولا ربات الحجال، ولا نعبد من أودته اليهود بأنواع النكال، فأين السماء من الأرض، وأين الدخان من العسجد، وأين الشموس من الظلمات وأين القوي من الملحد، لقد أشرق الحق في ديننا. كما غاب عنهم إلى الموعد.

وثالثها: أن الكتب التي بأيديهم شاهدة بقتال الأنبياء عليهم السلام، مع طوائف من الطاغية كداود عليه السلام مع جالوت وسليمان عليه السلام مع طوائف من أهل الكفر، ولم يقدح ذلك في صحة أديانهم، وإذا كان القتال سنة الله تعالى وعادته لأهل الحق مع أهل الضلال، فنحن على تلك السنة سالكون، وبها عاملون، فتكون من مناقبنا لا من مثالبنا، ومن حسناتنا لا من سيئاتنا، بل الأمر بالعكس كما تقدم.

السؤال الحادي عشر:

قالت النصارى: القرآن ناطق بجواز الاتحاد فلا ينكر علينا.

بيانه: أن فيه أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام تكليما، وأجمعت الملل على أنه كلمه بصوت فنقول: هذا الصوت يستحيل أن يقوم به لأنه تعالى ليس بجسم، فيكون قائما بشجرة العليق بوادي المقدس، وتكون الشجرة هي المتكلمة، وقد قالت: ﴿إِنَّنِي أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [1] وقالت

---

(١) سورة طه: الآية ١٤.

أيضا: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [(١)] وقال موسى: ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى، فخاطبت بأنها الله تعالى، ولولا الاتحاد بين ذات الله تعالى، وذات الشجرة لما صح الكلام، ولا جوابه، ولا قول الملك إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام، بل إنما كلمته الشجرة حينئذ، وإذا صح الاتحاد بالشجرة صح بذات عيسى عليه السلام، وصح لنا أن نخاطبه بأنه الرب وبأنه الله تعالى اقتداء بموسى عليه السلام، فنحن على الحق حينئذ، والمسلمون غالطون في تكفيرنا بذلك، وهذا السؤال اعتمد عليه تمشتين زعيم القسيسين بطليطلة، ورسمه في كتاب سماه مصحف العالم، وكان مرجع النصرانية إليه في العلم والفضيلة، ثم جاء ابن الفخار اليهودي تنصر، ورأس عند ملوك الإفرنج بالوزارة وغيرها بسبب فضيلته على زعمهم، وكتب بهذا السؤال إلى علماء قرطبة، وكان سؤالهم الذي عليه يعولون وبه يصولون.

والجواب: أما قوله: إن الملل متفقة على أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام بصوت فكذب، وفجر والتقم بفيه الحجر إذ لم يقع في ذلك اتفاق، بل اسمعه كلامه النفساني القائم بذاته من غير حرف ولا صوت[(٢)]، وإذا لم يكلمه تعالى بصوت بطل السؤال من أصله، فإنه بناه على هذه المقدمة، وسأبين كيف يتصور إسماع الكلام النفسي بغير حرف، ولا صوت.

فإذا لم يكلمه تعالى بصوت، وأما القائلون بأنه كلمه بصوت، فقالوا: خلق الأصوات والكلام في شجرة دالة على ما قام بذاته تعالى كما تبلغ الملائكة من غير اتحاد ولا حلول، وكما يحسن أن يقال: إن الله تعالى خاطب موسى عليه السلام على لسان الملك ويقال: هو كلام الله فكذلك الشجرة الأصوات فيها مبلغة عن الله تعالى، والمتكلم في الحقيقة هو الله تعالى، والوسائط من الملائكة وغيرها لا يمنع كون ذلك كلام الله تعالى بهذا التفسير، ولذلك أجمعت الملل على أن الكتب التي بلغتها الملائكة كالتوراة والإنجيل

---

(١) سورة طه: الآية ٤٣.

(٢) هذا القول نفيٌ وتعطيلٌ لصفة الكلام للرب تعالى، وهذا مخالفٌ لمعتقد السلف الصالح، فقد أثبتوا الصفة بغير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تأويل ولا تعطيل.

انظر: الحجة (٣٣٢/١) للأصبهاني، والتوحيد (ص/١٣٦) لابن خزيمة، السنة (٢٢٥/١) لابن أبي عاصم، والفتاوى (٥٢/١٢، ٥٤، ٦٤، ٦٧، ٣٥٥) لابن تيمية.

والزبور وغيرها كلام الله تعالى، وإن كانت تلك الأصوات وتلك اللغات بالعبرانية وغيرها لم تقم بذات الله تعالى هذا على القول بأن الذي سمعه موسى عليه السلام صوت، وهو ليس بصحيح، وإنما أردت أن أبين فساد السؤال على القولين، وأما على الصحيح وهو أنه عليه السلام إنما سمع الكلام النفسي الذي هو صفة ذات الله تعالى القائم به من غير حرف ولا صوت، فمعناه يتبين بقواعد منها: إن كل عاقل يجد في نفسه الأمر والنهي، والخبر عن كون الواحد نصف الاثنين، وعن حدوث العالم وغير ذلك ، ثم إنه يعبر عن ذلك تارة بالعربية، وتارة بالعبرانية، وتارة بالفارسية، فتختلف العبارات وهو واحد لا يختلف في نفس المعبر، فذلك الذي لا يختلف هو الكلام النفسي، والمختلف هو الكلام اللساني، والأول هو الذي ندعي أن الله تعالى متصف به، وأقمنا البراهين على ذلك في علم أصول الدين، ومنها أن علم الحواس أجلى من علم النفس بدليل أن من فتح بصره فرأى زيدا، ثم أغمض عينه، فإنه يقطع بوجوده حالة التغميض، كما يقطع بوجوده حالة فتح البصر، ونحن نقطع بأن القطع الحاصل حالة فتح البصر أجلى وأقوى من القطع الحاصل حالة التغميض، وكذلك سائر الحواس، وإذا تكرر هذا ظهر أن إدراك الحواس علم خاص أجلى من مطلق العلم، وهو ممكن الوجود والقدرة الربانية يمكن إيجادها لكل ممكن، فيخلق الله تعالى هذا العلم الخاص الذي هو السمع في نفس موسى عليه السلام متعلقا بصفات الكلام القائم بذات الله تعالى، فهذا هو سماع موسى عليه السلام لكلام الله تعالى النفسي، وبه باين من يعلم هذه الصفة ولم يسمعها، لأن من يعلم قيام كلام الله تعالى بذاته منا إنما يعلمه بأصل العلم العام، وأما هذا العلم الخاص الجلي، فلم يحصل لنا، وسمي الخاص سماعا، لأن إدراكات الحواس سمي باسمه الموضوع له في اللغة، فليس من شرط علوم الحواس أن تكون بالأعضاء المخصوصة، لأن الأعضاء المخصوصة أجسام وجواهر، والأجسام والجواهر متماثلة، وكلما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر، جاز على الآخر، فكما جاز أن يخلق عالم السماع في الأذن جاز أن يخلق في سائر جهات البدن، وفي جواهر النفس كما اتفق لموسى عليه السلام ، ومما يقرب هذا المطلب على العقل أن الإنسان يقطع بأن الناس يتحدثون في أنفسهم، فهو مطلع على كلامهم النفسي، وقاطع به، وهو مطلع أيضا على ما قام بنفسه من الأحاديث، ويجد من نفسه علما ضروريا أن علمه بأحوال نفسه من الحديث وغيره، وإن اشترك الجميع في القطع

فقد وجدنا القطع الجلي المتعلق بالكلام النفسي موجودا فينا، وإذا وجدناه واقعا فينا أمكن وقوعه متعلقا بكلام الله تعالى، والموجب لعدول أهل الحق عن سماع موسى ﷺ للكلام الصوتي إلى أنه سمع الكلام النفسي قوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ (١) فجعل بعض النبيين كلمه دون البعض، مع اشتراك الجميع، بل هم والمؤمنون والمشركون في سماع الكلام الصوتي من التوراة وغيرها، فلولا اختصاص البعض بسماع الكلام النفسي لما حسن ذكر لفظه من المقتضية للتبعيض، وموسى ﷺ من أجلهم، فهو أولى بأن يخصص بسماع الكلام النفسي لا سيما وقد أكد الله تعالى كلامه بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ (٢) والمصادر تأكيد وتقوية للمذكور، فيتعين أن يكون المراد الكلام النفسي دون الصوتي، فإن قلت: إذا كان المسموع هو النفسي فلأي شيء قال الله تعالى: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ (٣) فقد حصل إبداء غاية الكلام من الشجرة، ومن الوادي، والقائم بذات الله تعالى لا يكون ابتداؤه من شيء من المحدثات، وإنما يستقيم ذلك في الصوتي.

قلت: هذا سؤال قوي، وجوابه جليل شريف، وهو أن الغاية التي ذكرت بلفظة «من» كما يتصور أن تكون غاية للنداء يتصور أن تكون غاية للمنادي باعتبار حال مقدرة له، وتقريره: أنا إذا نادينا زيدا وهو قريب من شجرة، ونحن بعيدون عنها لا ينسب إليها صدق قولنا: نادينا زيدا من الشجرة بمعنى ناديناه قريبا من الشجرة، فهي غاية لقربه منها، لا لنا ولا لندائنا، وهذا مثالنا في غاية الظهور، فكذلك موسى ﷺ ناداه الله تعالى بالكلام النفسي، وهو قريب من شاطئ الوادي، وقريب من الشجرة، فيكون العامل في هذا المجرور الحال المقدرة لموسى ﷺ دون النداء، أو نقول: المباركة من الشجرة، ومن شاطئ الوادي، ويتعين هذا دون النداء لما ذكرناه من الأدلة الدالة على أن المسموع هو الكلام النفسي دون الصوتي من التخصيص بمن، والتأكيد بالمصدر كما جاز أن يبصرنا الله، وهو ليس في جهة وبغير جارحة، ونراه نحن وهو

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٤.

(٣) سورة القصص: الآية ٣٠.

ليس في جهة، ونقطع بوجوده وليس هو داخل العالم، ولا خارج العالم، ولا جسم له جاز أن نسمع كلاما ليس بصوت.

السؤال الثاني عشر:

قال النصارى: دل القرآن على الاتحاد، والمسلمون ينكرون ذلك، بيانه: أنه لما ذكر الله تعالى يحيى عليه السلام قال في حقه: ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ۝﴾ [1] ولما ذكر عيسى عليه السلام قال في حقه: والسلام علي، فاتحد المسلم والمسلم عليه في حق عيسى عليه السلام لأجل ما اختص به من الاتحاد، ولما لم يحصل الاتحاد ليحيى عليه السلام سلم الله تعالى عليه بصيغة التعدد فقال: وسلام عليه، وهذا نص جلي في الاتحاد في حق عيسى عليه السلام دون غيره، ولا يحتاج معه إلى غيره مع أن المسلمين ينكرونه في حق عيسى عليه السلام ، وهو في كتابهم.

والجواب: أن هذا اغترار بما لا طائل تحته، لأن كل واحد منا يحسن منه أن يقول في حق نفسه الرضوان والسلام، والرحمة على سبيل الدعاء إن لم يعلم وقوع ذلك له، أو على سبيل الخير إن علم وقوع ذلك له مع القطع بعدم اتحاد شيء بذاته، بل لأن اللفظ العربي يقتضي ذلك، وأي غريب في قول عيسى عليه السلام (السلام علي) أي من الله تعالى، كما يقول صلوات الله عليه ورضوان الله علي، وفضله ونعمته، بل تسليم الله تعالى على يحيي عليه السلام أفضل من قول عيسى عليه السلام ، والسلام علي، لأن خبر الله تعالى عن يحيي عليه السلام وحصول السلامة له واقع قطعا، وخبر الله تعالى صدق وكلام عيسى عليه السلام دعاء، والدعاء ليس من لوازمه الإجابة، واللازم الوقوع أفضل من غير اللازم الوقوع، وأخبار الله تعالى عن العبد أفضل من إخبار العبد عن العبد لمزيد شرف الربوبية على العبودية، فظهر أن متمسكاتهم أوهام وأضغاث أحلام.

السؤال الثالث عشر:

قالوا: المسلمون ليسوا على ثقة بما بأيديهم من القرآن، وهم يعتقدون أنه لا خلل فيه، وبيانه أن عبد الله بن مسعود كان رضي الله عنه من أجل الصحابة حتى قال فيه عليه الصلاة

---

(١) سورة مريم: الآية ١٥.

والسلام: «رضيت لأمتي ما رضيه لها ابن أم عبد» [(١)]، وقد خالفهم في القرآن، وخالفوه حتى أوجعه عثمان ﷺ ضربا[(٢)]، ولو كان القرآن مقطوعا به لما وقع فيه الخلاف بين الصحابة، وهم حديثو العهد بالنبي ﷺ، لأن القطع يمنع وقوع الخلاف، كما لا يختلف العقلاء في وجود بغداد، ولا في أن الواحد نصف الاثنين، وإذا لم يحصل للصحابة رضي الله عنهم القطع لم يحصل لغيرهم بطريق الأولى، لأنهم أصل لغيرهم، والفرع لا يكون أقوى من الأصل، وقد أثبت ابن مسعود ﷺ ما نفاه غيره من القراءات الشاذة، وأثبتوا هم ما نفاه هو، وهو المعوذتان، فكان عبد الله ينفيهما، وإذا وقع مثل هذا الاختلاف العظيم نفيا وإثباتا اختلت الثقة بجملة القرآن.

والجواب: أن هذا سؤال أورده بعض المرتدة عن الإسلام بعد أن أسلم، وكان يعتقد أنه من الأسئلة العظيمة، والمثالب الفاحشة، وليس الأمر كما ظنه، بل أضله الله تعالى على علم، فنظر بعين البغضاء، وتكلم بلسان الشحناء فران على قلبه هواه، فلم يتميز له صوابه من خطأه، والذي اتفق بين الصحابة رضوان الله عليهم، ليس لأن القرآن غير معلوم عندهم، بل هو معلوم متواتر خلفا وسلفا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝ ﴾[(٣)] ومن أصدق من الله حديثا، وإنما اختلفوا ﷺ في أن ابن مسعود كان يقرأ القرآن، ويضم إليه تفسيره نحو قوله تعالى: ﴿ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾ [(٤)] كان يقرؤها متتابعات، وغير ذلك مما كان ﷺ يعتقد أنه تفسير لتلك الآيات التي نازعوه فيها حرصا منه على بيان معناها، فكانوا هم يحرصون على أن لا يضاف للقرآن غيره حذرا مما اتفق لأهل الكتاب في كتابهم، ففسد حالهم، وكان الصواب معهم، فميزوا كلام الله تعالى من غيره، ولم يخلطوه بسواه، فسلم عن الغلط والزلل، وهذا هو الحزم الذي وفق الله تعالى له هذه الأمة، ولذلك أجمعوا فيما أعلم أنه لا يجوز أن يكتب فواتح السور بالمداد، بل بصبغ آخر حذرا من أن يعتقد أنها من

(١) [حديثٌ حسنٌ]: أخرجه الحاكم (٣/٣١٧، ٣١٩) من طريقين، وصححه وأقره الذهبي، والفسوي (٢/٥٤٩) في المعرفة، وابن أبي شيبة (١٢/١١٤) في مصنفه، والطبراني (٩/٧٧) في الكبير، وانظر الصحيحة (١٢٢٥) للألباني.

(٢) لم يصح ذلك في سيرة ذي النورين كما حققته في «صحيح التوثيق في سيرة عثمان بن عفان».

(٣) سورة الحجر: الآية ٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

القرآن، وهذا غاية العناية من الله تعالى بهذه الأمة، وهو المحمود المشكور على نعمه السابغة، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. فهذا هو القراءات الشاذة ومنها القراءات بالمعنى نحو القراءة في قوله تعالى: اهدنا صراط من أنعمت عليهم بدلا من قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [(١)] فرفض ذلك غاية الرفض حرصا على نفس اللفظ، وإبعادا لذرائع التغيير والتبديل، فهذا من أفضل محاسن هذه الأمة، لا من مساويها، ومن فضائلها لا من رذائلها، وأما المعوذتان، فكان ابن مسعود يريد أن يفردهما عن القرآن ليقرأهما الجنب وغيره للتعوذ حتى يتميز ما يشترط فيه الطهارة من القرآن عما لا يشترط، فهذا وجه اجتهاده ﷺ ورأى الصحابة رضي الله عنهم إلى إفراد شيء من القرآن عن القرآن ذريعة ووسيلة إلى إسقاط بعض القرآن، فمنعوا منه وكان الحزم معهم رضي الله عنهم، فظهر حينئذ أن السؤال صواب، والجاهل يعتقد أنه صواب فبنى على منواله في الضلال وقنع بزخارف الأقوال، وسيعلم إذا انكشف الغبار أفرسا ركب أم حمارا.

السؤال الرابع عشر:

قالوا: المسلمون على ضلال في دينهم بنص نبيهم وهم لا يشعرون، **بيانه**: أن في الأحاديث الصحيحة باتفاقهم أن نبيهم قال لهم عند موته: «**هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا**» [(٢)]، فمنعهم عمر من ذلك، وقال: حسبنا كتاب ربنا، وإذا قال النبي الصادق: إن الكتاب الذي يكتبه سبب عدم الضلال، وما كتبه، فيكون سبب عدم الضلال، لم يوجد فينتفي مسببه، وهو عدم الضلال، فيكون الواقع هو ضلالهم جزما بشهادة نبيهم التي لا يمكنهم ردها.

والجواب: أن إيراد هذا السؤال يقتضي على مورده بعدم فهم لسان العرب، لأن قوله عليه الصلاة والسلام «لن تضلوا معه» لا يقتضي أن الضلال المنفي بسببه يجب أن يكون في عقائد الدين، ولا في قواعد المسلمين، بل ذلك يصدق بأدنى مسألة من الفروع، ولم يصرح ﵇ بأنا نضل في الدين إذا لم نكتب، ولا أنا نضل في شيء البتة،

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٧.

(٢) [حديث صحيح]: أخرجه البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧)، وأحمد (٢٢٢/١، ٣٢٤، ٣٣٦)، وابن سعد (٢٤٢/٢، ٢٤٣) في طبقاته.

بل صرح بأنه يكتب ما ينفى معه الضلال، ولا يلزم من عدم سبب معين لنفي الضلال أن يقع الضلال، بل جاز أن ينتفي الضلال بالهداية الإلهية، والعناية الربانية، كما إذا قلنا للمسافر: إن أخذت هذا الخفير لا تضل يحتمل أنه إذا لم يأخذه أن يهتدي من تلقاء نفسه بإلهام ربه، أو سبب آخر، مع أن العلماء قد نقلوا أن ذلك الكتاب كان المقصود به نفي الضلال، فيمن يعين للخلافة بعده ﷺ، والخلافة ليست من قواعد الأديان، ولا شرطا في صحة الإيمان، مع أنا ما أثبتنا الخلافة بعده ﷺ إلا بنصه وإيمانه، ودل في معنى الكتاب كقوله ﷺ: «**الأئمة من قريش، وقد ولينا قريشيا**» وبقوله ﷺ لما وعد المرأة بعدة فقالت له ﷺ: فإن لم أجدك، قال لها ﷺ: «**ائت أبا بكر**»، فصرح بأنه يتولى أعباء المسلمين بعده، وهذا هو الخلافة، وما ولينا غير أبي بكر، فما ضللنا، والحمد لله في الخلافة، ولا في غيرها، وعمر ﷺ من أشفق الناس على هذه الأمة، فلولا أنه علم أن في النصوص ما ينوب عن الكتاب لما أهمله، وهو ﷺ أشفق منه، وعليه التبليغ واجب، فلو كان قد بقي ما يضلنا في ديننا لما تركه ﷺ لا سيما وهو يقول في حجة الوداع: «**ألا قد بلغت ألا قد بلغت**»[1] والله تعالى يقول تقريرا لذلك: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾[2] وحينئذ يتعين أن ذلك الكتاب كان من باب الاحتياطات التي لا يضر الإخلال بها، وحينئذ لا يلزم من عدمه مفسدة في شيء من الأحوال، ولا في غيرها فاندفع السؤال!!

السؤال الخامس عشر:

قال النصارى: المسلمون يعيروننا بأن أناجيلنا أربعة، عن أربعة مختلفين، وقراءتهم عن سبعة قراء مختلفين اختلافا شديدا، أكثر مما بين الأناجيل من اختلافات بكثير، ويعترفون أن القرآن أكثر من سبع، وإنما هذه السبعة اتفق اشتهارها، فلهم حينئذ سبعة كتب، بل عشرة، بل أكثر من ذلك عن أناس شتى فهم أشد اختلافا في كتابهم منا في كتابنا بالضرورة، فلا معنى لإنكارهم علينا ما وقع في كتابنا من الاختلاف، فإنه عندهم أعظم؟

---

(١) [حديثٌ صحيحٌ]: أخرجه البخاري (١/٣٤، ٣٨)، ومسلم (١٦٧٩)، وأحمد (٣/٨٠)، (٥/٣٧)، وابن ماجه (٣٩٣١)، وابن سعد (٢/١/١٣٢) في طبقاته، والبيهقي (٣/٣٢٢، ٣٤٠) في سننه الكبرى.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣

والجواب: ما قال الشاعر:

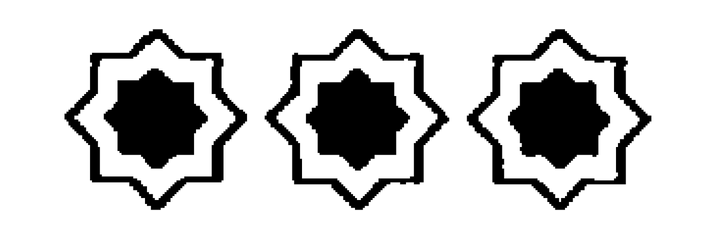
أكل امـــرئ تحسبـــين امـــرأ ونـــار توقـــد بالليـــل نـــارا

هيهات ما كل سوداء تمرة، ولا كل بيضاء شحمة، أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز على خير رسله بلغة قريش، وقبايل العرب مختلفة اللغات في الإمالة، والتفخيم، والمد، والقصر، والجهر، والإخفاء، وأعمال العوامل الناصبة والرافعة، والجارة، فلو كلفوا كلهم الحل على لغة واحدة لشق عليهم ذلك، فسأل ﷺ ربه أن يجعله على سبع لغات، لتتسع العرب ويذهب الحرج، وكان بالمؤمنين رءوفًا رحيما فأنزلت القراءات لذلك، وكلها مروية عنه ﷺ متواترة، فنحن على ثقة في جميعها، وأنها عن الله تعالى وبإذنه متلقاة عن خير رسله، فذهب اللبس، وحصل اليقين.

وأما أنتم فليس في أناجيلكم رواية العدل عن العدل إلى مؤلفي أناجيلكم، ولا صرح مؤلفو أناجيلكم بكلمة واحدة. يقول متى فيها، أو غيره قال لي المسيح: إن الله أنزل عليه كذا، بل غاية ما في بعضه قال اليسوع المسيح كذا، إما أن ذلك القول من الكتاب المنزل من عند الله، أو هو من قبل عيسى ﷺ على ما اقتضاه رأيه، أو أنزل عليه لا على سبيل أنه من الإنجيل، هذا لم يتعرض له إنجيل من الأناجيل، وهلموا إلى أناجيلكم تحكم بيننا وبينكم إن كنتم صادقين، فقد وقفنا عليها ولم نجد فيها شيئا من ذلك، بل تواريخ وحكايات وأخبار، وبينها أقوال يسيرة معزية للمسيح ﷺ لم يصرح فيها بأنها من الإنجيل، ولا من غيره، وليس لكم أن تقولوا متى نقل للتلاميذ شيئا، فالمسيح قاله لهم لأنا نقول هم خلفاؤه على زعمكم، وكانوا فضلاء نجباء، ومثل هؤلاء يكون لهم آراء واجتهادات، وأقيسة وفراسات يتحدثون باعتبارها، فليس لكم أن تقولوا كل ما يقولونه، فهو من قبل المسيح ﷺ ، أو من قوله: ولو سلمنا أنه من قوله ﷺ، فيحتمل أن يكون من كلام الإنجيل ومن غيره، فلا يوثق بحرف واحد عندكم أنه من الإنجيل المنزل، بل نقطع بأن أكثره ليس منزلا، وهو تلك التواريخ، وكلام الكهنة وملوك الكفرة التي حشرتموها في الإنجيل، وتزعمون أن الإنجيل الكتاب المنزل، وهذا عندكم أشد وأصعب من التوراة، فإن التوراة كتبت في الألواح، وتميزت وتعينت، ثم طرأ عليها ما طرأ عليها، وأما الإنجيل فلم يتميز قط، ولم يعرف

له صورة ولا سمع منه كلمة غايته أن التلاميذ أملوا هذه الأناجيل بعد رفع المسيح ﷺ بمدة طويلة، ولم يصرحوا بأن هذا منزل، ولا غير منزل، فسقطت الثقة من الجميع حتى يتعين المنزل.

ولهذه القواعد لم يجز المسلمون أن يجعلوا شيئا من الأحاديث النبوية مع صحتها من الكتاب المنزل، ولا قول أحد من الصحابة، بل متى قال صحابي قولا نسب له فقط، ولا يجوز أن يقال: هذا من قول النبي ﷺ فضلا عن كونه من القرآن، وأنتم جعلتم الجميع من الكتاب المنزل، وسميتموه كتاب الله فوقعتم في الضلال، وقول المحال، فلا تشبهوا أنفسكم بنا، فوالله ما اجتمعنا في شيء من هذا، بل أنتم في غاية الإهمال، ونحن في غاية الاحتفال.





في أسئلة على الفريقين معارضة لأسئلتهم ودامغة لكلمتهم وملتهم، فيزهق الباطل بالحق، والكذب بالصدق.

السؤال الأول:

في الإنجيل قال لوقا: اختار يسوع عليه السلام سبعين رجلا، وبعثهم إلى كل موضع أزمع أن يأتيه، وقال: الحصاد كثير، والحصادون قليل اطلبوا إلى صاحب الزرع أن يرسل فعلة لحصاده، ثم قال: من سمع منكم فقد سمع مني، ومن شتمكم فقد شتمني، ومن شتمني فإنما شتم من أرسلني، فقد صرح عليه السلام بأنه رسول لا رب، وهو حجة على النصارى؟

السؤال الثاني:

قال لوقا: قال الفريسيون ليسوع عليه السلام : اخرج من ههنا، فإن هيرودس يريد قتلك، فقال: امضوا، وقولوا لهذا الثعلب: إني أقيم ههنا اليوم وغدا، وفي اليوم الثالث أكمل، لا يهلك نبي خارجا عن أورشليم، فخوفوه كما يخوف البشر، وصرح أنه نبي حكمه في أورشليم حكم الأنبياء عليهم السلام، لا أنه رب العالمين، ويريد بقوله: أكمل تتم مدة إقامته في هذا العالم، ثم يرفع إلى السماء.

السؤال الثالث:

في الإنجيل قال يوحنا: لما انتصف العيد حضر يسوع عليه السلام إلى الهيكل، وشرع يعلم فقال اليهود: كيف يحسن هذا التعليم؟ فقال: تعليمي ليس هو لي، بل للذي أرسلني، فمن عمل بطاعته، فهو يعرف تعليمي، هل هو من عندي، أو من عند الله، إن من يتكلم من عند نفسه إنما يريد مجد نفسه، فأما من يريد مجد من أرسله فهو صادق، ثم قال: إني لم آت من عندي، ولكن الذي أرسلني فحق، ولستم تعرفونه، وإنما أنا الذي أعرفه وهو الذي أرسلني فَهَمَّ اليهود بأخذه فلم يقدروا لأن ساعته لم تحضر بعد، وقد صرح غاية التصريح بأنه مرسل، وان الكلام ليس له، وإنما هو لله تعالى، وأنه لا يريد

مجد نفسه، بل مجد مرسله، وأنه لم يختلق شيئا من قبل نفسه، ولكن الله تعالى أرسله بالحق، وعلى قول النصارى أنه الله تعالى عن قولهم يكون الكلام له، ويكون ساعيا في مجد نفسه، ولا يكون مرسلا، وهذه تصريحات عظيمة لا تدفع إلا بالعناد المحض، والبهتان الصرف.

السؤال الرابع:

قال المسيح عليه السلام في خاتمة الإنجيل: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، فسوى بين نفسه وبين غيره في الأبوة والبنوة، لأن المراد بها أن الله تعالى يحسن لخلقه إحسان الآباء للأبناء، بل أشد، وهذا مشترك بين عيسى عليه السلام، وبين الخلق، فذلك سواء بسواء، وهو معنى قول اليهود في القرآن: ﴿ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة:١٨]، والنصارى يحكمون بأبوة الولادة بصدر هذا الكلام، وهو قوله:أبي ويغفلون عن قوله: وأبيكم، وعن قوله وإلهي وتصريحه عليه السلام بأنه مخلوق مربوب له إله يعبده، ورب يدبره كسائر البشر، وقد وقع في الإنجيل لفظ الابن والأب كثيرا لغير المسيح عليه السلام ، فقد قالت النصارى: إن المسيح عليه السلام علم تلاميذه هذه السورة، وهي يا أبانا الذي في السموات قدوس اسمك، يأتي ملكوتك، تكون مشيتك في السماء كذلك يكون في الأرض إلى آخر السورة ... فقد أطلقوا على الله تعالى الأبوة بالنسبة إليهم، وهي مستعملة بالمعنى الذي ذكرناه عندهم كثيرا على سبيل المجاز كقول التلاميذ لبطرس: يا أبه، وفي التوراة قال يوسف عليه السلام : أنتم الذين بعثتموني، بل الله قدمني أمامكم، وجعلني أبا لفرعون أي مدبرا له، وقد كان التلاميذ يقولون للمسيح عليه السلام : يا أبه يا أبه متكررا في الإنجيل، وفي التوراة قال الله تعالى: إسرائيل ابني بكري أي أعز الأولاد بمعنى أعامله أفضل ما أعامل به الخلق، وقال يوحنا في إنجيله: إن يسوع عليه السلام كان مزمعا أن يجمع أبناء الله أي أهل الإيمان الذين تفضل الله تعالى عليهم بتوحيده، فلم لا يعتقد النصارى هؤلاء كلهم أبناء الله مثل عيسى عليه السلام ، ويدلك على استعمال عيسى عليه السلام المجاز في الإنجيل قال متى: بينما يسوع عليه السلام جالس يتكلم على الناس إذ قيل له: أمك وأخوتك بالباب يطلبونك، فقال: من أمي، ومن أخوتي، ثم أومأ بيده إلى تلاميذه، وقال: هؤلاء هم أمي وأخوتي، وكل من صنع مشيئته أبي الذي في السموات، فهو أخي وأختي وأمي، فلم لا يقتدي النصارى بالمسيح عليه السلام ، وبالتلاميذ، وبالتوراة باستعمال

المجاز في هذه الألفاظ، بل هم في الجهالة والضلالة، وقلة العقل، بل عدمه كالفأر الأعور يرى الخبز، ولا يرى القط إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلا، ومن العجب أنهم يحتجون على ضلالهم بأن الذي ألجأهم إلى أنه ابن الله تعالى الله عما يقولون كونه خلق من غير أب من البشر، فيتعين أن يكون أبوه هو الله تعالى، وآدم أولى منه بذلك، لكونه خلق من غير أب ولم يباشر الأرحام، ولا سقم الأطفال، ولا تطور في أطوار البشر، وكم في العالم من الحيوانات خلقها الله تعالى من غير أب، ولقد بلغني أن بعض رسل المسلمين ناظر النصارى بصقلية، لأن الأنبرور آثر ذلك لما قدم عليه رسول ملك المسلمين، فجمع أعيانهم له فقطعهم بقدح من الفول المسوس، فكان يخرج لهم الفولة، فيخرج سوستها، ويقول أين أبو هذه، ثم يخرج آخر، ويقول أين أبو هذه، فبهتوا لعنهم الله، وناهيك من قوم يقطعهم فولة مسوسة، فإن سوس الحبوب بأسرها لا تتولد، وإنما تخلق كل سوسة داخل الحبة والقشر منغلق عليها، وإنما تخرج من الحبة بعد خلقها، وقد ابتدأ الله تعالى العالم بأسره من غير مثال، فأي آيات الله تنكرون، ولذلك غلطوا في لفظة الرب والإله، والمراد بالرب المربي والإله المسلط، ففي التوراة قول إبراهيم ولوط صلوات الله عليهما للملك يا رب، بل إلهي، وفيها قال الله تعالى لموسى عليه السلام : قد جعلتك إله لفرعون يريد مسلطا عليه، وقال له: وقد اشتكى له لثغة في لسانه، قد جعلتك ربا لهارون، وجعلته لك نبيا، أنا آمرك، وأنت تبلغه، وهو يبلغ بني إسرائيل، فلا تغتر بقول بطرس للمسيح عليه السلام . يا رب، وهذه الألفاظ كثيرة في كتبهم في غير عيسى عليه السلام تركتها خشية الإطالة.

السؤال الخامس:

زعمت النصارى أن المسيح عليه السلام هو الله تعالى، وإنما نزل إلى الأرض لينصرهم على اليهود، وأن يشرق في سماء مجدهم شمس السعود لتخليص العالم من الخطيئة وتصير أنفس أهله زكية راضية مرضية فيقال لهم: كان الأبلغ في أبهة الجلالة الصمدية، والحرمة الإلهية أن يفعل ذلك على أيدي رسله المرضيين، وخاصته المقربين، فما الذي أوجب نزوله من مجده الرفيع، وعزه المنيع إلى حضيض الآفات، ومقر المؤلمات فولج بطون النساء واغتذى بالدماء ولبث في الأرحام منغمسا في المشيمة، والأحوال الذميمة إلى أن ولدته أمه وأرضعته، وفصلته وأربته وأمرته بحقوقها، ونهته عن عقوقها وترددت به إلى

المواسم وأرته الشعاير والمعالم تلقنه وتثقفه حتى شب وترعرع وتشوق إلى شرف الرجولية، وتطلع، فلما شرع فيما نزل إليه وثبت عليه اليهود أهل الكفر والجحود، فنكدوه وطردوه وعزموا على أن يقتلوه، فلما أعياه أمرهم تحصن بالأستار خلف الجدار، وأمر أصحابه بكتمانه، وأن يبالغوا في إخفاء مكانه، وأقام على ذلك مدة، واليهود تطلبه حتى دل عليه يهوذا صاحبه، فأسلمه لأعدائه، وأحله في شبكة بلائه، فسحبوه على الشوك حزينا، وبقي هذا الإله المسكين في أيدي اليهود بالعذاب رهينا يرون أقبح ما يفعلونه حسنا، وأشد ما يهينونه به مستحسنا مهما بلغوا من إهانته المن المراد، وعلاه لشدة الهوان الضعف والسواد مضوا به إلى بقعة من الأرض يزعم النصارى أنه رجاها، وحَمَّلوه خشبته التي يقول: أنبت لحاها، وألبسوه أثوابا حمرا للشهرة كان قد خلق ورسها، وأنكره نحو الشمس الذي هو أسخن مسها، وسألهم شربة من الماء الذي فجره حين وصلت روحه للحنجرة، فبخلوا بها وعوضوه الخل والمر عنها، فلما تعالت عليه الآلام والدواهي نادى فوق جدعه إلهي إلهي قد صار بين اللصوص ثالثا لجناح وعوض عما نزل إليه أنواع الآفات والمذلات، ثم زهقت نفسه، وحضر رمسه، وصار في بطن اللحد سرا مكتوما، وعاد الإله القديم معدوما، ثم خرج بعد الثلاث من ذلك المكان، وعاد كما كانَ بعد أن اتصف بالأحوال الوبيلة، وبقيت حسرة النصارى عليه طويلة، وتضاعفت الخطيئة بالجناية على رب البرية وعظم تسلط اليهود، وكفر أهل الجحود، ولم يعظمه ويؤمن به إلا النفر القليل، والعدد اليسير، فكيف بهذا الرأي السقيم، والتصرف الذميم، بل لا يصدر هذا إلا من فاسد الرأي مشوم الغرة، ناقص الهمة مظلم الفكرة يعرض نفسه للمحن ويثير بين العباد الإحن، وإن هذا لمن أعظم الشين لهذه الربوبية وإزالة بهجتها وطمس نورها، وإطلاق ألسنة الأعداء بإبطالها، وأين هذا من قول المسلمين الذين يجلون الله عن الاتصاف بصفات الأجسام، ويحيلون على جنابه الكريم أن تناله الآفات والآلام، بعث عيسى عليه السلام نبيا مكرما، ورفعه إليه مجيدا معظما لم يهنه بأيدي الأعداء، ولا سلط عليه أسباب البلاء، ولو أن إنسانا نشأ ببعض الجزاير لا يعرف الأديان، ولا يخالط نوع الإنسان فقيل له: إن لك ربا خلقك وأبدعك، وهو رجل مثلك يبول ويتغوط، ويبصق ويمخط، ويجوع ويعطش، ويأكل، ويشرب، ويسهر، وينام، ويتنازع مع الأنام الكلام، وأن إنسانا مثله

ومثلك بغضه، فضربه وسجنه، ثم صلبه، وقتله بعد أن حطم شعره، ولطم نحره، فجاور الأموات وتعذر عليه روح الحياة لاستنكف العقل السليم، والطبع الوخيم الاعتراف بوجود هذا الإله، فضلا عن هذا الاعتراف بربوبيته، ولنفر أن يكون عبدا له، ويرى نفسه أفضل من هذا الإله لسلامته عن هذه الآفات، وجميع ما ذكرته في هذا الفصل هو نص الإنجيل، ولا تخالف النصارى فيه.

السؤال السادس:

يقول النصارى: الله تعالى الأزلي الخالق للعالم، والنافخ للروح في آدم فيقال لهم: أهو إله واحد، أم لا، فإن قالوا: نعم وكفروا بالأمانة والصلوات الثمانية، لأن في الأمانة التي هي أصل دينهم نؤمن بالله الأب الواحد ضابط الكل، ونؤمن بالرب الإله الواحد يسوع المسيح إله الخلق الذي بيده اتقنت العالم، وخلق كل شيء، ونؤمن بروح القدس الواحد الحي، ويقرعون في صلاة النوم: الملائكة يمجدونك بتهليلات مثلثة أيها الأب، لأنك لم تزل وابنك نظيرك في الابتداء، وروح القدس مساويك في الكرامة ثالوث واحد، فقد صرحوا بثلاثة أزلية وإنسان من بني آدم يسمى يسوع، فهم يقولون بأربعة، وهم لا يشعرون وإن قالوا: لا،كفروا بالتوراة، والإنجيل، وأما التوراة قال الله تعالى لموسى ﷺ : أنا إلهك، فلا يكن لك إله غيري وفيها اعلم أنني أنا الله وحدي، وليس معي غيري أنا أميت وأحيي وأسقم وأبرئ ولا ينجو أحد من يدي والتصريح بالتوحيد كثير في التوراة، وفي إنجيل متى لا صالح إلا الله الواحد، وفي إنجيل يوحنا قال المسيح: وقد رفع بصره إلى فوق إلهي إن الحياة الدائمة تجب للناس إذا علموا أنك الواحد الحق الذي أرسلت المسيح، وهو كثير في الإنجيل تركته خوف الإطالة، فهم كفرة على التقديرين، إما بصلواتهم، أو بأمانتهم التي هي عين الخيانة، أو بكتبهم.

السؤال السابع:

نقول الإله الواحد الأزلي جسم، ولحم ودم، أم يستحيل عليه ذلك، فإن أحالوا ذلك عليه خرج المسيح ﷺ من الربوبية، لأن الأناجيل الأربعة تشهد بأنه لذلك لا يباين البشر في شيء، وأن يحيلوا ذلك أكذبتهم التوراة والإنجيل، والنبوات، ففي التوراة لا تشبهوني بشيء، مما في السموات فوق ولا في الأرض أسفل، ولا في البحار تحت، ولا بشيء، وهو قول القرآن الكريم: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ

ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١)، وفي الإنجيل إن الله لا يأكل، ولا يشرب وما رآه أحد قط، وفي المزامير: يا رب أنت صانع العجائب لا نظير لك.

السؤال الثامن:

نقول لهم: الله تعالى يجوز أن يصلب ويقهر، فإن قالوا: لا بطل قولهم في المسيح إذ يقرعون في صلاة الساعة السادسة من سمرت يداه على الصليب، وبقي حتى لصق دمه عليه قد أحببنا الموت لموتك يا الله بالمسامير التي سمرت بها نجنا، وإن جوزوا على الله ذلك كذبتهم التوراة، والإنجيل والمزامير، ففي السفر الأول أن الله تعالى أنزل الطوفان وأهلك الجبابرة والفراعنة والطغاة والمروة، وسائر الملوك من بني آدم، وكل بني روح من الحيوان البهيم وغيره، وغرق فرعون في ستمائة ألف فارس في البحر في ساعة واحدة، ولم يقهر سبحانه، ولم يغلب، بل هو القاهر الغالب جل وعلا، وفي الإنجيل لا صالح إلا الإله الواحد، ولا يعلم يوم القيامة سوى الله تعالى، والذي تلحقه الآفات والقهر لا يتقرر بالصلاح، بل هو كغيره، وفي المزمور السابع عشر عزيز مثل إلهي.

السؤال التاسع:

تقول النصارى آدم وإبراهيم وإسماعيل وموسى، وأممهم كانوا يعرفون المسيح عليه السلام، ويعتقدون أنه خالقهم، ومدبرهم أم لا، فإن قالوا: لا كفروا بهذه الأنبياء عليهم السلام، لنسبتهم فيها الى الجهل بخالقهم، وإن قالوا: نعم كذبتهم الكتب جميعها، إذ ليس فيها حرف يدل على أن أحدا من هؤلاء كان يعتقد أن المسيح عليه السلام إله.

السؤال العاشر:

آدم عليه السلام تاب وأناب، أم لا، فإن قالوا: نعم بطل القول بالصلب، فإنهم يقولون: إن سر الصلب محو خطيئة آدم عليه السلام ، وأن الله تعالى فداه بابنه، كما فدى إسحاق بالكبش، فضرب المسيح عليه السلام عوضا من رفاهية آدم وإهانته بدلا من ثمرة التي أهلها بالخلود في الجنة، وصلبه على خشبة لتناوله الشجرة، وسمرة يداه لامتداد يد آدم عليه السلام إلى الثمرة، وسقي الخل والمر عند عطشه لاستطعام آدم عليه السلام حلاوة ما أكله، ومات بدلا عن موت المعصية التي كان آدم عليه السلام يتوقعه، وإن قالوا: لا كذبتهم كتبهم فإنها

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

مصرحة كلها بتوبة آدم عليه السلام والتوبة تنفي الحوبة، فلا معنى لعقوبة الولد، ثم الفدا بهابيل أولى، لأنه ولد الصلب، وفداء البشر بالبشر الصرف أولى من الفداء لبشر هو إله قديم، وفي كتبهم أن الله تعالى فدى إسحاق بكبش، ففداء آدم على خطيئته بكبش أولى، أو نقول: الله تعالى فدى الجميع بكفره عجلهم للنار وهو أولى، لأنه إيقاع العقوبة، ويدل على أن التوبة تمحو الإثم قول الإنجيل لما أسلم المعهد إلى للقتل خرج يسوع عليه السلام إلى الجليل، وجعل ينادي قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله تعالى فتوبوا وآمنوا بالبشر، فجعل التوبة توجب الإيمان بالبشر.

السؤال الحادي عشر:

نقول لهم: الله تعالى بكل شيء عليم، أم لا، فإن قالوا: لا كذبتهم كتبهم لقول المسيح عليه السلام : لا يعلم القيامة إلا الله تعالى، وإن قالوا نعم بطل اعتقادهم في ربوبية المسيح عليه السلام ، فإن نصوص الإنجيل يقتضي عدم علمه بالمغيبات، كقوله عليه السلام لمريم ومرتا أمي العاذر، وحين مات أين دفنتموه، فعرفوه بمكانه فأحياه، وذلك كثير في الإنجيل، ومن هو منقوص بنقايص البشر لا يصلح للربوبية.

السؤال الثاني عشر:

هل كان الله تعالى قادرا على خرص آدم وذريته بغير صلب المسيح، أم لا؟ فإن قالوا: لا، كفروا بنسبة الله تعالى للعجز والاضطراب، وأكذبهم ما تقدم من التوراة وغيرها، وإن قالوا: يقدر كفروا بنسبته إلى الحيف علي يسوع عليه السلام ، وإهانة الخاصة بأيدي على قاعدتهم في التحسين والتقبيح، وليس من العدل أن ينجى آدم عليه السلام ، فيفدى بابن الله تعالى.

السؤال الثالث عشر:

يقولون في أمانتهم التي هي أصل دينهم: إن خطيئة آدم عليه السلام عمت جميع أولاده، وأنه لا يطهرهم من خطاياهم إلا قتل المسيح عليه السلام والتوراة، والنبوات ترد عليهم، ففي السفر الأول من التوراة يقول الله تعالى: لقابيل قاتل هابيل إن أحسنت يقبل منك، وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة ببابك، وفي بعض النبوات لا آخذ الولد بخطيئة الوالد، ولا الوالد بخطيئة الولد طهارة الطاهر له تكون وخطيئة الخاطىء عليه تكون، وهو تصريح، وعدم تخطي الخطيئة محلها كقول القرآن الكريم: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخْرَىٰ﴾ (١) ولأنه لو عمت لكانت خلاف العدل، وغير حسن على قاعدة الحسن، والقبيح عندهم، وفي المزمور الرابع يا بني البشر حتى متى أنتم ثقيلي القلوب، لماذا تهربون الباطل، وتبتغون الكذب، اغضبوا ولا تأثموا، والذي تتهمون به في قلوبكم اندموا عليه في مضاجعكم: اذبحوا لله ذبيحة البر، وتوكلوا على الرب، فأخبر أنهم إذا فعلوا آمنوا، فلا حاجة إلى صلب الرب، ولا صلب ولده، وهو كثير في كتبهم، ثم المصلحة تقتضي الفداء بهابيل، وكان العالم قد تخلص من خمسة آلاف سنة من زمن هابيل إلى زمن المسيح عليه السلام، ثم الذين ماتوا قبل زمن المسيح عليه السلام، ماتوا كفارا، أو مؤمنين، فإن قالوا: ماتوا مؤمنين، فلا حاجة إلى الصلب، وإن قالوا: كفارا كذبهم الإنجيل في قول عيسى عليه السلام: إني لم أرسل إلا إلى الذين ضلوا من بني إسرائيل، وأن الأصحاء لا يحتاجون إلى الدواء، ثم تأخيره حين حينئذ عن الخطابين حتى ماتوا إغفالا للمصالح العظيمة، وهو غير لائق بالحكمة.

السؤال الرابع عشر:

قالوا: المسيح عليه السلام مات، ثم عاش، فيقول لهم: من أحياه؟ فإن قالوا: نفسه، قلنا: وهو حي، أو ميت؟ فإن قالوا: هو حي لزم تحصيل الحاصل، وإن قالوا: وهو ميت لزمهم المحال، لأن الخالق للحياة لا يمكن أن يكون ميتا، بل أقل أحواله أن يكون عالما لمن يحييه، وقيام العلم بغير الحي محال، وإن قالوا: أحياه غيره وهو الذي أماته لزمهم أن يكون المسيح عليه السلام عبدا مربوبا، وهو المطلوب.

السؤال الخامس عشر:

يقال لهم: إماتة المسيح عليه السلام حكمة، أو سفه، فإن قالوا: حكمة لزمهم الثناء على اليهود بالخير لإعانتهم على الحكمة، وفعلهم لها، وإن قالوا سفه نسبوا الرب تعالى إلى السفه، وهو كفر.

السؤال السادس عشر:

قالوا: المسيح عليه السلام إله العالم، وخالقهم ورازقهم ومدبرهم إلى منتهى آجالهم، ثم صلب، ودفن ثلاثة أيام فيقول لهم: يا سخفاء العقول والجاهلين بالمعقول والمقول، من

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

كان يقوم برزق الأنام والأنعام في تلك الأيام، وكيف كان حال الوجود، ومن المدبر للسموات والأرض بالبسط والقبض، والرفع، والخفض، وهل دفنت الكلمة بدفنه وقتلت بقتله، أم خذلته، وهربت مع التلاميذ فإن دفنت فإن القبر الذي وسع الكلمة لقبر عظيم وإن أسلمته وذهبت، فكيف أمكنت المفارقة بعد الاتحاد والامتزاج، وكيف يحسن بهذا الإله إسلامه محله لأعدائه، وخذلان سائر أودائه، وإن قولكم: في الأمانة التي أشد فسادا من الخيانة أن المسيح عليه السلام أتقن العوالم بيده، وخلق كل شيء، وقولكم: إن الأب لا يدبر أحدا، بل الابن الذي يدبر الناس، فإن كان صلبه برضاه، وهو قادر على دفعه عن نفسه، فينبغي أن يترحموا على اليهود، ويعظموهم لتحصيلهم رضاه، وإن كان بغير رضاه فاطلبوا إلها سواه، فإن العاجز عن حفظ حشاشته كيف يُرْجى منه دفع، أو يتوقع منه نفع.

السؤال السابع عشر:

نقول: كون هذه الواقعة العظيمة التي من جملتها صلب إله العالم إنما كانت عندكم لسبب خلاصكم، فحققوا لنا هذا الخلاص إن كان من محن الدنيا، فها أنتم مشاركون لسائر البشر في النفع والشر، أو من عهد التكاليف، فها أنتم مخاطبون فيها بالمبادرة، وآتون على التسويف تدأبون في الصلاة والصيام، مختبطون في موارد الأنام، أو من أهوال القيامة، وما تكابده الخلائق يوم الطامة أكذبكم الإنجيل بقوله: إني جامع الناس في القيامة عن يميني وشمالي، فأقول لأهل اليمين: فعلتم خيرا فاذهبوا إلى النعيم، وأقول لأهل الشمال فعلتم شرا، فاذهبوا إلى الجحيم، فقد أخبر أن الناس كلهم ينجون بحسناتهم، ويهلكون بسيئاتهم وضاع الصلب في البين.

السؤال الثامن عشر:

على معنى قولهم في الاتحاد، وهم فرق ثلاث اليعاقبة، والروم والنسطورية، وهم كثيرون في فرقهم لكن المشهور الآن هؤلاء الثلاث، وأقوالهم متضادة متناقضة، لأن كلا منهم يريد تفريع مذهب صحيح على أصل مستحيل، ولا فرع إذا فسد الأصل، فاليعاقبة فرقة يعقوب السروجي، ويسمى البرادعي ادعت أن المسيح عليه السلام صيره الاتحاد طبيعة واحدة، وأقنوما واحدا، والسؤال عليهم أن حقيقة اللاهوت والناسوت إن بقيتا بعد الاتحاد على حالهما بطل قولهم صارتا طبيعة واحدة، وإن تغيرتا عن حالهما، فهذه

حقيقة أخرى لا لاهوت ولا ناسوت، فلا تصفوا المسيح عليه السلام بأنه إله، ولا إنسان، ويلزمهم أن القديم الإله صار محدثا، والمحدث صار قديما لضرورة اتحاد الحقيقة، وأن يصير الخالق مخلوقا، والمخلوق خالقا لضرورة اتحاد الحقيقة، أو تقول: اللاهوت، والناسوت إن بقي لكل واحد منهما خصوص ذاته، فهما حقيقتان قطعا لا حقيقة واحدة، فلا اتحاد وإن ذهبت خصوصية كل واحد منهما عدما بالضرورة، لأن الخصوصية للذات من ألزم اللوازم، فإذا عدم اللازم عدم الملزوم، وإذ عدمت الحقيقتان فلا اتحاد بالضرورة، لأن اتحاد الذاتين فرع وجودهما، ولعدم نفي محض، فلا اتحاد معه، فالاتحاد باطل جزما، الفرقة الثانية الروم، وهم الملكية يقولون: هما بعد الاتحاد جوهران أقنوم واحد والأقنوم لفظة رومية، ومعناها في اصطلاحهم اليوم: الشخص، وقال الجوهري في الصحاح: الأقانيم الأصول واحدها أقنوم مثل: عصفور، وخرطوم، قال: وأحسبها رومية قالت الملكية: فله بطبيعة اللاهوت مشيئة كمشيئة الأب، وله بطبيعة الناسوت مشيئة كمشيئة إبراهيم، وداود عليهما السلام، وهو شخص واحد فأوجبوا الاتحاد في الشخص فقط لاعتقادهم استحالته في الحقائق، والسؤال عليهم أن نقول: قولكم: الحقيقتان لم تتحدا، وإنما حصل الاتحاد في الشخص كلام غير معقول فإن الاتحاد إن أريد به الامتزاج، فقد صارت الحقيقتان واحدة، وهو مذهب اليعاقبة، فعليكم ما عليهم، وإن أريد أن الحقيقتين اجتمعتا في شكل واحد، فهذا هو الحلول، لا الاتحاد، وهو محال، فإن العالم يلزم أن يكون أصغر من جماعة اليهود، فإنه كان في اليهود من هو أعظم هيكلا من المسيح عليه السلام وهو كان سياحا قليل الغذا كثير الأسفار، ومن هذا شأنه يكون ضئيل الجسم، والحال أبدا أصغر من المحل، فيكون ذلك اليهودي العبل البدن أعظم من المسيح الذي هو أعظم من الله تعالى، وهو لا يقوله عاقل، وإن كان المراد بالاتحاد معنى ثالثا، فهو غير معقول. الفرقة الثالثة النسطورية، نصارى المشرق منسوبون إلى نسطورين يقولون: هما بعد الاتحاد جوهران أقنومان باقيان على طبعهما، والسؤال عليهم أن الطبيعتين إن كانتا في شخص واحد، فذلك باطل، لأن الطبيعتين لا تقومان في محل واحد، وإن كانتا في شخصين، فذلك يكذبه الحس، فإن عيسى عليه السلام كان شخصا واحدا، فيكون مذهبهم من قبيل السفسطة، ومخالف الضروريات، وكفى بذلك بطلانا.

السؤال التاسع عشر:

النصارى يجمعون على القول بالثالوث، وهو أن ربهم آب وابن، وروح، فالآب الذات، والابن النطق الذي هو الكلام النفساني، والروح الحياة، فالأب جوهر، واختلفوا في الكلام والحياة، هل هما صفتان للآب، أو ذاتان قائمتان بأنفسهما، أو خاصيتان لذلك الجوهر ثلاثة مذاهب لهم، فنقول لهم: إن قلتم إن الإله واحد، والزائد صفتان، فهو قولنا: إن الله تعالى له صفات سبع، وهو إله واحد، وصفاته العلم والحياة والإرادة والكلام والقدرة والسمع والبصر، وفارقتم قول مشايخ الأمانة في قولهم: الأب إله واحد والابن يسوع إله واحد، والروح القدس إله ثالث، وأفسدتم صلواتكم حيث تقرءون فيها الملائكة بمجد ربك وابنك نظيرك في الابتداء، وروح القدس شاركك في الكرامة، وإن قلتم الجميع إله واحد، وكل منهم يستقل بالإلهية، فقد خالفتم ما تقدم من الأمانة والصلوات، ففي الأمانة أن المسيح إله حق أتقن العوالم بيده، وخلق كل شيء وأنه نزل من السماء لخلاص الناس، والذي نزل من السماء إنما هم أقنوم الابن وحده، وإن قلتم إن كل واحد من الثلاثة إله وبجموعها إله واحد فنقول لهم: الإله يتصور عندكم بدون صفات الكمال من الحياة، والعلم والكمال أم لا؟ فإن زعموا تصور ذلك، فكل جماد في العالم، أو نبات، أو حيوان هو إله مستقل لاقتصارهم حينئذ على مجرد ذات المفهوم من الإله، فيكون حمار الأسقف إلها له، وكذلك جميع حشرات بيته، بل نعله الذي في رجله، وإن قالوا: لا بد من هذه الصفات في مفهوم الإله لزمهم أن يكون لكل واحد من الثلاث علم وحياة وكلام التي هي عندهم، الأقانيم الثلاثة، فيصير التثليث تتسيعا، ويلزمهم أن يكون كل واحد من التسعة إلها، لأن كل واحد منها مساو لكل واحد من الثلاثة الأول، فيحتاج كل واحد من التسعة إلى صفات ثلاث، لأنه حينئذ إله، فيلزمه التسلسل وآلهة غير متناهية وموجودات ليس لها غاية، وهذا محال كله فهم حينئذ لا يقدرون على تصوير مذهبهم أصلا، ولذلك اتفق لي مع كثير منهم في المناظرة أن أطالبه بتصوير مذهبه كيف يمكنه إقامة الدليل عليه، فيتوقف، فلو كانت للقوم فطنة بكوا على عقولهم قبل أديانهم.

السؤال العشرون:

لهم الأمانة، وهي أقبح من الخيانة يسمونها شريفة الإيمان والتسبيحة لا يتم لهم

عيد، ولا قربان إلا بها قال المؤرخون: وأرباب النقل: إن الباعث لأوائل النصارى على تربيتها، ولعن من يخالفها أن أريوس أحد أوائلهم كان مع طائفة موحدا مخالفا للنصارى في اعتقادهم في المسيح عليه السلام، وكان يعتقد أنه رسول وعبد مخلوق، فعلموا به فتكاتبوا إلى أن اجتمعوا في مدينة بيقية عند الملك قسطنطين، فناظروه، فشرح أريوس مقالته، فرد عليه السلام الأكصيدروس بطريق الاسكندرية، وتتبع مقالته عند الملك، ثم تناظر الجميع فانتشرت مقالاتهم، وكثر اختلافهم، فتعجب الملك من شدة الاختلاف، وكثرة التباين وأمرهم بالبحث عن القول المرضي، فاتفق رأي الأكصيدروس، وجماعة على نظم الأمانة، بعد أن أفسدوها دفعات، وزادوا ونقصوا، وهي نؤمن بالله الواحد الأب ضابط الكل ملك كل شيء، صانع ما يرى، وما لا يرى وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلايق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء الذي من أجلنا معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وصار إنسانا، وحبل به وولد من مريم البتول، وأوجع وصلب أيام فيلليطش ودفن وقام في اليوم الثالث، كما هو مكتوب، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه روحا محدية وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة قديسية جاثليقية وقيامة أبداننا، وبالحياة الدائمة إلى الأبد الأبدي، فهذه هي الأمانة التي أجمع عليها اليوم جميع فرق النصارى الروم، واليعاقبة والنسطورية، واتفقوا على أنه لا يتم عيد ولا قربان إلا بها، مع أنها لا أصل لها في شرع الإنجيل، ولا من قول المسيح عليه السلام، ولا من قول تلاميذه، بل هي آراء قوم معقلين، وتلفيقات جماعة مشكلين عليها من الركاكة الظاهرة والعبارة القبيحة، والمعاني السمجة، ظلمات بعضها فوق بعض، قد احتف بها القطوع من جميع جهاتها، وشملها الكفر والبهتان في جميع كلماتها، ومع ذلك فهم عليها عاكفون، ولها معظمون لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون.

السؤال الحادي والعشرون:

قولهم في أول الأمانة: الله تعالى ضابط الكل، ومالك كل شيء، وصانع ما يرى، وما لا يرى يلزم منه أنه تعالى خالق المسيح، وروح القدس، لأنهما إما مرئيان، أو غير مرئيين، وعلى التقديرين فإنهما مخلوقان، وهو خلاف معتقدهم.

السؤال الثاني والعشرون:

إنهم وحدوا الله بالخلق والملك، ثم لم يلبثوا حتى نقضوا ذلك على الفور، فقالوا: مع هذا الإله المستبد بالخلق لما يرى وما لا يرى إله آخر أتقن العوالم بيده وخلق كل شيء، فكيف يتصور عاقل أن الأب خالق لكل شيء، وابنه أيضا خالق لكل شيء، فإن صح أن الأب خالق كل شيء فأي شيء بقي للابن وإن كان الابن خالق كل شيء، فأي شيء بقي للأب، وإن كان الخالق، واحدا فلأي شيء خرجوا مخالفين، وهذا غاية التناقض والفساد في هذه الأمانة التي ألفها أهل الجهل، والخيانة فلو ألفها لهم أحد صبيان المكاتب من أولاد المسلمين لما وقع في هذه المزلات، ولا نطق بهذه الهفوات.

السؤال الثالث والعشرون:

أنهم في الأمانة أثبتوا عبادة رجل من بني آدم، فإن يسوع المسيح عليه السلام اسم للإنسان المنفصل من مريم عليها السلام، وكل رجل من بني آدم مخلوق، فهم يعبدون المخلوق، ولا يشعرون، وهب أن القديم على زعمهم حل فيه أليس أن الناسوت مخلوق، والمسيح اسم للمجموع، والمركب من القديم والحادث، ومن القديم والمخلوق مخلوق، فهم يعبدون المحدث المخلوق جزما، ولو شعروا بذلك لأنكروه، ولكن لا يشعرون.

السؤال الرابع والعشرون:

قولهم في الأمانة: إن المسيح ابن الله بكر الخلائق الذي ولد من أبيه يقتضي حدوث المسيح عليه السلام ، وهم يعتقدون قدمه فنقضوا أصلهم من حيث لا يشعرون بيانه: أن المولود من غيره لابد أن يتقدم والده عليه بالزمان، ثم يوجد الولد بعده في زمان آخر إذ لو وجدا في زمان واحد لم يكن كون أحدهما ابنا للآخر أولى من العكس، والمتأخر بالزمان هو الحادث، لكن القوم لا يعلمون الحادث من القديم، فلذلك نقضوا قواعدهم من حيث لا يشعرون، ثم قولهم: بكر الخلائق يقتضي أن الخلائق الكل أولاده، ويكون المسيح عليه السلام مصنوعا، فالقسمان باطلان فقولهم باطل جزما، ويصير المسيح عليه السلام بمقتضى القولين مخلوقا وغير مخلوق.

السؤال الخامس والعشرون:

قولهم في الأمانة: المسيح إله حق من إله حق من جوهر أبيه يبطل قول المسيح عليه السلام

في الإنجيل، وقد سئل عن يوم القيامة فقال: لا أعرف ذلك، ولا يعرفه إلا الأب وحده، فلو كان من جوهر أبيه لعلم ما يعلمه أبوه، وساواه في علمه وتعلقه بالمعلومات وغيرها، فلما لم يعلم ذلك دل على أنه من جوهر أبائه داود وغيره من الأنبياء عليهم السلام، ولذلك لما سئلوا عن يوم القيامة قالوا كقول المسيح صلوات الله عليهم أجمعين، ولو جاز أن يكون إله ثان من أول لجاز ثالث من ثان، ورابع من ثالث إلى غير النهاية، لكن هذا كله باطل لقول المسيح عليه السلام : إن أول الوصايا أن الرب واحد، وبقوله في إنجيل مرقس: لا صالح إلا الله تعالى.

السؤال السادس والعشرون:

قولهم في الأمانة: المسيح عليه السلام أتقن العوالم: وخلق كل شيء يلزم أن يكون خلق أمه، فتكون أمه ولدت خالقها، وهو خلق أمه، وهذا لا يقوله إلا أهل البيمارستان[1]، ثم يبطله ويكذبه قول متى في الإنجيل، هذا مولود يسوع المسيح عليه السلام ابن داود، فكيف يكون خلق داود والعوالم التي قبله والخرق التي لف فيها عند الولادة، والمنود الذي وضع في فيه، وهو طفل، وبطلان ذلك لا يخفى على عاقل، وكيف يكون خالق العوالم، ومن جملتها إبليس، وفي الإنجيل إنه قال للمسيح عليه السلام : اسجد لي وهو محصور معه في رءوس الجبال، فكيف ينحصر خالق العوالم ومدبرها في يد بعض العوالم على هذه الصورة، لكن المشايخ الذين لفقوا الأمانة كانوا من التياسة والجهالة في أبعد غاية.

السؤال السابع والعشرون:

قولهم في الأمانة: إن المسيح الإله الحق نزل من السماء، فتقول النازل إن كان الناسوت فهو باطل بإجماعهم أنه ابن مريم رضي الله عنها، واللاهوت فإن كان الأب لزم لحوق النقائص له من الأكل والشرب والحركة، والسكون من العلو إلى السفل، وذلك صفات المخلوقين وخواص الأجسام المحدثة وهو محال على الله تعالى اتفاقا، وإن كان الكلمة الذي هو العلم عندهم يلزم أن يبقى الباري تعالى بغير علم، لأن علمه نزل وتركه، وعدم علم الإله يسقط ربوبيته اتفاقا وعقلا، أو يبقى عالما بعلم ليس قائما بذاته، وهو مستحيل أن يعلم إنسان، أو غيره يعلم لم يقم به فبطل القولَ بالنزول مطلقا.

---

(١) أي دار المجانين.

السؤال الثامن والعشرون:

إن المسيح ليس اسما للكلمة، لأنها عندهم في الأزل لا تسمى مسيحا، بل علما، وليس للجسد على انفراده عندهم، فهو اسم للمجموع، والمجموع لم ينزل من السماء، لأن الجسد عندهم إنما حصل في الأرض فبطل القول بنزول المسيح عليه السلام من السماء إلى الأرض.

السؤال التاسع والعشرون:

قولهم في الأمانة: أنه نزل لخلاص الناس دعوى لا دليل عليها، وما سبب استقلاله بهذه الفضيلة والإلهية بينهم أثلاثا، ولم لا يأتي المخلص هو الأب والروح مع تصريح الأمانة بمساواتهما للابن، واختصاص أحد المتساوين بحكم لابد له من مرجح فأخبرونا عنه، ولن تجدوه أبدا إلا إن كان من هذه الوساوس السوداوية فحدث ولا حرج.

السؤال الثلاثون:

قولهم في الأمانة: وتجسد من روح القدس باطل بنص الإنجيل بقول متى في الفصل الثاني إن يوحنا المعمداني حين عمد المسيح عليه السلام جاءت روح القدس إليه من السماء في شبه حمامة، وذلك بعد ثلاثين سنة من عمر المسيح عليه السلام ، ولا يكون قد تجسد من الروح لتأخرها عن الجسد هذا القدر، فكذبت الأمانة وبينت الخيانة في حقوق الله تعالى بالكفر، ولرسله بالتكذيب، ولرسائله بالتبديل، ولسائر الخلق بالتضليل.

السؤال الحادي والثلاثون:

الروح القدس عندهم هو حياة الله تعالى، وتجسد المسيح منها يقتضي انقلاب الحقائق، فإن الحياة معنى من المعاني كالإرادة والعلم، وصيرورة الحياة جسدا كصيرورة اللون رايحة، والطعم حركة، والأعراض أجساما، وذلك كله محال، فالقول بتجسيد الروح القدس محال.

السؤال الثاني والثلاثون:

إذا تجسد المسيح عليه السلام من الروح القدس، والروح حياة الله تعالى، فيلزم أن يبقى مواتا، أو ميتا لعدم الحياة وانتقالها إلى المسيح عليه السلام ، وذلك محال.

السؤال الثالث والثلاثون:

إن القول بحلول الكلمة التي هي الكلام في مريم، وتجسد المسيح عليه السلام من الروح يقتضي انتقال المعاني من محالها إلى محال أخر، وانتقالها محال، لأن الحركة من خواص الأجسام والمتحيزات، فيلزم أن تكون المعاني أجساما، والصفات موصوفات، وذلك قلب الحقائق، وهو محال عند جميع العقلاء.

السؤال الرابع والثلاثون:

إن كان المسيح عليه السلام تجسد من الروح، فهو متولد من الروح، فهو ابن الروح لا ابن الله تعالى، فكذبوا في قولهم إنه ابن الله، تعالى عن قولهم علوا كبيرا، وإن كان ما تجسد من الروح كذبت الأمانة، فهم الكاذبون على الله وعلى رسله على كل تقدير.

السؤال الخامس والثلاثون:

في قولهم في الأمانة: إن المسيح عليه السلام قام من بين الأموات، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه كذب فاحش فليت شعري من هو الذي صعد إلى السماء، وجاء إليهم فأخبرهم أنه رآه جالسا عن يمينه، وهل هذا إلا مجرد الاختلاق؟

السؤال السادس والثلاثون:

جلوسه عن يمين أبيه يقتضي أنهما جسمان لكل واحد منهما الجهات، أليست يمين وشمال وخلف وقدام وأسفل وأعلى؟ فيلزمهم أن الله تعالى جسم وهو محال، وهم لا يعتقدون الجسمية.

السؤال السابع والثلاثون:

قولهم في الأمانة: إن المسيح عليه السلام بعد قتله وصلبه وقيامه إلى السماء من بين الأموات مستعد للمجيء مرة أخرى لفصل القضاء بين الأحياء والأموات، الظاهر أنهم متخيلون أنه لما جرى عليه من الشيطان وحزبه ما جرى من الإيذاء والإهانة والإحراق راح إلى أبيه يستريح وترجع إليه نفسه، ويسكن روعه، ويستظهر بعدة أخرى من عند أبيه، ثم يأتي لمحاربة عدوه، وما أجدرهم بأن يعبدوا الآن عدوه ويتركوه، فإن الغلب الآن لعدوه، والمتوقع في المستقبل لا يدرى كيف هو، ولعل الكسرة في النوبة الثانية تكون أعظم، وهو الظاهر، فإن ذلك الرعب العظيم لم يكن حاصلا له أول مرة، وقد

جرى ما جرى، فكيف وقد استولى عليه الرعب، وذاق طعم الشدائد، وتأسد عدوه بسلطان الظفر والنصرة فالمصلحة تقتضي أن لا يكون الآن بينه وبين الإلهية معاملة، بل يعبدون الشيطان كما يزعمون، فهو أولى ثم إنه في أول مرة مع وفور القوة ما تخلص مع شرذمة يسيرة من الأحياء وهم يريدون أن يوقعوه في المرة الثانية مع جميع الأحياء والأموات، وعلى هذا التقدير لا يكون لهم ولا لهذا الإله قائمة أبدا.

السؤال الثامن والثلاثون:

قولهم في الأمانة: نؤمن بروح القدس والمسيح عليه السلام أخوان، وهو خبط عظيم، وهم عنه معرضون.

السؤال التاسع والثلاثون:

قولهم في الأمانة: نؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا، مناقض لقولهم: إن خطيئة آدم عليه السلام عمت ذريته، ولا يتخلصون منها إلا بقتل المسيح عليه السلام ، وتلك الشدائد التي جرت عليه، ولذلك يسمونه عليه السلام حَمَل الله تعالى، ويسمونه مخلص العالم، وإذا كانت المعمودية توجب غفران الخطايا، فقد اعترفوا بأنه لا حاجة إلى قتل المسيح عليه السلام ، وهذه كلها غفلات وجهالات لا تصدر إلا عن عدم أنواع الإدراكات.

السؤال الأربعون:

قولهم في الأمانة: ونؤمن بجماعة واحدة قديسة يعنون هذه الجماعة التي لفقت هذه الأمانة المتناقضة في نفسها المناقضة للإنجيل بسبب جهل ملفقها، وعدم معرفته بالإيمان فضلا عن كونه مؤمنا في نفسه، وناهيك من قوم رتبوا الثناء على أنفسهم وذكوها وعظموها، ولا يفعل هذا إلا من لا خلاق له، مع أنهم- أعني هؤلاء المثنين- على أنفسهم قد صرحوا بكفر أنفسهم لما بيناه من مناقضة الإنجيل الذي هو العهد، فكيف يكون مثل هذا قديسا، بل حمارا وتيسا خسيسا؟

السؤال الحادي والأربعون:

إن هذه الأمانة مناقضة لجميع كتبهم التي يعتقدونها من التوراة والإنجيل والنبوات، فدل ذلك على بطلانها وجهالة ملفقها، وجهالة من اتبعها، وجعله قديسا بيانه: أن في التوراة: أنا ربك الذي أخرجتك من مصر بيد القوة لا يكن لك إله غيري، ولا تشبهني

بشيء مما في السماء ولا مما في الأرض، ولا مما في البحار أنا إله واحد فصرحت التوراة بالوحدانية، ونفي التشبيه والأمانة تنفي ذلك، فدل ذلك على بطلانها في قولها: أن معه إلهين آخرين أحدهما إنسان من بني آدم، وفي نبوة أشعيا قال إله إسرائيل: أنا الأول، وأنا الآخر وليس غيري والأمانة تقول، بل غيره أيضا أول، ومعه غيره، وهو كذب على الله تعالى، وعلى كتبه، وفي الإنجيل، إن أول الوصايا كلها اسمع يا إسرائيل الرب واحد فأجبه من كل قلبك، ومن كل قولك، وقالت الأمانة: بل الرب ثلاثة، وهذه النصوص كثيرة نتركها خشية الإطالة، وكلها مكذب لهذه الأمانة المخترعة التي جعلها النصارى عقيدتهم، فأصبحوا هزءا للناظر، ومضغة للمناظر، فهذه اثنان وعشرون سؤالا على أمانتهم التي هي عمدة دينهم.

السؤال الثاني والأربعون:

نقول للنصارى: زعمتم أن معبودكم ثلاثة أقانيم الوجود والحياة والعلم، أو الكلام على اختلافهم في الدليل على الحصر في ثلاثة، ولعله أربعة، والرابع هو القدرة، لأنها التي بها ظهرت العوالم، أو خمسة، والخامس هو الإرادة، لأنها القضاء والقدر التي بها تخصصت المصنوعات، وترتبت الموجودات، وهي القاهرة المقدسة على جميع الإرادات، أو ستة، والسادس هو البصر، فإنه إدراك وعلم أخص، مما ذكرتموه من العلم، فكل بصر علم، وليس كل علم بصرا، وهذه الصفات كلها ثابتة لله في التوراة والإنجيل، أو سبعة، أو عشرة آلاف، ولا يلزمنا بيان ذلك، بل عليهم الدليل في حصر ما ذكروه، ولن يقدروا عليه أبدا، فدل على ذلك على أنهم ليسوا على دين، ولا في شيء من أمرهم على يقين.

السؤال الثالث والأربعون:

النصارى إنما دلها زعمها على أن عيسى عليه السلام ابن الله تعالى إحياؤه للموتى، والعقل جازم بأنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، فلا يلزم من عدم علمهم بأن زيدا أو عمرًا يحيي الموتى، أن لا يكون ابن الله تعالى لجواز أن يكون كذلك، ولم يظهر الدليل الدال عليه، فليجوزوا في كل أحد أن يكون ابن الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

السؤال الرابع والأربعون:

إذا تقربت النصارى في الكنائس أكلوا الخبز، وشربوا الخمر، ويقولون: أكلنا خبز الرب، وشربنا دمه، ورووا عن المسيح ﷺ أنه أعطاهم خبزا، وقال: هذا جسدي فكلوه وأعطاهم خمرا، وقال: هذا دمي فاشربوه، والله إن هذا بالخائنات الموبقات أليق منه بالقربات الموجبة للمثوبات، وقد اقتصر اليهود على القتل والصلب، وكأن النصارى لم يرضوا بهذا للرب حتى مزقوا لحمه على رءوس الأشهاد، وشربوا دمه في المواسم والأعياد، وإنما يفعل ذلك أرباب الضغاين والأحقاد، ومع ذلك فقد جعلوا هذه الفضائح كتابا يتلى ووصايا ربانية تملى، وكفى بهذه الفضائح لمن يريد الإسلام نصائح، ولهذا صار كثير من النصارى يسلم قبل إطلاعه على محاسن الإسلام، بل فرارا من هذه القبائح.

السؤال الخامس والأربعون:

ترك جمهور النصارى الاختتان وحرموه بهواهم لا بأمر مولاهم، ورأوا إطالة الغرلة دينا وشرعا لا يسع خلافه يخلو مع أحدهم امرأته وجلدة غرلته مستطيلة، وفرج الأخرى بارز كأنه غرق كيل، فيكون اجتماعهما أقبح شيء وأسمجه، وراغموا التوراة والإنجيل وسائر النبوات، ففي التوراة أن الله تعالى أمر إبراهيم الخليل ﷺ بالختان، وقال له: هذا عهد بيني وبينك وبين نسلك بعدك أن يختن غرلته كل ذكر منكم، ومن عبدانكم ليكون عهدي سيما في أجسادكم عهدا دائما على الأبد وكل ذكر لا يختتن غرلته فلتهلك تلك الشريعة من سعيها، لأنها أبطلت عهدي، فعهد إبراهيم ﷺ فاختتن، وهو إذ ذاك كبير وختن أولاده وعبدانه فنصت التوراة على الختان للأبد، وأن تاركه يقتل، وذلك يدل على كفر تاركه، فإن القتل من شعائر الكفر، فهم الكفرة حينئذ، وقد اختتن المسيح ﷺ وتلاميذه والعجب من النصارى أن منهم من يجب مذاكيره، ويخصي نفسه وآخرون يحلقون لحاهم، ولم يأت بذلك شرع ولا نزل به كتاب، وتركوا الختان المنزل في الكتب، ولم تزل النصارى كلها تختتن إلى زمان بولس، فنهاهم بولس، وهو إبليس على النصارى أخرجه بولس هذا من الدين، كما تخرج الشعرة من العجين، وأوقعهم في ظلمات الضلال وأليم الوبال بسبب أنه كان يهودياً، وكان شديد القتال والقتل للنصارى فلم يشف بذلك قلبه فأعمل الحيلة إلى أن حفظ

الإنجيل، وعمد إلى راهب عظيم سأله خدمته فأجيب فأظهر الاجتهاد والنصيحة والمبالغة في وجوه البر والإحسان إلى أن طال الزمان، فاستيقظ في بعض الليالي وصاح وأظهر الهلع مما رأى في منامه، فسأله الراهب فقال: رأيت المسيح ﷺ ونفث في فمي، وبارك علي وأنا أجد في نفسي كلاما لا أدري ما هو منذ نفث، فذكر بعض ذلك الكلام فوجدوه من الإنجيل بجملته فاعتقدوا أن ذلك من عناية المسيح ﷺ به، ومن عظمة بركته فقال الراهب: أنا أحق بالخدمة وأنت أحق بالتقدمة فصدر وتقدم واشتهر إلى أن صارت ملوك النصارى تزوره يوما في السنة، فلما تحقق تمكنه من قلوبهم قال لهم في بعض زياراهم له: إن المسيح قد أمرني أن أنزل غدا من هذه القبلة، وأذبح نفسي في سفح هذا الجبل قربانا للمسيح فعظم ذلك عند الملوك لفوات بركته، وألم مفارقته وكيف يذبح نفسه بيده وباتوا تلك الليلة عيونهم ساهرة، وقلوبهم من الجزع طائرة إلى أن أصبح الصباح، ودخلوا للوداع، فتقدم أكبر الملوك منزلة وأعلاهم رتبه لينفرد بتوديعه، فقال لهم بولس لعنه الله: إني ذاهب الآن إلى المسيح، وأن عندي سرا أودعك إياه قبل الممات، فاعلم مقداره، وارفع مناره فقال له: وما هو أيها الأب القديس؟ فقال له: إن المسيح هو ابن الله تعالى، فقال له: ابن الله، ولولا ذلك لم يظهر عليه ما ظهر، فصمم الملك على ذلك، ولم يكن سمعه قبل ذلك اليوم ثم دخل الملك الأوسط فقال له: إن عندي سرا عظيما، وإني ذاهب إلى المسيح أؤثرك به فاحفظه واعمل به، فقال له: وما هو قال له مريم زوجة الله، فاعتقد الملك ذلك ولم يكن سمعه قبل ذلك الوقت، ثم دخل الملك الأصغر فهول عليه، وطول مثل الأولين، وأودعه أن الله ثالث ثلاثة، ثم خرج عند تعالي النهار، والعالم قيام في صعيد واحد ينظرون ماذا يكون من أمر بولس، فخرج في صومعته وعليه ثياب القربان، ومعه سكين مرهفة، ونزل إلى سفح الجبل وذبح نفسه بيده والعالم ينظرون إليه فابتدره الملك الكبير بعد زهوق روحه، وأخذه ليحمله إلى وطنه لتكون بركته في مملكته فتنازعه الملكان الآخران، فقسمه بينه وبينهما أثلاثا، وأخذ ثلثه الذي فيه رأسه، فنازعه الملكان في ذلك الثلث لاشتماله على أشرف الجسد فاقتضى الحال أن أحرقوه وسحقوه، وقسموه ثلاثا ليحصل العدل والتناصف، ثم ذهبوا إلى بلادهم فأظهر الملك الأكبر معتقدا الذي أسره إليه، وكذلك الملكان الآخران، فأنكر كل منهما على صاحبه مقالته، وقال: إن الراهب بولس لم يقل هذا،

ولا جاءت به النبوات، ولا الكتب فهو كفر، فقتل كل منهما الآخر ديانة وتقربا، فصار بأسهم بينهم القتل فيهم بسيوفهم وبسيوف اليهود وذلك مراد بولس، فانظر ما أشد هذا الحقد، وما أبلغ هذا الكيد، وقالت فرقة من المؤرخين عندنا وعندهم: أن عيسى عليه السلام لما دعا بني إسرائيل للإيمان أجابه نفر يسير، ثم رفع فاستحلى الناس كلامه حتى بلغ أتباعه سبعمائة رجل، فكانوا يجاهدون في بني إسرائيل، ويدعون للإيمان، فقام بولس اليهودي ويسمى قولس أيضا، وكان هو الملك لبني إسرائيل، فهزمهم وأخرجهم من الشام إلى الدروب، فأعجزوه فقال قولس: إن كلامهم يستحلى، فإن لم تقدموا على عدوكم وتردوهم عن ملتهم يكثرون علينا فتعاهدوني على كل شيء خيرا أو شرا ففعلوا فترك ملكه، وخرج إليهم وقد لبس لباسهم ليضلهم، وقالوا: الحمد لله الذي أمكن منك فقال لهم: اجمعوا أكابركم، فإن لم يبلغ مني حمقي أن آتيكم إلا ببرهان فقال أكابرهم؟ مالك؟ قال: لقد لقينا المسيح عند منصرفي عنكم فأخذ سمعي وبصري وعقلي فلم أسمع ولم أبصر، ولم أعقل، ثم كشف عني فأعطيت الله عهدا أن أدخل في أمركم فأتيت لأقيم فيكم، وأعلمكم التوراة وأحاكمكم فصدقوه وأمرهم أن يبنوا له بيتا ويفرشوه رمادا ليعبد الله تعالى، ففعلوه وعلمهم ما شاء الله، ثم أغلق الباب فأطافوا به وقالوا: نخشى أن يكون رأى شيئا يكرهه، ثم فتح بعد يوم فقالوا: رأيت ما تكرهه قال: لا، ولكني رأيت رؤيا أعرضها عليكم فإن كان صوابا فخذوه، وهو هل رأيتم سارجة تسرج إلا من عند ربها، وتخرج إلا من حيث تأمر بها، قالوا: نعم، قال: فإني رأيت الصبح والليل والشمس والقمر والبروج إنما تأتي من ههنا، وذلك أحق الوجوه أن يصلى إليه قالوا صدقت فردهم عن قبلتهم بيت المقدس إلى الشرق المحض، ثم أغلق الباب بعد ذلك يومين ففزعوا أشد من الأول، وأطافوا به، ففتح الباب، فقالوا: رأيت شيئا تكرهه، قال: لا ولكني رأيت رؤيا قالوا: هات قال: ألستم تزعمون أن الرجل إذا أهدى الرجل هدية فردها شق عليه، وأن الله تعالى سخر لكم ما في الأرض جميعا، وما في السماء والله تعالى أحق ألا يرد عليه، فما بال بعض الأشياء حلال، وبعضها حرام ما بين البقة إلى الفيل حلال، قالوا: صدقت فاتبعوه في إباحة المحرمات، ثم أغلق بعد ذلك ثلاثة ففزعوا أشد من الثانية فلما فتح لهم، قال: إني رأيت رؤيا قالوا: هات قال: ليخرج كل منكم في البيت إلا يعقوب ونسطور وملكوت والمؤمن، ففعلوا فقال: هل

علمتم أن أحدا من الإنس خلق من الطين خلقا، فصار نفسا قالوا: لا، قال: فإني أزعم أن الله تعالى تجلى لنا، ثم احتجب، فقال بعضهم: صدقت، وقال بعضهم: لا ولكنه ثلاثة، والد وولد وروح القدس، وقال بعضهم: إله وولده وقال بعضهم: هو الله نجم لنا فافترقوا على أربع فرق، فأما يعقوب فأخذ بقول بولس: إن الله هو المسيح، وبه أخذت شيعته، وهم اليعقوبية، وأما نسطور فقال المسيح ابن الله تعالى على جهة الرحمة، وبه أخذت شيعته النسطورية، إلا أن شيعته لم يعتقدوا أنه ابن على سبيل الرحمة، بل على ما تقدم، وأما ملكوت، فقال: إن الله تعالى ثلاثة، وبه أخذت شيعته، وهم الملكية، فقام المؤمن، وقال لهم: عليكم لعنة الله، والله ما حاول هذا إلا إفسادكم، ونحن أصحاب المسيح قبله، فقد رأينا عيسى عليه السلام، ونقلنا عنه وإنما هذا يضلكم فقال بولس للذين اتبعوه: قوموا بنا نقاتل هذا المؤمن، ونقتله هو وأصحابه وإلا أفسد عليكم دينكم، فخرج المؤمن إلى قومه، وقال: ألستم تعلمون أن المسيح عبد الله ورسوله وكذا قال لكم، قالوا: بلى قال: فإن هذا الملعون أضل هؤلاء القوم، فركبوا أثرهم، فهزموا المؤمن وأصحابه، فخرجوا إلى الشام فأسرهم [illegible] فأخبروهم الخبر، وقالوا: إنما خرجنا إليكم لنأمن في بلادكم، وما لنا في الدنيا من حاجة إنما نلتزم الكهوف والصوامع، ونسيح في الأرض فتركوهم، ثم فعل بعض الذين كفروا مثل أصحاب المؤمن من الصوامع والرهبنة فهو قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [1] الآية وأدرك النبي ﷺ من أصحاب المؤمن ثلاثين راهبًا فاتبعوه، وماتوا على الإسلام، وفيهم نزل قوله: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ۝﴾ [2] أي بالحجة وكانت هذه الواقعة بعد المسيح عليه السلام بأربعين سنة، ثم لم ينزل الأمر كذلك لم يستقر للجميع قدم إلى زمن الملك قسطنطين قيصر بعد رفع المسيح عليه السلام بثمانين سنة فكثر عدوه وكاد ملكهم يذهب باختلاف رعاياه عليه وضعفهم وكسلهم عن تصرفه فرام جمعهم على شريعة واحدة، فأشار عليه أهل الرأي من دولته أن يتعبد القوم بطلب دم ليكون ذلك أنسب، فوجد اليهود يذكرون في تواريخهم أن رجلا جاءهم نسخ التوراة والانفراد بالتأويل، فطلبوه وهو في نفر يسير ممن اتبعه فظفروا بواحد منهم وشهد رجل

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٢) سورة الصف: الآية ١٤.

بأنه مطلوب فصلبوه، ولم يحققوا أنه هو إلا بكونه لم يوجد بعد ذلك، فحينئذ عمد قسطنطين إلى من ينتسب إلى دين المسيح ﷺ ، فوجدهم قد اختلفت آراؤهم وتفرقت كلمتهم، فاستخرج ما بقي من رسم شريعتهم المنسوبة للمسيح ﷺ ، وجمع عليها وزراءه فأثبت ما أعجبه منها، وتحكم باختياره، وما وافق مقصده كالقول بالصلبوت ليتعبد قومه بطلب دم المصلوب وكترك الختان، كأنه شأن قومه، ثم أكد ذلك بمنامه إذ ادعى أنه رآها فجمع رعاياه من الروم على رأس سبع سنين من ملكه، فقال: رأيت أني أنصر بهذا الشكل وأغلب الأمم أي الصليب فعظموا ذلك، وكان في زمنه كاهنة بعث إليها فقالت مثل ذلك فتأكد قوله ومنامه، ولم يعلم الناس ما سر ذلك الشكل حتى غزا غزوة به فغلب فهول عليه ووعظهم، وبلغ في ذلك فسألوه عن سر الشكل وألحوا عليه، فقال لهم: أوحي إليّ في نومي أنه كان الله تعالى هبط إلى الأرض من السماء فصلبه اليهود، فهالهم ذلك كثيرا مع ما تقدم عندهم من نصر الله فانقادوا إليه انقيادا حسنا وتأكدت أسباب دولته، وشرع هذه الشرائع التي بأيديهم اليوم، أو أكثرها، ولعل أكثر ما في الإنجيل، أو كثيرا منه من تلفيقات قسطنطين، وهذه التواريخ لا ينقلها النصارى من حيث الجملة، وإن أنكروا بعض تفاصيلها ولا يقدروا أن يجحدوا محاربة بولس اليهودي، ولا إجلائهم من الشام، وكذلك قسطنطين وهذا الملعون بولس هو المفسد لدين النصارى بعد التوحيد والمغير لمعالم شرائعهم، والحال لنظام أحكامهم في الختان وغيره، وهو أصل القول بالتثليث برأيه الخبيث، ومع ذلك فالنصارى له في غاية الإجلال وعلى رأيه وإجلاله في غاية الإقبال، وكفى بهذه الثلمة في دين النصارى إخلالا عظيما لم تترك لهم عقلا مستقيما ولا قلبا سليما، وقد وقع في كتبهم الفقهية تأويل للختان التزموا فيها على التوراة الباطل والبهتان، فقالوا: المراد بالختان في التوراة بنقاوة القلوب وصفاء النية بذهاب غلوفة القلب، لأن اليهود كانت قلوبهم غلفا فغلوفة القلب هي المضرة، وأما غلفة اللحم لا مضرة فيها، بل الأحسن ترك الختان كما خلقها الله تعالى هذا نص كلامه، فانظر كذبهم على الله تعالى في قولهم إنه أراد غلوفة القلب، ولو كان صحيحا لنبه عليه موسى ﷺ ، ولما فعل الختان يحيي وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام الذين حكموا بالتوراة ولم يزالوا يأمرون بالختان.

وثانيها: أنهم سفهوا أحكام الله تعالى ورسل الله حيث قالوا: لا منفعة في ذلك مع

أن الله تعالى قد حكم به وبلغته رسله وعملوا به ثم إنا نبين فوائده حتى يظهر كذبهم في قولهم إنه لا فائدة فيه، فمنها ما يترتب عليه من ثواب الله تعالى في الدار الآخرة، وأعظم بالسعادة الأبدية فائدة، ومنها أنه لا يتأتى مع بقاء الغلفة مبالغة في النظافة ومع زوالها يتأتى ذلك، ومنها أنه ألذ في الجماع وأسرع لمجيء شهوته، وقد تكسل الغرلة عن الإنزال، ووجهه أن رأس الحشفة أنعم من الجلدة ومع الخشونة يبعد الإنزال، بل النعومة أصل في هذا الباب، ومنها أنه أسرع في تدافق الإنزال، وإزعاج الماء من عدم الغلوف، والغرلة تثبطه وتفتره، وإذا خرج فاترا قلت اللذة، وبعد عن محل التخليق، فيبعد حصول الولد الذي هو أسمى المقاصد في النكاح استبقاء للنوع الإنساني الشريف، وتسببا لإيجاد من يوحد الله تعالى ويعبده، ومنها أن أوامر الله تعالى وطاعته خلع إحسان وأيادي امتنان، وكلها تذهب بالفراغ من ملابستها، ولا يبقى لها أثر في الوجود إلا الختان فإنه يبقى مخلدا في الجسد إلى الممات، وهذه خصيصة عظيمة دالة ما بقي الإنسان على توجه الأمر الرباني عليه، وإنه إحسان شرف الإنابة والطاعة لديه، وكفى بهذه المنة شرفا للإنسان على مر الأزمان، وإليه الإشارة بقوله في التوراة ليكون عهدي ميسما في أجسادكم عهدا دائما على الأبد فهذه خمس فوائد جليلة عظيمة جهلها الأغبياء، وشقي بتركها السفهاء.

وثالثها: أنهم تركوا أحكام الله تعالى بالتوهم، وتابعوا الهوى والتحكم، وتأولوا من غير حاجة للتأويل، ورفضوا لنص التنزيل وذلك هو التحريف والتبديل.

ورابعها: ما كفاهم رفع كتاب الله تعالى حتى فضلوا أهواءهم على شرع الله، فقالوا: والأحسن أن تترك الأجساد كما خلقت، فما أعجبهم يتبعون وهم مبتدعون، ويعظمون ويهزءون لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون، وإذا وقفت على كتبهم التي فيها محالهم التي اجتمعوا فيها عند تأسيس الأحكام وتلفيق النظام، فترى عجبا عجيبا ومذهبا غريبا كيف اشتملت تلك المحافل على تيوس الأنعام، بل حشرات الهوام قد محقوا فكرهم الرديئة فاستنبطوا آراء غير مرضية، فسموها أحكام الله تعالى على العباد، وهذا غاية الجهل والفساد والتمرد والعناد والقلوم على الموت بغير زاد.

السؤال السادس والأربعون:

النصارى تزعم أن مريم أم المسيح عليه السلام تنزل على دار المطران بطليطلة في يوم

معروف في السنة بكسوة تلبسها لهم، وهم جازمون بذلك ببلادهم، فيقال لهم: نزلت بإذن الأب، أو بغير إذنه، فإن نزلت بإذنه فلم لا يرسل بعض ملائكته ويوقر أم ولده ويصونها عن التبذل لرجل من جنسها أجنبي منها، وإن كان من غير إذنه، فكيف اصطفى الأب لنفسه من يتصرف من غير إذنه، ويعاشر الأجانب وهو لا يعلم؟

السؤال السابع والأربعون:

النصارى يصلون للشرق ويتحرون مطلع الشمس قبلتهم، حيث كانوا والمسيح عليه السلام طول مقامه يصلي لبيت المقدس، وكذلك موسى عليه السلام وجميع النبيين واعتذروا عن هذه الزلة العظيمة والبدعة الشنيعة بأنها الجهة التي صلب إليها إلههم، ولو أن لهم رفض هذه الجهة في العادة، فكيف في العبادة؟ وكيف يجوز لهم أن يحدثوا في دينهم ما لم يكن فيه بناء على فعل شر خلق الله تعالى اليهود، وهل هذا إلا من تلاعبهم بالدين واندراجهم سلك المجانين.

السؤال الثامن والأربعون:

النصارى يبول أحدهم ويتغوط، ويقوم من فوره من غير استنجاء لصلاة، وهو مما أحدثوه بعد المسيح عليه السلام ، ولا يوجد في شريعة من الشرائع إهمال الأدب مع الله تعالى في مناجاته، والوقوف بين يديه، بل الشرائع تأمر بأن العبد لا يقوم بين يدي الله تعالى إلا على أكمل أحواله، فيجمعون في صلاتهم بين ملابسة أقبح القاذورات، ويستقبلون ما لم يشرع لهم من الجهات، ويتضرعون إلى رجل من بني آدم قضوا عليه بالهوان والممات، ويسألونه بالمسامير التي سمر بها على الخشبة أن يغفر لهم الزلات، وهذه صلاة لو تقرب بها إلى كانس الكنيف لأشبعهم من الضرب العنيف وأنف أن يكون هؤلاء من خدمه، أو معدودين من حشمه.

السؤال التاسع والأربعون:

رهبان النصارى وإفسادهم يرون أن من أراد التوبة يعترف لهم بمخازيه وذنوبه، وإلا فلا يقبل له توبة، فإذا اعترف للبطريرك، أو القس غفر له ذنوبه كأنه ربه، أو خالقه ويبعثون العصاة على المجاهرة بالمعاصي، وكتمان المعصية أخف جناية من إظهارها، ويسلطون ولاة الأمور على أموال الناس بالاطلاع على معاصيهم وجناياتهم، وينشرون الفاحشة والفضيحة والعار في الذراري والأعقاب، ويبقى أهل ذلك البيت

مسبة على وجه الدهر، وهذه مفاسد كبيرة لم تأمر بها شريعة، ولكنها من بدعهم الفظيعة، وهذا مشهور بعكا وسائر مدن النصارى، وأي ذنب سكت عنه وخبأه لا يغفر الله له.

السؤال الخمسون:

زاد النصارى في صومهم الكبير جمعة يصومونها لهرقل ملك بيت المقدس، بسبب أن الفرس لما استولوا على بيت المقدس وقتلوا النصارى، وهدموا الكنائس أعانهم اليهود على ذلك، وكانوا أشد فتكا فيهم من الفرس، فلما توجه هرقل للبيت المقدس تلقاه اليهود بالهدايا، وسألوه الأمان فكتب لهم أمانا على أنفسهم وأموالهم، فلما دخل البيت المقدس شكا إليه النصارى ما لقوا من اليهود، وسألوه قتلهم فاعتذر بالتأمين، فقالوا: نحن نصوم عنك جمعة في أول الصوم الكبير كفارة لخطيئتك هذه وندع أكل اللحم في الصوم مادامت النصرانية، ونلعن من يخالف ذلك ونكتب بذلك إلى الآفاق غفرانًا لذنبك فأجابهم، وقتل اليهود وفعلوا ما قالوا، وهذا من التلاعب بالدين موجبون ما لم يوجبه الله ويحرمون من اللحم ما لم يحرمه الله، ويزيدون في قربات الله ما لم يأذن به، وهذا غاية اللعب بالرسائل الربانية والنواميس الإلهية، ثم إنهم التزموا ستين يوما، ولا نكاد نجد من يسأله عن الصوم الواجب منها كم هو فيعرفه، وكان القسيس حفص أفقه من نشأ في النصرانية، وأزكاهم وأعرفهم، على أنه ليس في القوم رجل رشيد إلا أن كان في ذمة المسلمين، وتعلم من علومهم ما ميزه بين النصارى، ومع ذلك إذا أخذ يتحدث في دينهم يتلجلج لسانه وينعجم بيانه لأجل قواعدهم الرديئة، وآرائهم الوبيئة، وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر، وقد نص القسيس حفص في كتبه، وقد سأله سائل عن صيامهم الواجب فقال: من صام الأربعين يوما موسى بن عمران وصامها بعد ذلك إلياس النبي الذي رفعه الله إليه في عصر بني إسرائيل، ثم بعد ذلك صامها المسيح، وأما العلماء فكملوها ثلاثة وأربعين، وإنما هي عُشْر أيام السنة كما قال بولس الحواري في بعض رسائله، كما تؤدون العشرات من أموالكم فأدوا العشرات من أبدانكم، فهذا هو الصيام المفروض فأخذ منهم أن الثلاثة والأربعين واجبة بما يقتضي أنها ليست واجبة لأخباره أن أحبارهم أوجبوا الثلاثة من عند أنفسهم، مع أن عيسى وموسى وغيرهما من النبيين صلوات الله عليهم لم يبينوها، فإن كانت واجبة فما بلغوا أحكام الله واعتقاد

ذلك فيهم كفر، وإن لم تكن واجبة، فلم أوجبها الجهال منكم واعتمدوا على قول بولس الذي بينا أنه يهودي قصد سلكم من الدين كما تسل الشعرة من العجين فأفسد عليكم دينكم وأحكامه، فأحدث لكم القول بالثالوث، وأبطل الختان، وحولكم عن قبلة الأنبياء عليهم السلام إلى الشرق، وأحل لكم المحرمات وأوقعكم في المعضلات بالخيالات والترهات، وهب أنه حواري كما زعمتم أنه ادعاه، فلعله ارتد كما ذكرتم أن يهوذا من الحواريين ارتد سلمنا أنه حواري لم يرتد فاتباع الحواري غيره من دون الإنجيل أولى، ولم يذكروا هذه الثلاثة الأيام، بل اتباع موسى والنبيين صلوات الله عليهم أولى، فإنه ليس نبيا ولا ينقل عن الله تعالى، ثم قوله: هي عُشْر أيام السنة علمهم فيها بالحساب كعلمهم بالحساب في الواحد جعلوه ثلاثة وجعلوا الثلاثة واحدا، وهو أظهر أنواع الحساب ومراتبه، بل عشر أيام السنة ستة وثلاثون يوما، وبعض يوم لأن السنة الشمسية ثلثمائة يوم وستون يوما وخمسة أيام وربع يوم مجبورة، فعشر ثلثمائة ثلاثون وعشر ستين ستة وخمسة وربع عشره بعض يوم، وفي سنة الكبيس وهي في كل أربع سنين سنة بسبب اجتماع الربع يكون ثلاثمائة وستة وستين يوما، يكون العشر ستة وثلاثين يوما فأين الأربعون فضلا عن ثلاثة وأربعين، ومن غلط في الثلاثة لا غرو، ولا عجب أن يغلط في عشر ثلثمائة وخمسة وستين، ثم المنقول في التواريخ أن الله تعالى إنما أوجب على بني إسرائيل ثلاثين يوما شهر رمضان، وقد صرحت به شريعتنا المطهرة، ثم إنهم وجدوه يأتي في شدة الحر أحيانا، فشق ذلك عليهم فآثروا أن يزيدوه عشرة، ويحولونه إلى الشتاء، فتجبر صعوبة الحر بزيادة العدد، فصار أربعين من يومئذ، ثم زادوا لهرقل جمعة كما تقدم بيانه، واتصلت الزيادة بزيادة بولس وغيره إلى ستين ثم إن من تخلفهم يصومون الكل بنية واحدة، ولا يقصدون ما أوجبه بنية تخصه وما ابتدعوه بنية تخصه، ثم نقول لهم: كيف تعتقدون أن موسى عليه السلام إذا صام أربعين يوما يلزم أن يكون الجميع واجبا، أو شيء منها واجبا، فإن الأنبياء عليهم السلام كما يفعلون الواجبات يفعلون التطوعات، بل هم أولى الناس بها، فلم قلتم إنهم صاموا على وجه الوجوب، ولعل الله تعالى لم يوجب في التوراة صوما البتة، بل أمر به تطوعا، فالقضاء على ذلك الصوم بالوجوب جهل حتى تنقلوا أن موسى عليه السلام ، قال: صمته على سبيل الوجوب، وقال: احملوا أفعالي كلها على الوجوب حتى أقول لكم هي غير

واجبة، لكنهم لم ينقلوا شيئا من ذلك فقد حكمتم بالجهل ثم إنكم تفطرون من العصر، ومن أين لكم أن الصوم لهذا الوقت يجزي، بل ظاهر النقل إن صح أن موسى عليه السلام كان يصوم أربعين يوما أنه يصوم اليوم من أوله إلى آخره، فالاقتصار على خلاف ما نقلوه إفساد للدين.

وبالجملة فأصل النقل لم يثبت بالعدل عن العدل والتفقه في غاية الفساد، فهو فاسد مبني على فاسد[1]، ثم العجب من اليهود والنصارى أنهم يجتمعون، ويدعون اتباع التوراة، وقد اقتسموا في الصوم طرفي الإفراط، والتفريط، فالنصارى يصومون ستين، واليهود يوما واحدا من كل سنة، فليت شعري أين التوراة من هاتين الفئتين، لقد تفرقت بهم السبل أيدي سبأ، والتزموا اتباع الهوى دينا ومذهبا.

السؤال الحادي والخمسون:

للنصارى عيد ميكائيل ليس له أصل في الشرع، بل ابتدعوه بسبب أنه كان بالإسكندرية صنم يعمل له أهل الإسكندرية عيدا، فرام الأكسيدروس إبطال الصنم، فلم يقدر من عوام النصارى، فقال: إن تعبدكم لصنم لا يضر ولا ينفع، بل ضلال وكفر، فلو جعلتم العيد لميكائيل الملك، وذبحتم له هذه الذبائح لكان يشفع لكم عند الله تعالى، وذلك خير لكم من الصنم فأجابوه، وكسر ذلك الصنم واتخذ منه صلبان وسمي الهيكل لبسة ميكائيل، واستمر ذلك إلى اليوم، ولا أصل له في الدين، وذلك ضلال عظيم.

السؤال الثاني والخمسون:

لهم عيد الصليب، وعيد النور، وغيرهما لا أصل لها في شرعهم، وقد زادوها في شرعهم وشعائرهم بجهلهم، وسبب عيد الصليب أن اليهود لعنهم الله اتخذوا المقبرة التي دفن بها الشبه مزبلة للأوساخ والأقذار تحقيرا وإهانة للمصلوب ذلك نحو ثلثمائة سنة، فجاءت امرأة قسطنطين الملك، فأمرت بالكشف فظهرت المقبرة، وفيها ثلاثة صلبان وهي صليبا اللصين والشبه، فأشكل عليها صليب المسيح عليه السلام على رأيها، وأرادت عرفانه، وكان ثم مريض به علة عظيمة فوضعت عليه صليبا بعد صليب، فلم يبرأ،

---

(١) وهذا يشبه الأصل: ما بُني على باطلٍ فهو باطلٌ.

فوضعت الثالث فبرئ لحينه فقالت: هذا صليب الرب فلفقته بالذهب، وبعثته إلى الملك، ثم إن النصارى جعلوا ذلك عيدا، وعظموا الصليب غاية التعظيم حتى صوروه في كنايسهم، وطبعوه على أجسامهم وأثوابهم وقربانهم، ولو أمكنهم أن لا يخلوا شيئا فعلوا، ومنهم من يصلب على وجهه بأصبع واحدة، وهم القبط وبأصبعين، وهم الروم وبالعشرة، وهم الإفرنج، وهو شيء لم يجدوه في كتاب من الكتب ولا في شريعة من الشرائع، بل ابتدعوه بآرائهم الفاسدة، وعقولهم السقيمة، بل العاقل يهان غلامه أشد الإهانات يود لو نسيت تلك الإهانة، وعفيت آثارها تعظيما لقدر غلامه فكيف رضي بإهانة ربه على زعمه بتلك الإهانات العظيمة المتنوعة، فلو كانوا عقلاء محوا آثارها، وأخملوا شعارها، وراغموا اليهود في إخماد غيظهم ومحو آثار عداوتهم، بل صاروا لليهود على إظهار ذلك العدوان أعوانا، وجعلوا شعار هوان ربهم قربانا، فلو نزل التلاميذ اليوم لم يعرفوا شيئا مما عليه النصارى الآن، ولا وجدوهم في سلك دين من الأديان، فأنى يحل لهم بعقلهم الفاسد أن الصليب ينبغي أن يعظم لكون الرب صعد منه إلى السماء، فهو فاسد، وإن قاله كثير، لأنه عندهم دفن بعد ذلك ثلاثة أيام، وصعد من القبر، فالقبور حينئذ أولى بالتعظيم وإن كان ولا بد من هذا الباب ففي الأناجيل أن المسيح عليه السلام عند دخوله المدينة، وبين يديه الصبيان ينادون مبارك الآتي باسم الرب، فركب الحمار في حال تعظيمه، والصليب في حال إهانته، فينبغي لهم أن يعظموا الحمير ويضمخوها بالعنبر، ولا يركبوها صيانة لمركوب المعبود عن ملابسة العبيد، وهي أفضل من الصليب، لأنه حيوان وهو جماد وأين آثار السعادة من آثار الإهانة والإنكار.

السؤال الثالث والخمسون:

أكثر النصارى يسجد للتصاوير في الكنائس، وهو من كفرهم القبيح وأي فرق بين عبادة الأصنام والسجود للتصاوير، ولو أن السجود للصورتين لسجدت التلاميذ للمسيح عليه السلام في حال حياته، فإن صورته أفضل مما يصورونه في الكنائس، وليس في كتبهم حرف من شرع التصوير، ولا من السجود للتصاوير، بل مملوءة بالتوحيد والتمجيد وكفرت من يفعل مثل هذا، فهم كفرة فجرة على كل كتاب أنزل وعند كل نبي أرسل.

السؤال الرابع والخمسون:

جوزت النصارى على الباري تعالى النزول والطلوع والحركة والسكون، وهي من خواص الأجسام المحدثة، ولا يكون إلا في المخلوقات المخترعة المدبرة، فيلزمهم أن إلههم جسم محدث، ومخلوق مدبر وهم لا يشعرون.

السؤال الخامس والخمسون:

أكلت النصارى لحوم الخنازير، وأحلوها بعد تحريمها في زمن المسيح عليه السلام في التوراة والإنجيل، فرغموا الكتب وخالفوا الرسل، ففي التوراة الخنزير حرام عليكم فلا تأكلوه، وهو نص لا يحتمل التأويل، وفي إنجيل مرقس أن المسيح عليه السلام أتلف الخنزير، وغرَّق منه في البحر قطيعا كثيرا، وقال لتلاميذه: لا تعطوا القدس الكلاب، ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير، فقرنها بالكلاب، فمن أحلها فقد كفر بموسى والمسيح عليهما السلام، ويروون عن بطرس أنه رأى في المنام أن صحيفة نزلت من السماء فيها صور الحيوانات والخنازير، وقيل له: كل منها ما أحببت، والشرائع لا تدوم بالأحلام، والرسل عليهم السلام لا يكذبون بالمنام، مع أنا نمنع صحة هذا النقل عن بطرس، فإنه ليس عندهم نقل صحيح لعدم رواية الكتب عن العدول والضبط لحروفها، وما فيها من معانيها.

السؤال السادس والخمسون:

التزام النصارى أن الراهب والراهبة لا يتزوجان وأن الزواج مناف لباب التقرب إلى الله تعالى، وأن ترك النكاح من جملة المناسك والقربات ويعرضون النساء والرجال للزنا والفساد في بيوت العبادات، ويسدون باب الذرية الصالحة، ومن يعظم الله تعالى ويمجده ويقدسه، وهو أمر لا يجدون له عندهم أصلا إلا قول الإنجيل من ترك زوجة، أوبنين، أو حقلا من أجلي، فإنه يعطي للواحد ألفا فقد صرح بأن ترك الزوجة يثاب عليه، وهو على غلط فيه من وجوه أحدها: أن الأولاد لا يجوز تركهم بغير كفالة، ومن نسب المسيح عليه السلام للجهل بذلك فقد كفر، وتعين أن يكون المراد من ترك زوجة لله تعالى إذا طلبت فراقه لعجزه، أو لسبب آخر، وترك النبيين لا يشتغل بمحبته أحياهم عن طاعة الله تعالى، ومنها أنه سماها زوجة، وإنما تكون زوجة إذا عقد عليها وجازها، فهو أمر بالفراق إذا أمر الله تعالى، لأنه أمر بترك الزوج كقوله تعالى في القرآن:

﴿ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [1] فكما أن الزواج يكون لله تعالى يكون الفراق له.

ومنها: أنه معارض بقول المسيح عليه السلام في الإنجيل: من طلق زوجته باطلا، فقد عرضها للزنا، فقد نهى عن الطلاق بغير سبب يوجبه، وأمر بدوام الزوجية عند عدم سبب الفراق.

ومنها: الزواج مشتمل على قربات عفاف الزوجة، وعفاف الزوج والتسبب لعبد صالح يعظم الله تعالى وإرغام الشيطان بصون الإنسان عن موارد العصيان، وهذه القربات أفضل مما انقطع إليه الرهبان من الصلوات، ثم النكاح والتناسل سنة الأنبياء عليهم السلام، وخواص الأولياء ودأب النجباء والأقوياء، وفي كتبهم أن الله تعالى امتن على إبراهيم عليه السلام وزكريا عليه السلام بنعمة الأولاد، وقد قال مرقس في الرسالة الثانية عشرة: إن القسيس محقوق بأن يكون غير ملزم، فإنه وكيل الله غير حقود ولا مستبد برأيه، ولا يجاوز القصد في الخمر، ولا أسرع يده إلى الضرب، وأن يكون محبا للقربات والأعمال الصالحات عفيفا بارا خيرا ضابطا لنفسه عن الشهوات غنيا بالعلم والتعليم، وله زوجة واحدة وبنون صالحون، وهذا نص في حسن النكاح، والتسبب للعفاف فمن خالفه فقد ضل عن سنة النبيين وأحدث البدع القبيحة في الدين، وما هي إلا نزعة فلسفية وخيالات سوداوية.

السؤال السابع والخمسون:

النصارى اليوم كلهم معترفون بأنهم عصاة جناة رافضون لشرائعهم متبعون لطبائعهم، وذلك أن مذهبهم الاستسلام، وترك القتال والانتصار، وعدم مدافعة الكفار، وترك الأخذ بالثأر لما في الإنجيل من لطمك على خدك فحول له الآخر، وقد تقدم هذا الفصل مستوعبا، وفيه أحبوا مبغضيكم، وصلوا على لاعنيكم، وكفى بهذا ويقولون: لو أراد المسيح عليه السلام الحروب لم يستسلم، وقد قال بولس في الرسالة الحادية عشرة: اهرب من جميع الشهوات، وابتغ للرب والإيمان والود، والتسليم، وتنكب المنازعات فإنها تورث القتال، وليس يحل لعبد أن يقاتل هذا قول بولس، ومع ذلك فهم

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

اليوم أشد الناس قتالا، وحرصا على سفك الدماء، واتباع الأهواء، وهم موافقون على الفصلين، فهم حينئذ معترفون بكفرهم بالشرائع، واتباع الطبائع.

السؤال الثامن والخمسون:

اتفقت النصارى على الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، واتباع الأهوية في الأحكام يحلون الحرام، ويحرمون الحلال، ويسفكون الدماء، ويحبون الأموال والفروج بغير شرع، بل بمجرد اتباع الهواء، والوسواس السوداوي من غير شرع منقول، وذلك إنه ليس يشتمل ديوان فقه النصارى على أكثر من خمسمائة مسألة ونيف لم ينقلوها عن المسيح عليه السلام ، فهي أيضا في نفسها باطلة، ولو أنها صحيحة فالصلاة وحدها تحتاج آلافا من المسائل، فأين أحكام الله تعالى في بقية العبادات، والأنكحة والمعاملات، والأقضية، والجنايات والودائع والرهون والديون والأتلاف إلى غير ذلك من أحكام الله تعالى في التصرفات، وأقل مختصر عند المسلمين يحتوي على عشرة آلاف مسألة، ومع ذلك فهو قطرة في بحر، فكيف خمسمائة مسألة، وأكثر رجوعهم إلى أحكام المسلم مع أنها عندهم باطلة بأي شيء استحسنوه بعقولهم السقيمة حكموا به، فإن نازعهم أحد منهم حرموه، ومنعوه من دخول الكنائس، وهذا غاية البعد من الشرائع واتباع الأهوية والضلال، ثم إنهم يحكمون بما لا يرضاه الصبيان، ولا طبيعة النسوان كما يصنعون في كرسي مملكتهم بعكا بالشام إذا ادعى أحد على أحد قتل قريبه دفعوا لكل واحد باسليقا من السلاح، ويحلقون رأس الاثنين ويعطوهما قرنين محددين، ثم يخرجون عند باب المدينة، فمن صرع صاحبه بذلك الحديد جلس على صدره وخسف عينيه بالقرن وسلمه لولي الأمر، ويعين أنه الظالم بسبب أن المسيح قد نصر عليه، وهذا حكم المجانين والضعفاء من المغفلين.

السؤال التاسع والخمسون:

قالت النصارى: إن يوحنا جلس بأفسيس من بلاد الروم يكتب إنجيله فنزل مطر محا بعض ما كتب فغضب يوحنا ورفع وجهه إلى السماء، وقال: أما تستحيي أن تمحو اسم ابن إلهك، فلم تمطر تلك القرية بعدها، قالوا: وبينه وبين قسطنطينية ألف فرسخ، وهذا شأن النصارى فيما يستشهدون به على أباطيلهم يبعدون شاهدهم غاية البعد، فانظر هذه الرقاعة كيف يغضب يوحنا على ربه، وينازعه في تصرفه في ملكه وجرأتهم على يوحنا في نسبتهم لهذه الجهالة مع ما له من المكانة.

السؤال الستون:

قالت النصارى: إن المسيح عليه السلام لم يتكلم في المهد، و لم ينطق ببراءة أمه، بل أقام ثلاثين سنة، واليهود تقذف أمه بيوسف النجار، وتحكم بأنه ولد زنا، مع أنه عندهم قادر على كل شيء، وخلق كل شيء، فيلزمهم أن ما لقيت والدة من ولدها شرا مما لقيت مريم رضي الله عنها من المسيح عليه السلام ، وأنه جمع بين عقوق أمه، وهتك سترها وفضيحتها على رءوس الأشهاد، وأعان على التمادي على الباطل اعتقادا وقولا، مع قدرته على دفع جميع المفاسد بغير كلفة، ثم ما اكتفى لوالدته بذلك حتى ألزمها الصلاة والصوم، ومشاق التكاليف، وقضى عليها بالموت، وجرعها غصص الموت، وسلط على جسدها الفساد، وهذا لم يصل إلى قبحه ولد من الأولاد، وهو صلوات الله عليه منزه عن جميع ذلك، وإنما يلزمهم هذا من مذهبهم السوء المشتمل على الكفر والعناد.

السؤال الحادي والستون:

مذهب النصارى أن الخير من الله والشر من الشيطان، ووافقهم بعض اليهود، فيلزمهم أن يكون مراد الله تعالى أقل وقوعا، وأن مراد الشيطان أكثر وقوعا وأنفذ وأغلب لكون أكثر العالم كفارا وضلالا وشريرين اتفاقا، فيلزمهم أن يكون الشيطان أولى بالربوبية، وأحق بالعبودية، وديننا أن الخير والشر والنفع والضر كل بيد الله، وهو مسطور في كتبهم، ولكن لا يهتدون إليه سبيلا، ففي التوراة قال الله تعالى لموسى عليه السلام : امض لفرعون وقل له: ارسل شعبي يعبدوني، وأنا أقسي قلبه فلا يرسلهم.

وفيها: وقسى الله تعالى قلب فرعون، فلم يؤمن كما قال الرب، وهو تصريح بأن الله تعالى يخلق القسوة والكفر في القلوب، كما يقول المسلمون.

وفيها: لما أخرج الصاع من رحل بنيامين خرج أخوته وقالوا: من عند الله نزلت هذه الخطيئة وهو في التوراة كثير وفي الإنجيل إني لم آت لأعمل بمشيئتي، بل بمشيئة من أرسلني كقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾[1] ونصوص التوراة والإنجيل متضافرة على ذلك، وهم بالكتابين كافرون، ولكن لا يشعرون.

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٣٠.

السؤال الثاني والستون:

تقول النصارى، إن قتل المسيح عليه السلام، وما جرى عليه كان لأجل التطهير، فنقول لتطهير من آمن به، أو من كفر به؟ فإن قالوا: من كفر، فكيف يكون تطهير الخطايا بأقبح منها من صلب الرب، وإهانة الخالق الأكبر، وإن قالوا: من آمن فكيف يكون فعل الكفار طهرا للأبرار؟ وإنما يطهر الإنسان عمله الصالح، ثم الإيمان كاف في التطهير، وإلا فلا عبرة به، وأي فساد زال من العالم بقتله وأي صلاح حصل، بل العالم على حاله، والناس على ما كانوا عليه من صالح وطالح، ورفع وخفض، وإبرام ونقض، بل المصيبة التي حصلت بإهانة الرب على زعمهم لم يحصل في العالم قبلها مثلها، ولا يحصل بعدها مثلها، وكان في غناء عن هذا التطهير.

السؤال الثالث والستون:

النصارى يقرعون بعد الفطر بجمعتين تسبيحة مشهورة عندهم، وهي صلبوت ربنا يسوع المسيح بطل الموت، وانطفأت فتن الشيطان، ودرست آثارها، وهل هؤلاء النصارى إلا هزء الضاحكين فأي موت بطل في العالم، وأي فتنة انطفأت ودرست، فما زال اليهود والفرس والمجوس وعبدة الأوثان، وأنواع الضلال من العالم، بل ازدادت الضلالات وكثر الكفر والجهل والعناد بوجودهم بين أظهر العالم، ولم يظهر من ولد آدم لهم شبيه، فيما هم عليه من خلط الكفر بالجنون.

السؤال الرابع والستون:

يقرعون يوم الأحد من الصوم التسبيحة المشهورة، وهي أن المسيح هو الذي أنقذ رعيته من الفتن، وغلب بصومه الموت والخطيئة، ويغفلون عن كون الناس يموتون إلى الآن، وأن المقابر تعمر، وأن المنازل تخرب والعصاة والطغاة أكثر من أن يحصوا، وهم أكثر العالم، ولكن شغل النصارى بالعناد منعهم من الاطلاع على أحوال العالم وجسرهم على الكذب.

السؤال الخامس والستون:

يقرعون بعد كل قربان يا ربنا يسوع الذي غلب بوجه الموت الطاغي، وهم لا

يشعرون أن الموت أول ما بدأ به عندهم، وبأمه وجميع أصحابه وجميع النصارى إلى أن تقوم الساعة، ولكنهم معذورون لعدم العقل وليت شعري كيف يذهب الوجع الموت، وهو أول مقدماته، وإنما يذهب الشيء بما ينافيه، ولكن أين من يعلم الملايم من المنافي.

السؤال السادس والستون:

يقرءون في ثاني جمعة من الفطر إن فخرتنا إنما هو بالصليب الذي ذهب به سلطان الموت، وصيرنا إلى الأمل والنجاة، وينبغي لهم أن يمدحوا اليهود ويعظموهم، لأنهم سبب فخرتهم، ولولا اليهود لم يكن لهم فخرة، ولا جلالة فما كان في ذلك الزمان يجسر على الصلب سواهم، وهذه مرابع الناس قد خلت من الموت والآمال قد تكدرت من خوف الفوت، ولكن لما كان النصارى لا يموت منهم أحد اعتقدوا أن الناس كلهم كذلك.

السؤال السابع والستون:

يقرءون في الصلاة الأولى التي يسمونها صلاة السحر، وصلاة الفجر: تعالوا نسجد ونتضرع للمسيح إلهنا أيها الرب خروف الله ارحمنا أنت وحدك القدوس المتعالي، فسموه أولا الرب، ثم جعلوه خروف الله، وليت شعري ما مناسبة الخروف للربوبية حتى يسمي له العالم خروفا، ثم جعلوه وحده هو القدوس المتعالي، وهو هذا الخروف الذي لله تعالى، وإذا ثبت توحد الخروف بالقس، والتعالي لا يكون صاحبه كذلك فصاحبه أولى أن يكون الخروف.

السؤال الثامن والستون:

يقرءون في صلاة الساعة الأولى المسيح الإله الصالح الطويل الروح الكثير الرحمة الداعي الكل إلى الخلاص، فجمعوا فيه بين كونه إلها، وبين كونه طويل الروح، وطول الروح الصبر على المؤلمات، وهو مناف للوصف بالإلهية لأن الآلام والصبر عليها من خواص البشرية، ثم نصوص الإنجيل متضافرة بأنه عبد مربوب كما تقدم بيانه في إثبات عبوديته عليه السلام ، ثم كيف يخصصون المسيح عليه السلام بكونه المخلص من الموت والخطايا، وأنه الطويل الروح، والأب أولى فيه بذلك والروح القدس فإعراضهم عن هذا إبطال للثالوث، أو سوء أدب مع الأب والروح القدس، ولا خلاف عندهم أن العبادة لأقنوم الكلمة وحدها كفر، فلم كفروا في أول النهار قبل أن يتعالى، وإنما هو دليل على أنه

نهار مشئوم عليهم، ثم دعاه الكل إلى الخلاص إن دعا مريدا لذلك، فقد ثبت عجزه فلا يصلح للألوهية، أو غير مريد، فقد أراد كفرهم وهو يهدم أصولهم بالقول بالتحسين والتقبيح، وأن الله تعالى أراد بالكل الخير، ولا يريد المسيح غير ذلك أبدا.

السؤال التاسع والستون:

يقرءون في صلاة الساعة الثانية والدة إله السماوي أنت هي الكرمة الحقانية الحاملة ثمرة الحياة إليك نتضرع لترحمي نفوسنا يا والدة إله السماوي افتحي لنا أبواب رحمتك، فنقول لهم: هذا من العقائد التي لا بد منها في الدين أم لا؟ فإن قالوا: نعم، قلنا لهم: فإبراهيم وموسى وغيرهما عليهم السلام ما كانوا يعتقدون أن لله والدة ولا ولد، ولو كانوا كذلك لوجد في التوراة وكتب الأنبياء عليهم السلام، فإنهم لا يقصرون في نصح الخلايق وإرشادهم إلى ما يجب من الإيمان، لكنهم لا يجدون في الكتب من هذا حرفا فالأنبياء عليهم السلام حينئذ كفرة لجهلهم بهذه العقايد، وإن قالوا: إن هذا ليس من عقائد الأديان، ولا آذنت فيه الكتب الربانية، فقد اعترفوا بالكفر بكونهم نسبوا إلى الله تعالى ما لم يأذن فيه، ثم إن هذه الصلاة تقتضي عبادة مريم رضي الله عنها لتصريحهم بالتضرع لها لترحم نفوسهم، وتفتح لهم أبواب الرحمة، ولا معنى للعبادة والربوبية إلا هذا مع اعترافهم بأن جسد مريم رضي الله عنها لم يتحد به كلمة، ولا غيرها، بل هي كسائر بنات آدم صلوات الله عليه، فقد عبدوا الرجال وأردفوا ذلك بعبادة ربات الحجال، وصار الثالوث رابوعا، واستورطهم الشيطان، فكان بالوعا وأضحوا حمير الضلالة، بل جذوعا.

السؤال السبعون:

يقرءون في صلاة الساعة السادسة: يا من سمرت يداه على الصليب من أجل الخطيئة التي تجرأ عليها آدم خرق العهد المكتوب فيها خطايانا، وخلصنا، يا من سمر على الصليب وبقي حتى لصق على الخشبة بدمه، قد أحببنا الممات لموتك أسألك بالمسامير التي سمرت بها نجني بالله، فليت شعري من علمهم الأدب، مع إلههم حتى يثنوا عليه بصفات الكمال، ونعوت الجلال ويتقربون إليه بذكر أفضل الأحوال، ثم المسيح عندهم أنه هو الله تعالى، وليت شعري كيف يخطئ آدم، فيصلب الرب ليمحي خطيئة العبد، ومن المطالب بهذه الخطيئة حتى ألجأ الرب لهذه الرذيلة، بل كان يكفي الرب أن يغفر ذنب عبده، ولا حاجة إلى شيء آخر، ثم إنهم يجمعون بين وصف الربوبية، وبين

ما يناقضها من القهر لها أقبح القهر من أقبح الناس، وهم اليهود ولو اعترفوا لليهود بالربوبية ودانوا لهم بالعبودية، لكان أولى بهم في هذه الحالة من المناجاة بآداب، لو قوبل بها شيخ ضيعة لأوسعهم ضربا بالنعال، وخلدهم في النكال.

السؤال الحادي والسبعون:

يقرءون في صلاة الساعة التاسعة، يا من ذاق الموت من أجلنا في الساعة التاسعة إليك ابتهالنا، يا من سلم نفسه إلى الأب لما علق على الصليب لا تغفل عنا، يا مَنْ مِنْ أجلنا ولد من العذراء، واحتمل الموت لا تخيب من خلقت بيدك واقبل من والدتك الشفاعة فينا، ولا تنقض عهدك الذي عاهدت عليه إبراهيم، وإسحاق ويعقوب ويقرءون في هذه الصلاة، لما رأت الوالدة الحمل والداعي ومخلص العالم على الصليب، قالت: وهي باكية: أما العالم ففرح بقبوله الخلاص، وأما أحشائي فتلتهب عندما أنظر إلى صلبوتك بعيني، وهذه القراءة مع سخافتها، فهي متناقضة فإذا كانوا قد تخلصوا بصلبه من الخطايا، أي شيء يحوجهم إلى شفاعة أمه فيهم، وأي حاجة بهم إلى هذا التضرع والسؤال، وقد بينا فيما تقدم كذبهم في دعواهم خلاص العالم وأحواله لم يتغير منها شيء، وما بالهم يسيئون الظن بربهم، ويسألونه أن لا ينقض عهده، وما ذلك إلا أنهم فيه رأوه، لما أن الابن صلب، وعجز عن خلاصه من اليهود، وكيف يليق أن يخاطب الرب تعالى بأن لا يكذب، ولا ينقض عهده، وهل هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلا.

السؤال الثاني والسبعون:

يقرءون في صلاة المغرب، يا والدة الإله العذراء، اسعي في خلاصنا وافرحي يا والدة الإله مباركة أنتِ في النساء ومباركة ثمرة بطنك، لأنك ولدت لنا مخلصنا، يا والدة الإله مباركة لا تغفلي عن وسائلنا، ونحن من المعاطيب، وفي هذه الصلاة يا صانع المسيح يوحنا اذكر جماعتنا، ونجنا من المعاطب، فصارت آلهتهم ستة الأب والابن، والروح القدس، ومريم، والمسيح عليهما السلام، ويوحنا وجدوا هذا الباب بغير ثمن، فاستكثروا منه، وإن طال بهم الزمان صارت آلهتهم لا تعد ولا تحصى، وكيف يليق أن يجعلوا يوحنا صانع المسيح عليه السلام، ويصرحون بأن يوحنا إلهه، والمسيح عليه السلام مصنوع له، وحينئذ قد صرحوا بعبودية المسيح عليه السلام، وإنه من جملة المخلوقين لكن ليوحنا

فتفتخر اليهود حينئذ، لأن الله تعالى خلقهم، وكل من كان قبل خلق يوحنا، وأن يوحنا لم يخلقه، وهل هذه الصلوات لا تستحيي منها الفضائح وتتعوذ منها القبائح.

السؤال الثالث والسبعون:

يقرعون في صلاة النوم الملائكة يمدحونك بتهليلات مثلثة، لأنك قبل الكل لم تزل أيها الأب وابنك نظيرك في الابتداء، وروح القدس مساويك في الكرامة ثالوث واحد، فما كفاهم ما كفروا به من التثليث، حتى يشركوا معهم الملائكة والتوراة، والإنجيل والمزامير تكذبهم في دعواهم على الملائكة ذلك، وتشهد بتوحيد الله تعالى وتبرئه عن الثاني فضلا عن الثالث، وقد بينا ذلك فيما تقدم بنصوص هذه الكتب، ثم قولهم قبل الكل يقتضي حدوث المسيح عليه السلام ، لأنه لو كان في زمان أبيه لم يكن الله تعالى قبل الكل، وإذا تأخر عنه بالزمان ثبت عدمه في زمان أبيه، والمسبوق بالعدم محدث، فالمسيح عليه السلام محدث، لكن القوم لا يفهمون القديم من المحدث، فلذلك وقعوا في هذه الترهات، وإذا كان المسيح عليه السلام محدثا بطلت ربوبيته، وتعينت عبوديته وانتقض أصلهم، و لم يزل منقوضا.

السؤال الرابع والسبعون:

يقرعون في صلاة نصف الليل، وهي الثامنة من صلاتهم لا تاسع لها من مرتبات تبارك الرب إله آبائنا، وفوق المتعالي إلى الدهر تبارك بمجدك القدوس فوق المسيح، وفوق المتعالي إلى الدهر مبارك أنت فوق المسيح، وفوق المتعالي إلى الدهر، ويكررون هذه الفوقية في هذه الصلاة دفعات، ونسوا أنهم قرعوا في صلاة النوم أن المسيح نظيرك في الابتداء، وروح القدس مساويك في الكرامة فإن صدقوا في الأولى كذبوا في الثانية، وإن صدقوا في الثانية كذبوا في الأولى فهم الكذبة الفجرة على كل تقدير، فهذه ثماني صلوات لهم مشتملة على البهت والكفر والفجر، وسوء الأدب على الله تعالى، وعلى المسيح عليه السلام ، وهم فيها متضمخون بالعذرات ملابسون للقاذورات، حتى إن العباد منهم إذا مات أحدهم يوجد على شعر مقعدته نجاسات وعذرات متحجرة، كما يتفق على أذناب الأغنام، فلو أن فيهم رجلا رشيدا ناصحا أشار عليهم بترك هذه الصلوات والإعراض عن باب القربات، فليس للقوم أهلية للعبادات، ولا آداب تصلح للمناجاة بين يدي رب الأرض والسموات، بل أشبه بالجمادات من الحيوانات.

السؤال الخامس والسبعون:

اختلفت مستندات النصارى في كون المسيح ﷺ ، ابنا فننقلها كلها، ونبين بطلانها، منهم من يقول: إنما كان ابنا مسيحا، لأن الله تعالى مسحه بدهن وهو باطل، لأنه يلزم أن يكون داود وغيره ابنا ومسيحاً لله تعالى لقول داود ﷺ في المزامير: صبيا كنت في غنم أبي فأخذني ربي، ومسحني بدهن مسختنته، وفي السفر الثالث من التوراة ويسمى سفر الكهنة أن الخير الممسوح من أولادها هرون هو الذي يتولى القرابين، ورش الدم على زوايا المذبح، وفي هذا السفر قال الله تعالى لموسى: عمد آل هرون وبنيه وخذ اللباس، ودهن المسحتين الذي تمسح به الأخبار، وخذ الجماعة كلها إلى باب فيه الأمد، وقدم هرون وألبسه لباس الكهنة، وكلله بأكليل من ذهب وصب على رأسه من دهن المسحتين، وامسحه وقدسه ففعل موسى ﷺ ذلك، فالمسيح ﷺ أسوة هذه الصفوة، فلا مزيد له، ومنهم من قال: بل لأنه سماه ابنه وهو باطل لما في التوراة أن الله تعالى قال لموسى ﷺ : ابني بكري إسرائيل، والبكر أجل الأولاد، فيعقوب ﷺ أولى بالنبوة، ومنهم من قال: بل لأنه أحسن تربيته وتأديبه، وهو باطل، فإن مربيه امرأة، ولم تكن الملائكة تلازم بابه وحفظه وتعليمه، بل هو كسائر الأنبياء عليهم السلام في النشأة لم يوجد في حقه زيادة توجب النبوة، ومنهم من قال: بل لأنه أطاع الله تعالى فأعطاه ما لم يعط غيره، فاتخذ ابنا قلنا: ففي التوراة أن موسى ﷺ عمر مائة وعشرين سنة، وإذا طرحنا عمر الصبي بقي عمر المسيح ﷺ خمس عمر موسى ﷺ فأعماله أعظم، وحكيتم أن موسى ﷺ ملك جانبا من الأرض كبيرا، وقام قاتل الجبابرة وجاهد العمالقة، وأباد الفراعنة، وقتل عوجا مبارزة وأوصل لله تعالى أربعين يوما، وأربعين ليلة لا يذوق طعاما، وابتلي بخلاف قومه وعتيهم فصبر، وتلقى أوامر ربه بصدر فسيح وباع رحب، فلم يهب جبارا، وإن عظم قدره، ولا نكل عن عدو، وإن تفاقم أمره حتى فتح الشام ودوخ البلاد، ولما دنا حمامه وقيده من الأجل زمامه تقدم إلى خادمه يوشع بن نون بفتح باقي بلدان الشام، وأفاض عليه من فاضل همته، وصحيح عزمه ما قوى عزمه، وأيد حزمه فقاتل أربعة وعشرين ملكا وأبادهم، وهذه أعمال عظيمة لم يوجد مثلها للمسيح ﷺ ، أو وجد ما يعادلها، فليكن ﷺ منذ نشأ إلى ثلاثين سنة ما زال مشتغلا بتعلم التوراة، واقتباس العلم من أتباع موسى ﷺ ، ومنهم من قال: بل

لحلول العلم الإلهي، أو الكلام على خلاف بينهم في مريم رضي الله عنها، فتجسد إنسانا، فكان ابنا وهذه مزية لم توجد لغيره، قلنا: قد بينا فيما تقدم أن العلم والكلام معنيان، وأن المعاني يستحيل انتقالها، ولو انتقلت لزم خلو ذات الله تعالى عنها، والكل محال، فالقول بالنبوة محال.

السؤال السادس والسبعون:

في إنجيل لوقا أن جبريل عليه السلام بشر مريم رضي الله عنها، بأن ولدها المسيح ابن داود يجلسه الرب تعالى على كرسي أبيه داود يملكه على بيت يعقوب، فجبريل عليه السلام يسميه ابن داود، والنصارى تقول: كلا بل هو رب داود، ولقد تباعد ما بينهم وبين جبريل صلوات الله عليه، وعادوه وخالفوه بالرد عليه، ومن كان عدوا لجبريل الأمين، فلا شك أنه عدو لرب العالمين، وكيف يليق بجبريل صلوات الله عليه أن يخمد قدر المسيح ويقلل قدره وينسبه إلى البشر، وهو منسوب إلى خالق البشر لا سيما، وذلك في معرض التبشير، وهو محل التفخيم والتعظيم، ولو لم يكن في الإنجيل إلا هذا الموضع، لكان قاطعا لحجج النصارى، وكافيا في إثبات عبودية المسيح عليه السلام .

السؤال السابع والسبعون:

يقول اليهود: حقيقة المعجزة لا تختلف وهي فعل خارق يقترن به التحدي، وهذا قد وجد في حق محمد بن عبد الله، كما وجد في حق موسى عليه السلام ، فإن كانت المعجزة لا تفيد النبوة يلزمهم أن لا يعتقدوا نبوة موسى عليه السلام ، وإن أفادت يلزمهم اعتقاد نبوة محمد ﷺ، وإنما قلنا: إنه عليه السلام جاء بالمعجزة، لأنه جاء بالقرآن في زمن الفصحاء البلغاء، وسأل من جميعهم أن يأتوا بمثله، فأعجزهم فسألهم سورة منه، بحيث تصدق على سورة الكوثر فعجزوا، فنادى بينهم على رءوس الأشهاد بقوله: ﴿ لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [1] فما اقتصر على تعجيزهم حتى أضاف إليهم أكثر منهم، وهم الجن، ومع ذلك التوبيخ الذي يأباه ذوو المروات، وتثير

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

الحميات لا سيما عند العرب العرباء ذوي الأنفة والكبرياء، ومع ذلك كله أظهروا العجز، وآثروا العدول إلى القتال، وسلب النفوس مع الأموال، ومثل هذا لا يفعله الجمع العظيم من العقــلاء إلا للمبالغــة في العجز، وقد اشــتمل القرآن العظيم على مثل سورة الكوثر ســبعة آلاف مرة، فيكون ســبعة آلاف معجزة، وفيه من المعجزات وجوه كثيرة جدا منها إخباره عن المغيبات المستقبلات، وكان ذلك يوم بدر، وقوله: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ ﴾ [١] وكان الأمــر كذلك، وقولــه تعالى: ﴿ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ [٢] وكان كذلك وهو كثير، ومنها إخبار عن أحوال القرون الماضية، ووجد كذلك مع أنه ﷺ لم يقرأ كتابا، ولم يخالط، ولم يرحل إلا إلى الشام مرتين في المتجر، مع قومه، ولم يلتمس هذا قط من أهل القصص، ولا غيرهم، ومنها أنه لا يمل مع تطاول الأزمان، ونحن نجد أحسن قصيدة غرا، أو رسالة بديعة حسنا يستحلها السمع، ثم يملها ويسأمها وللقرآن الكريم مئات السنين يتلى، ولا يزيده تطاول الأيام إلا جدة، ولا الأسماع عنه نهوه، فهذه وجوه من الإعجاز للقرآن الكريم، وليس هذا موضع التوسع فيها، ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر، وهو أعظم من انشقاق البحر، لأن الماء في كل حين يفترق من حيث الجملة، وأجرى الماء من بين أصابعه، وهو أعظم من إجراء الماء من الحجر، لأن الحجر مكان الماء من حيث الجملة، وكلمه الحصى والجمل والشجر، والذراع، ومعجزاته ﷺ كثيرة ليس هذا موضع استيعابها، إنما المقصود إيراد السؤال مع إجماع أوليائه، وأعدائه على أنه كان أصدق الناس، وأكرمهم وأشجعهم وأكثرهم أمانة، ووقارا وإعراضا عن الدنيا، وترغيبا في الآخرة لم يختلف في هذه الصفات اثنان ممن خالطه من الكفار والمسلمين، وهذه صفات لا تجتمع إلا لنبي، فمن كفر به يلزمه أن لا يعتقد نبوة موسى ﷺ ولا غيره من الأنبياء.

فائدة: لمعجزاته ﷺ مزايا لم تحصل لغيره منها: أنه باق على وجه الدهر، وغيره ذهب بذهاب نبي ذلك المعجزة.

---

(١) سورة الروم: الآية ٢.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٧.

ومنها: أنها واحد، وهو القرآن وهو آلاف من المعجزات، وغيره واحدة من كل وجه.

ومنها: أنه معجز شريف في معنى لطيف، وهو الفصاحة والبلاغة وأنواع سحر البيان مع الوصف العجيب، والرونق الغريب، لأن أمته ﷺ أشرف عقولا سرية، وأعظم أخلاقا رضية، وألطف نفوسا بشرية فتحدى لها بالمعجز الشريف في المعنى اللطيف، ولما كانت الأمم المتقدمة أكثف طبعا وأصعب انقيادا وسمعا، جعل معجزهم في الصور الكثيفة، والآيات القاهرة العنيفة في نتق الجبال، وشق البحار، وبروز الحيوان من الصخرة الصماء، ومقتضى الحكمة علاج كل مريض بما ناسبه، فالنسمة الشريفة بشراب الرمان والجبلة الكثيفة بالحطب والنيران.

السؤال الثامن والسبعون:

يقول اليهود: إذا اعترفتم بصدور الخوارق وأنكرتموها، وشهدت النقلة بوجود ما في حق محمد بن عبد الله، وعيسى ابن مريم صلوات الله عليهما، وطعنتم فيها بعد ذلك لربكم ذلك في معجزات موسى عليه السلام ، فكل شيء توردونه من احتمال السيميا، أو معاونة الشياطين، أو الطلسمات أو غير ذلك يلزمكم ذلك في موسى عليه السلام ، وكلما تخيلتموه جوابا لكم، فهو جوابنا.

السؤال التاسع والسبعون:

أسلم خيار اليهود، وخيار علمائهم كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، وأخبروا بأن مقتضى التوراة ومقتضى دين اليهود صحة نبوة محمد ﷺ، وأجمع اليهود قديما وحديثا على سيادة هؤلاء، وعظم شأنهم في العلم والدين وكثرة الاطلاع، وهم اليوم يسلمون بذلك، فتكون شهادتهم حجة على اليهود، لأنه لم يكن هناك ما يوجب عدولهم عن الحق، لا سيما الأتقياء والسادة والنجباء مقبولة في كل شيء، فتقبل على اليهود في كل شيء، ويتعين أنهم التزموا الغيار والجحود، وتأخر إسلام كعب الأحبار إلى زمن عمر رضي الله عنه، فقال له: ما سبب تأخر إسلامك فقال له: إنا نجد في التوراة أن محمدا يبعث من العرب، ثم يتوفى ويتولى بعده شيخ صالح، ثم يموت ويتولى بعده صلد من حديد، فلما رأيت الأمر جميعه لذلك أسلمت، فقال له عمر: واذفراه، أوذكرت هناك، أي أنا منتن لا أصلح أن أذكر في التوراة تواضعا من عمر رضي الله عنه، وكفى بعمر وشيعته دليلا على صحة نبوته عليه السلام ، فإن اتباع المبطلين لا تكون له الكرامات، ولا

تخرق له العادات، وعمر ﷺ ينادي سارية من المدينة، وسارية في أرض فاريين: يا سارية الجبل....، فسمعه سارية من هنالك، فالكرامة للاثنين في السماع والإسماع رضي الله عنهم أجمعين.

السؤال الثمانون:

نقول لليهود: جمهوركم يعتذر عن الإسلام بتعذر النسخ لئلا يلزم منه الندم، والندا في حق الله تعالى، وقد تقدم أن النسخ وقع عندكم في تحريم السبت، وقد استحق صلوات الله عليه، وتحريم الأخت المباحة في زمن آدم عليه السلام ، وبقية الوجوه مذكورة قبل، وإذا كان النسخ واقعا عندكم انقطع العذر، و لم يبق إلا العناد.

السؤال الحادي والثمانون:

نقول لليهود: أنتم على ضلالة قطعا بيانه: أن كتبكم التي تعتمدون عليها لا يمكن الاعتماد عليها، لأن أجلها التوراة، وهي غير متميزة، لأنها مشتملة على التواريخ الكائنة بعد موسى عليه السلام ، والكائنة قبله، وفي زمانه، ومشتملة على كلام كثير ليس لموسى عليه السلام ، والتعين فيها لموسى عليه السلام قليل، وإذا اختلطت التوراة بغيرها سقط الاحتجاج بها، فإن الحجة إنما هي في قول صاحب الشرع، لا في غيره، فإذا اختلط بغيره سقطت الحجة من الجميع لعدم التعين، فلا يقوم به الحجة.

السؤال الثاني والثمانون:

نقول، التوراة مبدلة قطعا لما تقدم بيانه، مما اشتملت عليه من نسبة الأنبياء عليهم السلام، وخاصة عباد الله إلى الفسوق والزنا وشرب الخمر، وما لا يصدر من أدنى السفلة، حتى إنهم يسمون هذه الحكايات النجاسات، مع قيام الأدلة على عصمة الأنبياء، فيحصل الجزم بعدم صحة ما في أيديهم من التوراة.

السؤال الثالث والثمانون:

أن بختنصر قتل اليهود، وحرق التوراة حتى لم توجد، وكانوا لا يرون حفظها مأمورا به، وكانت مختصة بأولاد هرون من بني إسرائيل، كما تقدم نصه في التوراة، ثم بعد السنين الكثيرة المتطاولة لقنهم عزير هذه التوراة التي بأيديهم من فصول جمعها لا يدري، هل أصاب، أو أخطأ؟ ولا جرم وقعت فيها النجاسات، وما لا يليق بالنبوات،

ومثل هذا لا يجوز الاعتماد عليه حتى نقطع بكونه عن الله، وأين القطع في خبر واحد، فثبت أن التوراة لا يجوز الاعتماد عليها؟

السؤال الرابع والثمانون:

عقلاء اليهود يعترفون بنبوة محمد ﷺ لما يجدونه عندهم في التوراة، ويخصصون نبوته عليه السلام بالعرب، فنقول: إذا سلمتم نبوته والنبي من شأنه الصدق وحسن السيرة والسريرة، فكيف قتل اليهود في خيبر، وغيرها ودعاهم إلى دينه، فلو لم يكن رسولا إليهم لما دعاهم، فكل من اعترف بنبوته عليه السلام للعرب يلزمه تصديقه في كل ما أخبر به، وهو قد أخبر أنه بعث للناس كافة، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [1] وقال عليه السلام «بعثت للأحمر، والأسود» ، فأخبر أنه عليه السلام مبعوث للجن والإنس.

السؤال الخامس والثمانون:

قالت اليهود في التوراة: إن روح الله تعالى قبل خلقه كانت ترفرف على المياه، وهو كلام باطل من جهة أنه قبل الخلق لم يكن ثم مياه، وكلامهم يقتضي قدم المياه، فلا تكون مخلوقة، وهو خلاف إجماعهم، وخلاف المعقول والمنقول، ثم لو سلمنا قدم المياه فكلامهم أن الله تعالى له روح هي جسم، فإن الرفرفة إنما تكون في الأجسام، والجسمية محال عليه تعالى بأدلة العقول، ولموافقتهم على ذلك، ثم يقتضي قولهم إن روح الله تعالى تفارقه، ويبقى بلا روح ميتا، وهو محال آخر، فاشتمل قولهم هذا على أنواع من المحال.

السؤال السادس والثمانون:

قالت اليهود في التوراة: إن الله تعالى حين أكمل خلق العالم قال: تعالوا نخلق بشرا يشبهنا، فخلق آدم فاعتقد كثير من اليهود لهذه المقالة التجسيم، وقال: إن الله تعالى في صورة آدم عليه السلام ، وأنه شيخ أبيض اللحية والرأس، جالس على كرسي، والملائكة قيام بين يديه، والكتب تقرأ بحضرته فانظر هذه العبارة الركيكة، وهذه العقول السخيفة، وجعلوا لله تعالى شركاء في الخلق لا شريكا واحدا، وأنه لا يستقل خلق آدم لنقلهم عنه

(١) سورة سبأ: الآية ٢٨.

تعالوا، وهي صيغة جمع فيلزمهم أن هؤلاء كل منهم إله لا مزية لله تعالى عليهم، بل الجميع يتساعدون في الخلق، ثم يلزمهم أنه لا يصلح واحد منهم للربوبية لعجزه عن الاستقلال، وهذا شر من قول النصارى بكثير، فإن النصارى جعلوا كل واحد مستقلا، كاملا، فأمكن أن يكون إلها، وأما على قول اليهود في هذه المقالة فلا، وهذا غلط عظيم، وجراءة على الله تعالى.

السؤال السابع والثمانون:

قالت اليهود: إن الله تعالى لما خلق الخلق في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، واعتقدوا لغلط أفهامهم أن الله تعالى يعتريه التعب والنصب، حتى نقل عن بعضهم في غير التوراة أنه تعالى في اليوم السابع استلقى على ظهره واضعا إحدى رجليه على الأخرى، وفي هذا جهالات منها التجسيم، ومنها ضعف القدرة لطرآن التعب والنصب، ومنها أنه يلزمهم أن يكون إلههم حادثا، فإن محل الحوادث يجب أن يكون حادثا، والتعب والنصب حوادث فأين هذا القول من قول المسلمين إن خلق الله تعالى لجملة العوالم كخلقه لأقل جزء من جناح بعوضة، وإن إيجاده بأن يقول للشيء: كن فيكون، واعتقاد المسلمين أن صنعه للأشياء بلا علاج ومخالطة لها، وبلا مزاج، وأن علة كل شيء صنعه، ولا علة للصنعة، فهذا هو التوحيد والتمجيد اللائق بجلال الربوبية، وتعظيم الله تعالى، وأما قول اليهود فتأنف منه دبغة الجلود، وهذه المواضع وشبهها من أعظم الأدلة على تبديل التوراة، وأنها غير المنزلة من الله تعالى، وهذا يجزم به كل عاقل.

السؤال الثامن والثمانون:

قالت اليهود في التوراة: إن الله تعالى قال لآدم وحواء إنكما في اليوم الذي تأكلان فيه الشجرة التي نهيتكما عنها تموتان موتا، وفي التوراة أنهما عاشا بعد ذلك ورزقا الأولاد بعد دهر طويل، وهو تناقض فاحش دال على تبديل التوراة وتغييرها.

السؤال التاسع والثمانون:

قالت اليهود: إن الجنة لا أكل فيها، ولا شرب، والتوراة تكذبهم في عدة مواضع منها: ما فيها آدم وحواء كانا يأكلان من كل شيء فيها إلا شجرة واحدة، وقد تقدم نقل عدة مواضع من ذلك في أجوبتهم تدل على أن الجنة فيها الأكل والشرب والنكاح.

السؤال التسعون:

قالت اليهود في التوراة: إن نمرود لما بنى الصرح وشيده نزل الباري تعالى إلى الأرض حتى هدمه، وحال بين نمرود وبين ما أراد من ذلك، وهذا تجسيم وتعجيز وتسوية ومقاربة بين الله تعالى ونمرود، فإن هذا إنما يكون بين الإنسانين المتقاربين، أما الملك العظيم مع من هو دونه فإنه لا يتحرك بنفسه له، بل يبعث بعض أعوانه، وههنا جعلوا لله تعالى، لا يبعد هذا الصرح إلا بأن يأتي بنفسه، وهذا كفر لم تصل له النصارى، وسخف كثير يقضي على توراتهم بالبعد عن الهداية واشتمالها على الضلالة، وإن الذي لفق فيها هذا من أهل الجهالة والغباوة.

السؤال الحادي والتسعون:

قالت اليهود في التوراة: إن إبراهيم عليه السلام لما مرت به الملائكة لهلاك بندوم وعامود مدائن لوط عليه السلام أضافهم وأطعمهم خبزا، ولحما وسقاهم سمنا ولبنا، ولما أتوا عند لوط عليه السلام عشاهم فطيرا، وهذا جهل عظيم، ونقل كاذب قطعا، فإن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، بل أجسام روحانية غذاؤهم روحاني لا يعرفه اليهود، ثم العجب أنهم نسوا أنهم يقولون: إن الناس في الجنة مثل الملائكة لا يأكلون، ولا يشربون، فشبهوهم بالملائكة في عدم الأكل والشرب، ثم لم يلبثوا أن قضوا على الملائكة بالأكل والشرب، وهو تهافت عظيم، وبهذا ونحوه يعلم أنه ليس بأيديهم من كتبهم إلا الرسوم.

السؤال الثاني والتسعون:

إن لوطا عليه السلام لما أمره الله تعالى بالخروج عن القرية الظالمة لم يسارع، وتباطأ عن الامتثال حتى بقيت الملائكة تدفعه في ظهره دفعا عنيفا، حتى أخرجوه كرها، وهذا يدل على تبديل التوراة، فإن خواص المؤمنين لا يشكون في أوامر الله تعالى لا سيما مع وجود الملائكة المشاهدين بالحس، فكيف حال الأنبياء حينئذ، فكيف الأنبياء عليهم السلام كلا والله، بل بواطنهم مملوءة إجلالا، وتعظيما وهم المخصصون بدوام المراقبة لو أرادت الله تعالى انقيادا وتسليما، وما هي بأول جراءة اليهود على الأنبياء عليهم السلام.

السؤال الثالث والتسعون:

قالت اليهود في التوراة: إن إبراهيم عليه السلام لما حضرته الوفاة ورث ماله ولده إسحاق

ومريم باقي أولاده، وهو من المواضع الدالة على تحريف التوراة فإن حال القدوم على الله تعالى يكون إبراهيم عليه السلام في غاية الأدب مع ربه وحسن المعاملة لخلقه لا سيما أولاده الذين أوجب الله تعالى عليه برهم، وحرم أذية قلوبهم، فكيف تجعل إبراهيم عليه السلام وهو خليل الرحمن هذا المؤلم خاتمة عمله عند حضور أجله، وأنت تعلم أيها المسلم المصدق بالرسالة المحمدية قوله عليه السلام «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**» فنجزم بكذب ما حكاه اليهود.

السؤال الرابع والتسعون:

قالت اليهود في التوراة: إن يعقوب عليه السلام احتال على أبيه إسحاق حتى أخذ دعوته المستجابة التي كان إسحاق عليه السلام يريدها للعيص، لأنه كان يحبه أكثر فإن لبس يعقوب عليه السلام حلة أخيه العيص، وجعل في ذراعه وعنقه جلد ما عرفت مكيدته على أبيه، ودعا له، وإن إسحاق عليه السلام لما اطلع على الحال تعجب، وقال: ليت شعري من هذا الذي ذهب يدعوني، فجعلوا يعقوب عليه السلام كذب قولا وفعلا، ودلس وعق أباه وأخاه، ثم العجب كيف يعتقدون صحة هذا، مع أنه إذا سلم لهم وقوع مثل هذا، فما دعا إسحاق عليه السلام إلا للعيص، لأنه هو الذي اعتقده إسحاق عليه السلام ، وأراده حالة الدعاء، فهذه الحيلة لا تفيد شيئا، وكيف يدعو إسحاق عليه السلام للعيص، فينصرف ليعقوب عليه السلام من غير قصد إسحاق عليه السلام ، فجمعت اليهود في هذا النقل بين سوء الأدب في حق الأنبياء عليهم السلام، وبين الجهل بالحقائق.

السؤال الخامس والتسعون:

قالت اليهود في التوراة: إن الله تعالى نزل إلى الجنة، ومشى فيها حين حكم آدم عليه السلام ، وأنه نزل إلى الأرض حين أنقذ بني إسرائيل من سحرة فرعون، ونزل إلى الأرض عندما كلم موسى من الشجرة العليق، ونزل إلى الأرض عندما كلم إبراهيم وبشره بالولد، ونزل إلى الأرض، وبلبل ألسن نمرود وقومه، ومنعهم من بناء الصرح، وهذا جهل عظيم منهم، والحامل لهم عليه أنهم يسمعون أن الله تعالى كلم هذه الأنبياء عليهم السلام فاعتقدوا أن هذا إنما يكون منه بالحركات، والتنقل في الجهات، فأثبتوا ذلك في توراتهم، وهذا يقتضي أن كتبهم ملفقة على حسب أهوائهم، لا على حسب ما أنزل الله تعالى إليهم.

السؤال السادس والتسعون:

قالت اليهود في التوراة: إن هرون عليه السلام وأخته مريم وقعا في موسى عليه السلام، وحسداه وأذياه، فنزل الله تعالى إلى قبة الرمان، ودعا هرون عليه السلام ومريم وتوعدهما وبرص مريم، فصارت برصاء من ساعتها، فنسبوا الأنبياء صلوات الله عليهم إلى الحسد، ومراغمة مقدور الله تعالى، ولا خلاف عندهم في نبوة هرون، ومريم والأنبياء معصومون ونسبوا إلى الله تعالى الحلول في قبة الرمان لقصد الانتصار، وأنه لا يحكم على أحد حتى يحضره، ولذلك استحضر ما بين يديه، وهذا من قبيح كذب اليهود على الله تعالى، وعلى رسله، وأعظم الدلائل على تحريف ما بأيديهم.

السؤال السابع والتسعون:

قالت اليهود في التوراة: إن الله تعالى حين أراد قتل أنصار فرعون وجنوده قال لموسى عليه السلام: قل لبني إسرائيل يذبحون جملا، ويضمخون من دمه على أبواب دورهم حتى إذا جزت الليلة في أرض مصر، ورأيت الدم عرفت أبوابكم من أبواب المصريين لئلا أهلككم معهم فنسبوا لله تعالى أنه لا يعلم إلا ما يراه بإمارة، ولا يتحقق شيئا إلا بإشارة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، بل هو أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء.

السؤال الثامن والتسعون:

قالت اليهود: إن الذي أمرنا بعبادة العجل، واتخاذه هو هرون عليه السلام، مع أن موسى عليه السلام استخلفه للإصلاح فأمر بالكفر الصراح، وكذبهم دانيال في نبوته، فقال: إن الذي صنع العجل منحا السامري، وكان آباؤه يعبدون البقر فاستتابه موسى عليه السلام، ونفاه إلى الشام، ولذلك كان الشام أكثر سمرة من غيره، وهذا موافق للقرآن الكريم.

السؤال التاسع والتسعون:

قالت اليهود: إن الله تعالى أمرهم أن يبنوا له قبة ينزلها إذا سافر معهم، وأنه اقترح عليهم صفتها، فبنوا له ذلك، لأن موسى عليه السلام قال: يا رب إن هذه الأمة القاسية لا تمضي إليك إلى الشام حتى تمضي معها، كما وعدتها فقال الله تعالى: اعلموا أن القبة فعلها موسى عليه السلام، وسماها قبة العهد، ونزل الله في عرشه، ونزل معهم في داخل القبة ينزل بنزولهم، ويرحل برحيلهم، هذا نص التوراة، ومما وقع في التوراة من أمر هذه القبة

أن المال الذي جمعوه لإنفاقه على هذه القبة صرف على يد موسى ﷺ، فلما كملت ادعوا عليه أن قد نقصهم من المال ألف رطل وستمائة وخمسة وسبعون رطلا، وقالوا لموسى ﷺ تشريفا له: أين ذهب هذا، فسمعوا صوتا من السماء، إن هذا العدد دخل في رءوس الأعمدة والتغشية، فحينئذ كفوا عنه فانظر لجرأة هذه الطائفة على الله تعالى، ولم يقدروه حق قدره، ولم يعاملوه بما يليق بجلاله، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون، قالوا فيها: وكان موسى ﷺ إذا أراد الرحيل قال: انهض إلينا يا رب لنلبث شانئك، قالوا: فكان تعالى يظعن بظعنهم، ويقيم بإقامتهم، وقالوا: إن الله تعالى أبى مرة من السير معهم وقال: اظعنوا أنتم فإني لا أظعن أنا بل أبعث معكم ملكا يغفر ذنوبكم، فانظر استخفافهم بالله تعالى إلى هذه الغاية تحويه القبات، ويسير مع الركاب، وهذه غاية الإسهاب في السباب، فيما لا يليق برب الأرباب، بل هو تعالى ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير لا تحويه الجهات، ولا يوصف بالحركات والسكنات، ولا يشبهه شيء من المخلوقات.

السؤال المائة:

قالت اليهود: إن يعقوب ﷺ عند منصرفه طالبا بلاده تصارع مع الملك، فغلبه يعقوب ﷺ، وتألم ورك يعقوب ﷺ، وصار الملك في يده مقهورا حتى قال له: دعني وأبارك لك، فترك اليهود أكل عرق الفخذ لذلك، فجعلوا الملائكة والأنبياء عليهم السلام مثل الصبيان يتصارعون، وأنهم في حبة من تفرغ قلبه، وقل لبه وأعرض عن مراقبة مولاه، واشتغل بهواه.

السؤال الحادي والمائة:

إن النصارى مصدقون التوراة، وهو كتابهم وعمدتهم في الأحكام والإنجيل إنما جاء بالمواعظ، وقال لهم في الإنجيل: تزول السموات والأرض، ولا يزول شيء من الناموس، يعني أحكام التوراة، ومع ذلك فهم مصرون على مخالفتها متمادون على معاندتها نابذون لأحكامها، مطرحون لأعلامها، ففي التوراة أن الله حرم الميتة والدم والخنزير والنطيحة والمنخنقة والقردة والشحوم غير المختلطة باللحم، والأرنب والأسد والذئب، الكلب، والفرس، والحمار، والبغل، وكل دابة ليست مشقوقة الحافر، ومن الطير ـي والعقاب، وكل طير يبقى بمخلبه أكل، ومن حيوان الماء كل حوت ليس له

سفانق، كذا وقع في كتبهم بالنون، وهو تصحيف منهم، وإنما هي سفاسق، وهي الطريق عند العرب، ومنه سفاسق السيف لطرايقه وفرنده، ذكره أبو عبيد في الغريب المصنف، وحرم حرث الثور مع الحمار، وحمل الخيل على الحمير، والحمير على الرجال، وطبخ الجدي في لبن أمه، وأخذ الطير من أعشاشها بفراخها، وأكل الجزارة والملتصقة ربها، وأكل الخبز المختمر في الفصوح، ولا يقرب قربانا إلا بخبز فطير، وحرم شحوم البقر، وشحم الشاة، ومنع قربان الحمام واليمام، فهذه نصوص لا تقبل التأويل، وعمل بها النبيون وأقروها، وكذلك عيسى عليه السلام ، فإن ادعوا نسخها طالبناهم بالدليل الناسخ، ولن يجدوه أبدا، بل تركوها بأهوائهم الفاسدة، ولقد ذكر في بعض كتب عقايدهم هذه المحرمات، ثم تأولوها بالوقاحة والجهل، فقالوا: هذه أمثلة في التوراة، وأقرها المسيح في الإنجيل، فعنى بالميتة أن لا تميتوا الأحياء، ولا تعموا الحق في الشهادة، وأراد بالدم أن لا يقتل أحد بريا وبالخنزير الزنا والكفر، والنطيحة أن لا يناطح ملك جبار فقير مسكين، وبالموقودة أن لا تزدري بمن هو تحت ظلم غيرك، وبالمنخنقة أن لا يخنق أحد لك قبله حق فتضغطه، وبالقردة أن لا تحاكي أحدا، فتفعل كفعلها، وبالذئب والأرنب أن لا تأكل مع غيرك بالهجم والفأرة والأرنب أن لا تفعل فعلها فعل قوم لوط، فإن ذكورهما يأتي بعضها بعضا لغلبة شهوتها، والبازي ونحوه أن لا تهرق دم أحد، ولا تغلبه على متاعه، وبالدابة التي ليست مشقوقة الحافر الكفرة عبدة الأوثان يعبدونها أيام حياتهم، ولا يقسمون عمرهم مشاطرة، وبالحوت الذي ليس له سفانق الإنسان المتلون في دينه ويحرث الثور مع الحمار الإنسان الكافر، وبالحمير على الخيل زواج الكافر المؤمنة والمؤمن الكافرة، وبالجدي في لبن أمه أكل مال اليتيم ظلما، وبالملتصقة الربة الإنسان الحسود الذي يوسوس الشر في صدره، وبالخبز المختمر الذي ينفخ فيها الشيطان ويهيج فيها الكبرياء، وبالفطير أن يكون أنفسنا ضامن بغير كبر، وبالحمام واليمام المؤمنين الذين جعلوا أنفسهم قربانًا لله تعالى، وأما أكل الخنزير والميتة وغيرها فما فيها مضرة، ولا منفعة من شاء أكلها، ومن شاء تركها، فهذا مذهب النصارى إلا القليل، فما الذي حمل هؤلاء الجهال على تحريف كتاب الله تعالى، وتغيير أحكامه وحل نظامه بغير شرع منقول ولا مدرك معقول، فكيف فهم هؤلاء الجاهلون

ما لم يفهمه النبيون، لله العجب قد زادت عقولهم حتى فهموا ما لم يفهمه موسى بن عمران، مع أن الرسالة إليه وكلا، والله وهم لكتب الله تعالى عارفون، وعلى الله تعالى، وعلى رسله متجرئون، فسيعلمون أي منقلب ينقلبون، وإذا فتحوا هذا الباب من الهذيان في التأويل بغير دليل لم يبق على ما يجتمعون به على نبوة عيسى، أو إلهيته أو غير ذلك. من مقاصدهم تعويل، أن يبدي مثل هذه التأويلات الباطلة، ويهتف كما هتفوا بالأحاديث الفاسدة.

السؤال الثاني والمائة:

أطبقت النصارى على اختلاف فرقهم على القول بماء المعمودية، وصفته أن الذي يريد أن يدخل في دينهم، أو يتوب منهم تمنعه الأقسة من اللحم والخمر أياما، ثم يعلمونه إيمانهم، ثم يغطسونه في ماء يغمره، واختلفوا هل يغمس واحدة، أو اثنتين، أو ثلاثا، ثم يدعو له الأسقف بالبركة بعد خروجه من الماء، ويضع يده على رأسه، ومن لم يقبل هذه القاعدة كافر عندهم، وتأويل الغطسات مدة مكث المسيح عليه السلام في قبره ثلاثة أيام، والخروج من الماء هو الخروج من القبر، ومنهم من يقول: بل الغطسات الثلاث إشارة إلى التثليث، ولم يذكر التعميد في التوراة، بل كتبوا في الإنجيل أن يوحنا عمد المسيح عليهما السلام بوادي الأردن، فخرج منه روح القدس كالحمامة على الماء، وزعمت النصارى أن المسيح عليه السلام قال للحواريين: إذا مررتم بالأجناس فعمدوهم بالأب والابن، وروح القدس، فهذه العمودية عندهم ظاهرة المستند أسندوها للنبيين والحواريين، ومع ذلك فعليهم فيها استدراكات فنقول: سلمنا جدلا صحة ما ذكرتموه من النقل، فلم قلتم إنه إذا عمد يحيي عليه السلام والحواريون نعمد نحن، فلعله مخصوص بهم، فما الدليل على أن ما فعلوه كان شرعا عاما، والمسلمون لم يعتمدوا ذلك حتى ورد عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [1] وقوله عليه السلام: «**خذوا عني مناسككم**»، ونحو ذلك، فأين لكم مثله، ولن تجدوه أبدا، ولعلهم إنما عمد لأن ماءهم مقدس، ودعاءهم متقبل، ولستم مثلهم فأضفتم لكم شرعا بالتوهم من غير دليل يلمنا

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

عموم شريعتها، فلم زدتم العدد، ووضع اليد على الرأس، والنفخ في الوجه، ولم ينقل ذلك عمن تقدم، ولم تكفرون مخالفيها من غير دليل على تكفيره؟ ثم نقول: ماء معموديتكم مقدس أم لا؟ فإن قلتم: مقدس، فمن قدسه، فإن قلتم الله قدسه فما الدليل عليه؟ فلعله نجسه، فإن قلتم: نحن قدسناه، قلنا: ومن أنتم حتى تقدسوا المياه، وما الدليل على أهليتكم لذلك، فليت الفحل يهضم نفسه، ولم خصصتم المعمودية بالماء، ولم لا يكون بالبول، فإنه ليس بنجس عندكم، وهو والماء سواء، ثم إن قولكم: إن يحيي عليه السلام عمد المسيح عليه السلام ، فهل كان عيسى عليه السلام قبل ذلك مقدسا أم لا؟ فإن قالوا: مقدسا فلا أثر لتعمده، وإن قالوا لا: فكيف يعتقدون أن من ليس بمقدس إله، أو ابن إله؟ وأنتم تقولون، إن أرواح القدس مثل الحمامة البيضاء، وهل هذا كله إلا هذيان، وضرب من الخذلان؟ وهذا على أظهر أحكام شريعتهم وأقواها مستندا، فكيف بأضعفها؟

السؤال الثالث والمائة:

وضعت النصارى لأنفسهم قوانين من غير دليل من التوراة، والإنجيل، ومن خالفهما سموه خارجا تارة، وكافرا أخرى، والخروج عن قوانينهم ذنوب، وينقسم إلى ما لا يغفرونه، وإلى ما يستقلون بغفرانه، فإذا غفروا به أدخلوه الكنيسة، وقبلوا قربانه، وإذا لم يغفروا له أبعدوه عن كنائسهم وطردوه، وهولوا عليه، ولم يقبلوا قربانه، ولا بد للمذنب المغفور له من كفارة بحسب ما يظهر لأقستهم، ويوافق غرضهم، فتارة يقدم الكنيسة، وتارة لا يدخلها، بل يقف عندها متذللا، وربما بقي أعواما، وتارة يقدم مالا لملكهم أو لهم، أو لكنائسهم، وأمثل لك كل قسم بمثال، فالعبث بالصبيان لا يغفرونه أبدا، وإن كان فاعل هذه الفاحشة أسقفا عزلوه، وأبعدوه إبعادا شديدا، وإن لم يكن أسقفا نكل نكالا شديدا، ويضرب الفاعل والمفعول مائة سوط، وينفيان النفي الدائم، ولم يعطه أسقف توبة أبدا، ومن أعطاه توبة عزل ولا يعطى هو أيضا توبة، وأغرموه خمسة أرطال ذهبا للملك هذا قانونهم في بلاد الإفرنجية، وممالك النصرانية بتلك الجهة.

ومثال ما يغفرونه نكاح القرابات لتحريمه بنص التوراة، بزعمهم فإن أصر الفاعل على ذلك لا يغفر له أبدا، وإن أقلع عنها حرم القربان خمس عشرة سنة وكلفوه أعدادا من النقود، وربما زادوه خمسا فكملوا له عشرين سنة بحسب سنه عندهم، وأما المرأة

فلا تعطى توبة إلا عند وفاتها، وأما الذي يأتي البهيمة وله زوجة لا يعطى التوبة إلا بعد ثلاثين سنة وإن لم تكن له زوجة فبعد خمس وعشرين سنة، ومثال ما يغرمون فيه الأموال من تزوج بغير بركة القسيس، يغرم للملك مائة دينار، ويضرب الزوجان مائة سوط، وقد حكموا على قاتل عبده بحرمان القربان عامين، وعلى قاتل العبد غير عبده بحرمان القربان، وبخضوعه عند الكنيسة إلى وفاته، ومن اطلع على كتب فقههم رأى فيها غرائب من التحكمات، وعجائب من الموضوعات لم تؤد بها النبوات، بل جعلوا أنفسهم شارعين، ونزلوا أنفسهم منزلة رب العالمين، فإن الحكم والتحكم من خصائص الربوبية، وإنما الأنبياء عليهم السلام مبلغون لأوامر الله، وأعجب من هذا كله استهزاؤهم بكتاب الله تعالى، فإن هذه الذنوب المتقدمة جعل الله تعالى في التوراة في أكثرها العدل، ولم يغير ذلك في الإنجيل، ولا في غيره ومع ذلك نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما تتلو عليهم شياطين أنفسهم فحقت عليهم لعنة الله تعالى وغضبه أبد الأبدين، فإن ادعوا النسخ قلنا لهم: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [1] وكيف يأتون به وفي الإنجيل قال المسيح عليه السلام: إنما جئت متما، ولم آت لأبغض شريعة من قبلي، ثم نقول: لما شرعتم في العابث مائة سوط ولم تشرعوه في ناكح قريبته، مع أن التوراة حكمت بقتلهما، فينبغي أن تضربوهما أو لا تضربوهما، بل رفضتم كتاب الله، وحكمتم بالجور، ثم جوزتم تسهيلكم الفواحش على أنفسكم وتصعيبها على غيركم، فجعلتم في الأسقف إذا عبث بصبي أن يعد فقط وغيره يعد، وينكل ويجلد ولو عكستم لكان أشبه، فإن صدور الفاحشة من العظيم أقبح، ولذلك حسنات الأبرار سيئات المقربين، بل راعيتم بعضكم بعضا لمجرد الرياسة وتحاملتم على الضعفاء، بل عظم القسيسون أنفسهم حتى جعلوا أنفسهم أعظم من الأنبياء، فحكموا في الشرائع، وليس ذلك للأنبياء، وقالوا للعوام: إن غفران أحدنا لكم غفران الله، وحرمانه حرمان الله، وإن أعطينا القربان قبله الله، وإن لم نعطه لم يقبله الله، وليس للأنبياء عليهم السلام بشيء من ذلك، بل الحكم كله لله عند كل نبي من الأنبياء عليهم السلام، وقد انتهى بعضهم إلى أن جزم بأنه لعظم منصبه عند الله تعالى

(١) سورة البقرة: الآية ١١١.

بالقسيسية لا يحرم عليه شيء من الفواحش، فعليهم لعنة الله أجمعين، ولعنة اللاعنين، بل الحق ما قاله رب العالمين في كتابه المبين: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ (١).

السؤال الرابع والمائة:

في أعيادهم من حيث الجملة قال قسيسهم حفص الأعياد السبعة التي أمر القانون بصيانتها أول يوم منها إذ بشر جبريل الملك صلوات الله عليه مريم رضي الله عنها، بإيلاد المسيح عليه السلام ، واليوم الثاني مولد المسيح عليه السلام ، والثالث حنانه إلى ثمانية أيام، والرابع يوم ظهوره للمنجمين وأهدوا إليه ذهبا ولبانا، ومرا، وهو يوم النجم، والخامس يوم الفصح إذ قام من القبر، والسادس يوم غطته السحابة ورقي إلى السماء بمحضر الحواريين، والسابع إذ نزل روح القدس على الحواريين، وتكلموا بجميع الألسن، وأما غير هذه من الأيام التي استشهد فيها الشهداء، ويصومها الناس ويتصدقون فيها، فواجب صومها، إما في مدينة، أو قرية، وهذه الأعياد عندهم يصومونها حتى إذا كان أحدهم في موطن، أو قرية لا يرتحل حتى يتمها فقد التزموا ما ليس بلازم، وأوجبوا ما ليس بواجب، ولا يجدون لا في التوراة ولا في الإنجيل ما يوجب شيئا من ذلك، فإن قالوا: هب أنه ليس فيها نقل إلا أنه اتفق فيها هذه الأمور العظيمة، قلنا: ومن أين لكم أن كل يوم اتفق فيه أمر عظيم تجعلونه عيدا؟ وهذا بمجرد التحكم في شرع الله تعالى، ولو أن هذا الباب صحيح لكان كل يوم ولد فيه نبي، أو نصر فيه على أعدائه عيدا ويلزمكم أن الأيام التي أقامها عيسى عليه السلام في بني إسرائيل وكانت له مشاهد وأحيا فيها الموتى، فظهر له الظفر، وأقام الحجة، بل أيامه كلها كانت أعيادا، بل حكمتم، وما أصبتم ولا أنصفتم، ثم إن عيسى عليه السلام كان عالما بهذه الأيام، وما كان يلتزم فيها ما تلتزمونه، فدل ذلك على أنكم أحدثتم في دين الله تعالى ما ليس فيه، وهو جراءة

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٨.

عظيمة على الله تعالى، وعلى شرعه، وما مثالكم ومثالنا إلا عبدين أمرهما سيدهما، فأما أحدهما فأطاع ولم يزد، ولم ينقص، وأما الآخر فزاد ونقص، فقال السيد للأول ما صنعت؟ قال: لم أزد على ما أمرت، ولا ما فعلت، لأني خفتك، ولأني عظمتك وأحببتك، فحملني ذلك على الاتباع، وترك الابتداع، وقال الآخر: تركت بعض ما أمرتني به، وفعلت بعض ما لم تأمرني له، فزدت ونقصت، فلا يمكنه أن يقول لأني أحببتك، ولا عظمتك لعدم المناسبة فلا شك أن العقلاء يحكمون بأن الأول مطيع دون الثاني، وأن الثاني مستوجب لنكال سيده، وهو مثالكم مع المسيح عليه السلام تدعون تعظيمه، وتخالفونه في أفعاله، وتزيدون عليه في أحكامه وأقواله، فأنتم مستحقون لتوبيخه ونكاله.

السؤال الخامس والمائة:

في قربانهم قال قسيسهم حفص في كتاب الفقه لهم: إن الذي أردت معرفته من خبر القربان، فإن الأنبياء وبني إسرائيل كانوا يقربون القربان على ما في التوراة العجول والجزر، والخرفان، فأما ملك صدق فإنه أول من قرب القربان من الخبز والخمير، وكان قسيس الله في البدء، وإليه ورى إبراهيم العشرات المفروضة، وقال داود عليه السلام في الزبور: خبر ملك صدق إذ بشر بالمسيح سيدنا، وأنزله منزلته، وجعله قسا في الأبد فقال الرب: أقسم يمينا ليس بندم أنت أبدا قسيس في خطة القسيسين ملك صدق، فأما الحواريون وأتباعهم فرضوا هذا القربان الذي قدسته الأساقفة، والقسوس على المذبح من الخمر، والخبز لأجل فعلي ملك صدق، وكما قال المسيح في الإنجيل: من أكل لحمي، وشرب دمي كان في، وكنت فيه، وأنا الخبز النازل من السماء، فمن أكلني يحيا حياتي، فانظر هؤلاء كيف ينقلون عن التوراة أن المشروع في القربان الأنعام، وهم يغيرونه ويبدلونه بالخبز والخمر، لأنهم متبعون لأهوائهم، فاستقلوا الأنعام نغلو ثمنها فعدلوا إلى الخبز والخمر لقلة ثمنه، ولما يجدونه من اللذة في الخمر، ولا شك أن القوم ضموا إلى جهلهم البخل، ثم يحتجون لرفضهم التوراة، وفعل النبيين بها إلى بعد عيسى عليه السلام بفعل القسيس ملك صدق، والحواريين مع أن المسيح عليه السلام لم ينسخ شيئًا من التوراة، وملك صدق ليس نبيا يجب اتباعه، ولو ادعوا نبوته احتاجوا إلى دليل على

نبوته، وإن شرعه شرع لهم، ولن يقدروا على ذلك أبدا، بل تركوا التوراة بمجرد الوهم والهواء، وأما قول عيسى عليه السلام: من أكل لحمي وشرب دمي كان في، وكنت فيه، وأنا الخبز النازل من السماء، فقد حمله النصارى على ظاهره، وكانوا على المسيح عليه السلام أشد من اليهود فإن اليهود قتلوه وتركوه، والنصارى يأكلون لحمه ويشربون دمه، ومعلوم أن هذا في العداوة أشد نكاية، وإنما ينبغي لهم أن يسعوا في صحة النقل أولا، فإذا صح حمل على ما يليق بمنصبه، وهو أنه عليه السلام عبر عن المعنى المعقول بمثال محسوس، وشبه غذاء الأرواح بغذاء الأجساد، وهو عليه السلام أتى بأنواع الهدايات، وتفاصيل الحكم وأحيا ما أماته بنو إسرائيل من ذلك، فمن اتبعه اغتذت روحه، وتوفرت قواها، وحصلت لها مسراتها ونعماها، وأشبعها من المعارف ورباها وآمنت شقاها وخيبة مسعاها، وليس المراد الخبز المحسوس، ولا الدم المشاهد، لأن ذلك كفر اتفاقا، وما ذكرناه معنى جليل يناسب منصبه، فيتعين أنه الحق، وذكرت هذا التأويل ليعلموا أنا أولى بعيسى عليه السلام منهم في جميع الأحوال، ولكلامه عليه السلام محامل أخرى حسنة، ولا يحتاج معها إلى إبطال التوراة التي صرح عليه السلام بأنه لا يبطل شيئا منها، وأما الحواريون فلم يصح لكن النقل عنهم، ولو صح فليس لغير الأنبياء عليهم السلام إن ينسخوا التوراة، بل لا بد للنسخ من شرط معلوم عند أهل العلم بالله تعالى وبرسله، وبأحكامه، ولم يحصل ههنا، ولو سئلتم عن شروط النسخ لما عرفتموها، بل أنتم تجاهرون باستحالة النسخ على الله تعالى، وقد بينا فيما تقدم صحته، ووقوعه في التوراة ومن العجب أن في الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال للمبروص الذي شفاه:امض واعرض نفسك على القسيسين، وانفذ قربانك الذي أمر به موسى عليه السلام لا ما شرعتموه من الهذيان، بل نقلتم عنه الزور والبهتان، فظهر أنهم تركوا التوراة لغير شيء للهواء والتحكم في الشرع.

السؤال السادس والمائة:

النصارى تقدس دورهم بالملح، قال قسيهم حفص، لأنا وجدنا أن إلياس الذي تلميذه اليسع مكث بمدينة أريحا، فشكا أهلها عينا يخرج منها ماء كثير لا ينتفع به، لذلك فأمر أن يؤتى بإناء جديد، فدخل فيها الملح وقدس به ماء العين فعذبت، فلذلك صرنا نقدس بالملح، وهذا فاسد، لأن إلياس عليه السلام فعل هذا على وجه المعجزة والكرامة،

لا أن يكون حكما شرعيا كما روي في الإنجيل أن عيسى عليه السلام سأله أعمى أن يرد بصره، فأخذ قطعة طين في عينه، فأبصر، فكان ينبغي أن تقدسوا بيوتكم بالطين، لأن عيسى أولى من إلياس عليه السلام .

السؤال السبع والمائة:

النصارى تصلب على وجوههم، وقد تقدم اختلاف أحوالهم بالأصبع والأصبعين، والعشرة، وهو شنيع على المسيح عليه السلام ، وإظهار لشعائر الإهانة العظيمة الحاصلة لمن يزعمون أنه ربهم، وهذا لا يرتضيه الإنسان لغلامه، فكيف لنبيه، فكيف لربه، قال قسيسهم وكبيرهم حفص: سبب تصلبنا أن الملك قسطنطين رأى في السماء صورة صليب من ذهب، وملك يقول له: إن كنت تريد غلبة أعدائك، فاجعل هذه الصورة علامة قدامك، فإنك غالب بها جميع أعدائك، وآمن وفعل ما قاله الملك فنصر، وهو الذي بحث عن صليب المسيح حتى وجده مدفونا، وعمل من المسامير التي كانت فيه لجاما لفرسه، وزين جبينه بصليب من ذهب فاستمر ذلك لنا علامة على النصر والظفر، قلنا: كلام حفص هذا يصدق ما حكيناه فيما تقدم من قسطنطين، فإن كذب ذلك أحد منهم فليكذب أسقفه حفصا على ما ذكرناه مشهور عندهم، ثم نقول لهم: من أين وثقتم بصدق قسطنطين، ولعله كذب لإصلاح رعيته، وهو من سيئات من لا يتقيد بالشرعيات، وكثيرا ما نشاهد من الملوك مثله سلمنا صدقه، فلعل الذي خاطبه شيطان لا ملك قصد إضلالكم حتى تعتقدوا الصلبوتية التي هي أعظم بلية.

سلمنا أنه ملك، فلم زدتم ذلك في صلاتكم، وزدتم على ما علمكم عيسى عليه السلام استظهارا عليه وتسفيها في فواته هذه المنقبة، ثم الصلاة المصلب فيها إن كانت أفضل، لزم أن يكون صلاقم أفضل من صلاة عيسى عليه السلام، أو ليست أفضل فينبغي أن لا يفعل الفضول أو ما لا فضل فيه، فإن العبث في العبادات قبيح، وهذا كله دليل على أن القوم ليس لهم غرض في اتباع رسائل الله تعالى، ولا في الاقتداء برسله، بل الأهواء أمنهم، والشياطين قادقم، والنار منزلتهم، وإلى شر الأحوال عاقبتهم، ولنقتصر على هذه الأسئلة فهذا مريع واسع، وضلال شاسع وكلماقم الركيكة أكثر من الحصى، وهفواقم أكثر من أن تحصى، وأنا أستغفر الله العظيم من نقل كفرهم، وسوء أدبهم،

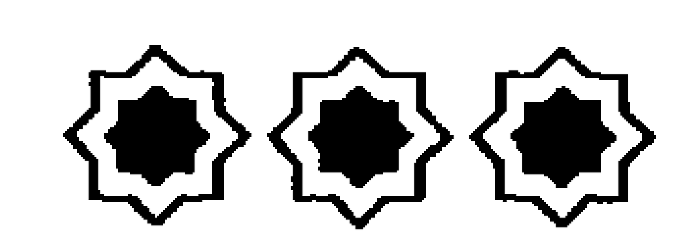
وما الباعث على هذا إلا ليعلم الناظر في هذا الكتاب من المسلمين ما أنعم الله عليه من نعمة الإسلام، وأنه هو الدين المتعين للحق الجاري على لسان التوحيد والصدق كما قال الشاعر:

وبضدها تتبين الأشياء

وقال غيره:

والضد يظهر حسنه الضد

وليفهم معنى قوله ﷺ: «**جئتكم بها بيضاء نقية**» أي لا يشوبها ما يتوهم أنه نقص، ولا ما يناقضها جامعة لمكارم الأخلاق ناهية عن لئامها قد استبدلت عن هذه الركاكات في العبارة بالفصاحة الفائقة، وعن هذه القبائح بالمنائح الرائقة، فهذا بياضها الناصع، ونقاؤها الجامع وامتثالا لقوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [(١)] ولا تهنوا وأنتم الأعلون ومن لا يقف من المسلمين على سخافة هذه الأديان يعتقد أن شبهتهم ربما تكون قوية، فإذا وقف على هذه القبائح علم أنهم في أعظم ظلم الضلالات يهيمون، وأنهم في دركات النار مرتهنون فزاد في ذلك قلبه الإيمان، وعظم الله تعالى عليه الامتنان، والله تعالى يجعلنا من حزبه المهديين، وخاصته المرضيين الذين لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون.



(١) سورة الحج: الآية ٤٠.



الباب الرابع

فيما يدل من كتب القوم على صحة ديننا، ونبوة نبينا ﷺ وأنهم بمخالفته كافرون، وبمعاندته من الله تعالى مبعدون معارضة لاستدلالهم بكتابنا على صحة دينهم بعد بيان بطلان توهمهم صحة ما اعتمدوا عليه، وقد نصت الأنبياء عليهم السلام من إبراهيم عليه السلام إلى المسيح عليه السلام على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ورسالته، وأنه أفضل النبيين والمرسلين، ونصوا على اسمه ونعته وحليته وأرضه وبلده، وجميل سيرته، وصلاح أمته وسعادة ملته، وأنه من ولد إسماعيل عليهما السلام وأن دعوته تدوم إلى قيام الساعة، فمن لم يعتقد وقوع هذا كله لزم الطعن على هؤلاء الأنبياء كلهم صلوات الله عليهم أجمعين، فلا جرم نحن المؤمنين حقا بجميعهم الشاكرين لصنيعهم وغيرنا هم الكافرون بجملتهم، والمكذبون لإخباراتهم، وأنا أذكر من البشائر الدالة على ذلك خمسين بشارة البشارة الأولى في السفر الأول من التوراة في الفصل العاشر، قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام : في هذا العام يولد لك ولد اسمه إسحاق، فقال إبراهيم عليه السلام : يا ليت إسماعيل هذا يحيا بين يديك بمجدك فقال الله تعالى: قد استجبت لك في إسماعيل وإني أباركه، وأنميه وأعظمه جدا بما قد استجبت فيه، وأصيره لأمة كثيرة وأعطيه شعبا جليلا، وسيد اثني عشر عظيما، واتفقت الأمم على أنه لم يظهر من قبل إسماعيل عليه السلام إلا نبيٌّ صلوات الله عليه، فإن الأنبياء إنما كانوا يكونون من ذرية إسحاق عليه السلام ، ولما ظهرت بركته ونمت أمته كان الشعب الجليل الذي أعطيه إسماعيل عليه السلام ، فملأت منه المشارق والمغارب ودوخت الجبابرة بالقواضب، وتوالى الأيام لا يبلي جديدها، ولا يقصم عودها، فتحققت البشارة الربانية لإسماعيل عليه السلام ، وظهرت أمنية الخليل عليه السلام بالإحسان والإكرام.

البشارة الثانية:

قالت التوراة: لما حضرت إسرائيل الوفاة بمصر عند يوسف عليه السلام ، دعا أولاده صلوات الله عليهم بين يديه، فباركهم واحدا واحدا ودعا لهم، ولما انتهت النوبة إلى

يهوذا قال فيه: لا يعدم سبط يهوذا ملك مسلط وأفخاذه بنو إسرائيل حتى يأتي الذي له الكل، ولم يأت من بعد للكل إلا رسول الله ﷺ، فيكون هو المراد صونا لكلام يعقوب عليه السلام من الخلل.

البشارة الثالثة:

قالت اليهود في السفر الخامس: قال موسى عليه السلام لبني إسرائيل: لا تطيعوا العرافين والمنجمين، فسيقيم لكم الرب نبيا من إخوانكم مثلي فأطيعوا ذلك النبي، وهذا الموعود به ليس هرون عليه السلام لقول التوراة: إنه مات قبل موسى، فما أقيم لهم، بل كان القائم موسى عليه السلام ، ولأن نبوته أقيمت قبل هذا الخطاب، ولا يوشع عليه السلام ، لأنه أقيم نبيا قبل هذا الخطاب، ولأنهما صلوات الله عليهما من بني إسرائيل، وموسى عليه السلام قال: من إخوتهم، ولم يقل: من أنفسهم، فتعين أن يكون من ولد إسماعيل أخي إسحاق أبي إسرائيل فإنهما أخوان وأولاد أحدهما أخوة الآخرين ولم يخرج من ولد إسماعيل إلا محمد ﷺ، فيكون هو الموعود به، وأما عيسى عليه السلام ، فعند النصارى رب، وعند اليهود كآحاد الناس، وليس الموعود به إجماعا.

البشارة الرابعة:

قالت اليهود في هذا السفر: قال الله تعالى: يا موسى إني سأقيم لبني إسرائيل نبيا من إخوتهم مثلك أجعل كلامي في فيه، ويقول لهم ما آمره به، والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي: أنا أنتقم منه ومن سبطه ولم يخرج من إخوة بني إسرائيل أولاد إسماعيل غير سيد المرسلين، ولم يأت برسالة مستأنفة غيره لا من بني إسرائيل، ولا من غيرهم، والله تعالى يقول لهم: ما آمره يجعله أمرا مستأنفا، ولأنه قال مثلك، ولم يخرج مثله في الجلالة، والرسالة العظيمة المبتكرة إلا سيد المرسلين صلوات الله عليه، فيكون هو الموعود به.

البشارة الخامسة:

قالت التوراة: في الفصل التاسع من السفر الأول إن المللك ظهر لهاجر، وقد فارقت سارة فقال: يا هاجر من أين أقبلت؟ وإلى أين تريدين؟ فلما شرحت له الحال قال: ارجعي، فإني سأكثر ذريتك ورزقك حتى لا يحصون، وها أنت تحبلين وتلدين ابنا تسميه إسماعيل، لأن الله تعالى قد سمع بذلك خضوعك، وولدك تكون يده فوق الجمع،

وآمر الكل، ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته، ولم يأت من ذريتها من يده على جميع الخلق وآمر الكل إلا سيد المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم.

البشارة السادسة:

في التوراة، في السفر الأول قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام إني جاعل ابنك إسماعيل لأمة عظيمة، لأنه من زرعك ولم يكن أمة مضافة إلى إسماعيل دون إسحاق إلا أمة محمد ﷺ، فيكون الموعود به.

البشارة السابعة:

قالت التوراة في السفر الخامس: أقبل الله من سينا وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فاران معه ربوات الأطهار عن يمينه، سينا هو الجبل الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام، وساعير هو جبل الخليل بالشام، وكان المسيح عليه السلام يتعبد فيه، ويناجي ربه، وفاران جبل بني هاشم الذي كان فيه محمد عليه السلام يتحنث فيه ويتعبد، فإقبال الله تعالى من سينا إقبال رسالته، وتجليه من ساعير ظهور فضله بإرسال عيسى عليه السلام بإحياء ما في التوراة وظهوره من جبال فاران، وفاران مكة باتفاق أهل الكتاب، ولذلك عندهم أن إسماعيل وهاجر كانا ببرية فاران، وهما كانا بمكة، فظهوره تعالى منها ظهور الرسالة المحمدية إلى جميع البرية، وخصص موسى عليه السلام نبينا عليه السلام، بما لم يذكره لغيره، وهو ربوات الأطهار عن يمينه، وهم أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، وهذا نص ظاهر يقوي جميع ما تقدم، ومزيد بيانه وتعين المراد به بحيث يصير كالشمس، فهذه سبع بشائر في التوراة.

البشارة الثامنة:

في إنجيل يوحنا قال يسوع المسيح عليه السلام في الفصل الخامس عشر: إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء، والفارقليط عند النصارى الحماد، وقيل: الحامد، وجمهورهم أنه المخلص، ونبينا ﷺ مخلص الناس من الكفر وهو المعلم لكل نبي، ولذلك قال يهودي لبعض الصحابة رضوان الله عليهم: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخرأة فقال: أجل لقد نهانا أن يستقبل أحدنا القبلة ببول، أو غائط وسماه المسيح عليه السلام روح الحق وهو غاية المدح.

البشارة التاسعة:

في الإنجيل قال المسيح ﷺ إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليط آخر، يثبت معكم إلى الأبد روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه، والذي يثبت إلى الأبد هو رسالة الرسول لا ذاته، ورسالة نبينا ﷺ باقية على مر الأيام والدهور، ومستمرة إلى يوم البعث والنشور، ويكون هو الموعود به صونا لقول المسيح ﷺ عن الخلل قال النصارى: إن الفارقليط الموعود به ألسن نارية تنزل من السماء على التلاميذ، فيفعلوا الآيات والعجائب وهو غير صحيح، إما لأنه لم يثبت نزول هذه الألسن، ولا مجال لتصدق المسيح ﷺ على أمر لم يثبت: أو لأن سير التلاميذ تشهد بأنهم عذبوا وأهينوا بأنواع الهوان، فكذب قولهم أن ألسن النار ترد عنهم أعداءهم، ثم قول المسيح ﷺ : إنه روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقبلوه، لأنهم لم يعرفوه يشير إلى أنه ﷺ بعث بالتوحيد في زمن غلب فيه الجهل، وعبادة الأوثان، وبيوت النيران، والقول بالثالوث، وهو غاية المنافاة والبعد عما جاء به، ولذلك قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝﴾ [1] وأما التلاميذ فلم يتحدثوا إلا مع اليهود، وكانوا يوحدون غير أنهم بدلوا الشريعة، وبعضهم عبد النجوم والأصنام، لكن التوحيد كان معلوما شائعا على وجه الأرض بخلاف زمانه ﷺ ، فتعين أن يكون هو الموعود به، ثم التلاميذ جماعة في وقت واحد، والمسيح ﷺ يشير لواحد عظيم منفرد فقولهم في التلاميذ هذيان، بل الخطاب مع التلاميذ أنفسهم.

البشارة العاشرة:

في إنجيل يوحنا: قال المسيح ﷺ : من يحبني يحفظ كلمتي وأبي يحبه وإليه يأتي وعليه يتحد المنزل كلمتكم بهذا إلا أني عندكم غير مقيم، والفارقليط روح القدس الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كلما قلت لكم: فحمل المسيح ﷺ أصحابه هذه الأمانة ليؤدوها إلى من بعدهم كما هي سنة الأنبياء عليهم السلام كما تقدم بيانه، وسماه روح القدس كما سماه روح الله وهو غاية التعظيم والمدح، أو التأكيد في اتباعه صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) سورة ص: الآية ٥.

البشارة الحادية عشرة:

في إنجيل يوحنا قال المسيح عليه السلام: إذا جاء الفار قليط الذي أبي أرسله روح الذي من أبي هو يشهد لي قلت لكم: هذا حتى إذا كان تؤمنون به، ولا تشكون فيه، ووصفه له بأنه يشهد له، ويصدقه بكذب النصارى في قولهم: إن الفارقليط هو ألسن نارية فإن تلك الألسنة آية مقوية لا يصدر عنها قول، ثم إن المسيح عليه السلام أشار إلى نصرته على اليهود في تكذيبهم له، وأنه به شيطان، وأنه من زنا بأمه سيأتي بعدي من يشهد لي فينظر براءتي وصدقي، وكذب اليهود فيما رموني به، وكذلك كان صرح القرآن الكريم بأن أمه صديقة، وأنها حملت بالقدرة الربانية من غير بشر، وأنه جاء بالبينات لليهود، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وهذا تنصيص في غاية الظهور على نبوة سيد المرسلين، وعلو شأنه.

البشارة الثانية عشرة:

في إنجيل يوحنا قال المسيح عليه السلام إن خيرا لكم أن أنطلق لأني إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء هو يوبخ العالم على الخطية، وإن لي كلاما كبيرا أريد قوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق ذلك الذي يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بعلم ما يأتي ويعرفكم جميع الأدب ففي هذه البشارة عدة مقاصد منها: أنه عليه السلام أخبر أن الآتي أفضل منه لقوله: إن خيرا لكم أن أنطلق ليأتي الفار قليط، ومنها قوله: إذا انطلقت أرسلته، أما لأن المصطفى عليه السلام موقوف على ذهاب المسيح عليه السلام، فالمسيح عليه السلام تحقق إرساله بذهابه أو على حذف مضاف، أي أرسله أبي، ومنها أن الآتي يوبخ العالم على الخطية وقد ذبح عليه السلام اليهود والنصارى والمجوس والعرب، فإنه وجد الجميع ظالمين، ومنها أنه أخبر أن الآتي يرشد إلى جميع الحق، ويقول ما لم يقله المسيح عليه السلام، لأنه جعل الحوالة عليه، ولذلك كان لا يأتي بجميع الآداب الربانية، وكل الأخلاق المرضية، وتحصيل جميع مصالح الدنيا والآخرة على ما تقدم بيانه في آخر أجوبة الرسالة: أول هذا إلا رسول الله ﷺ، وهذا في غاية التكذيب في النصارى في قولهم: إن ألسنًا نارية، ومنها الشهادة لنبينا عليه السلام أنه لا ينطق عن الهوى، وإنما يتكلم بما يوحى إليه ولذلك قال الكتاب العزيز: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ [(١)] ولم يأت من هذه صفاته، ولا يأتي إلا نبينا صلوات الله عليه، فيكون هو الموعود به جزما.

البشارة الثالثة عشرة:

في إنجيل يوحنا قالت امرأة من أولاد يعقوب للمسيح عليه السلام : يا سيد، أباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وهم يقولون: إنه أورشليم، فقال المسيح عليه السلام : يا هذا متى فإنه سيأتي ساعة لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم يسجدون للأب، وهذا من المسيح إشارة إلى تغيير البيت المقدس بالكعبة الحرام فإنها ناسخة لما تقدمها من جهات الصلاة، وصار السجود لله تعالى فيها، لا في أورشليم، ولا في غيره.

البشارة الرابعة عشرة:

في الإنجيل قال المسيح عليه السلام لمن حضره: الحق أقول لكم أنه سيأتي قوم من المشرق إلى المغرب فيكون معهم إبراهيم وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام، ويخرج بنو الملكوت إلى الظلمة الترابية خارجا هنالك يكون البكاء وصرير الأسنان، فأشار المسيح عليه السلام إلى هذه الأمة، فإن دعوة عيسى عليه السلام كانت خاصة بأولاد يعقوب عليه السلام ، وهم بنو إسرائيل أولاد الأنبياء، ولذلك سماهم بني الملكوت، ودعوة نبينا عليه السلام عامة لأهل الأرض فآمن به أهل المشرق والمغرب، وكان منهم العلماء والنجباء والصالحون والصديقون والأولياء، فكانوا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، وكفر اليهود والنصارى، وهم بنو يعقوب عليه السلام، فكانوا في ظلمات الجهالات، ودركات العقوبات، فلقد نصحهم المسيح عليه السلام غاية النصاحة، وبالغ في إرشادهم غاية المبالغة.

البشارة الخامسة عشرة:

في إنجيل متى سأل التلاميذ المسيح عليه السلام ، فقالوا: يا معلم لماذا تقول الكتب إن إليا يأتي فقال عليه السلام إن إليا، يأتي ويعلمكم كل شيء، وأقول لكم: إن إليا قد جاء فلم يعرفوه، بل فعلوا به كالذي أرادوا، وقس النصارى إليا بأنه النبي، وفيه ثلاث مقاصد:

---

(١) سورة النجم: الآية ٣-٤.

أحدها: أنهم أخبروه أن الكتب تقتضي ورد نبي آخر عن عيسى عليه السلام فصدقهم على ذلك.

وثانيها: أنه عليه السلام صرح بتكذيب النصارى واليهود في أنه ليس ابنا وسمى نفسه عليه السلام إليا، وأنهم فعلوا معه ما أرادوا ولم يتبعوه.

وثالثها: أخبر أنه سيأتي نبي يعلمهم كل شيء، ولم يوجد ذلك إلا في نبينا عليه السلام، فيكون هو الموعود به، ومنها كذب النصارى في دعوى نزول ألسن نارية لتصريحه بأنه نبي.

البشارة السادسة عشرة:

في إنجيل يوحنا أن أركون العالم سيأتي، وليس لي شيء، والأركون بلغتهم هو العظيم، والأركانة العظماء يريد عليه السلام أن ملك الفارقليط إذا أتى لم يبق على وجه الأرض لنبي من الأنبياء لا هو، ولا غيره آثار، بل قوم ضلال ينسون السنة.

البشارة السابعة عشرة:

في الإنجيل قال يحيى بن زكريا عليهما السلام لأصحابه: إن الذي يأتي من بعدي هو أقوى مني، وأنا لا أستحق أجلس مقعدا خلفه، وهو عليه السلام ابن خالة عيسى عليه السلام، وكان في زمنه لا بعده، فلم يبق غير نبينا عليه السلام.

البشارة الثامنة عشرة: في إنجيل متى قال المسيح عليه السلام يقرعون أن الحجر الذي أرذله البناءون صار رأس الزاوية من عند الله كان هذا، وهو عجيب في أعيننا، ومن أجل ذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سيؤخذ منكم، ويدفع إلى أمة أخرى تأكل ثمرها، ومن سقط على هذا الحجر يتشدخ، وكل من سقط عليه يمحقه، فليت شعري من هي هذه الأمة التي دفع له ملكوت الله تعالى بعد نزعه من النصارى، أتراهم اليهود، فهم نحن قطعا، ومن ذا الذي من عزاه شدخه، ومن عانده قتله إلا محمد ﷺ وأمته، وهو الذي أريد بالحجر الذي صار أفضل البشر بكونه رأس الزاوية المشار إليها، ومن المحال أن يقال: إنه عيسى عليه السلام، لأنه على زعم النصارى رب وعندهم وعند اليهود لم يقدر على الانتصار، ولا ظهرت له صورة الاقتدار على أحد من الأشرار، فهذه إحدى عشرة بشارة من الإنجيل، وتقدم سبعة في التوراة وهذه بقية التحريف والتبديل، سلمت من أيدي الأعادي وإلا فكان الأمر

أشهر، والحق أظهر كما قال الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (١) ولذلك أخبر من أسلم من أحبار اليهود والنصارى، وإنما يد العدوان أزالت بشائر الإيمان.

البشارة التاسعة عشرة:

في المزامير قال داود عليه السلام : ليفرح الخاليق ممن اصطفى الله تعالى له أمته، وأعطاه النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم، ويكبرون الله تعالى بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه يشير صلوات الله عليه إلى هذه الأمة، ورفع أصواتهم بالأذانات، فإنه لم يكن لغيرها من الأمم والسيوف العربية ذوات شفرتين، والعجمية لها شفرة واحدة، وانتقم الله تعالى بهم من الأمم لا أمة واحدة كموسى عليه السلام لم تقاتل إلا جبابرة الشام.

البشارة العشرون:

قال داود عليه السلام في مزمور له: إن ربنا عظيم محمود جدا، وفي قرية ألاهيا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحا فنص عليه السلام على اسم محمد وبلده، وسماها قرية الله تعالى، وأخبر أن كلمته تعم أهل الأرض، وكان ذلك.

البشارة الحادية والعشرون:

قال داود عليه السلام في مزاميره: سيكون من يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض تخر أهل الجزائر بين يديه، وتجلس أعداؤه التراب، وتسجد له ملوك الفرس، وتذعن له الأمم بالطاعة والانقياد، ويخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء، وتصلي عليه ونبارك في كل حين، وهذه صفات محمد عليه الصلاة والسلام، ولم توجد لغيره خرت الملائكة بين يدي أصحابه، ودانت إطاعة له الأمم، وصلى عليه مع طول الأيام.

البشارة الثانية والعشرون:

قال داود عليه السلام : لترتاح البوادي وقواها، ولتصير أرض قيذار مروجا، ولتسح سكان الكهوف ويهتفون من قلل الجبال بمحامد الرب، ويذيعون تسابيحه في الجزائر،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٦.

ولم يظهر دين بالبوادي سوى دين الإسلام، وقيذار اسم ولد إسماعيل جد رسول الله ﷺ، فهو تنصيص على أن الحق يكون في غاية البهجة في جزيرة العرب، ولم يكن ذلك إلا محمد ﷺ، ولا يسكن الكهوف، وقلل الجبل سوى العرب، فهذا تنصيص على صفة أمته ﷺ.

البشارة الثالثة والعشرون:

قال داود ﷺ في المزامير: أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك سلني أعطك الشعوب ميراثك وسلطانك إلى أقصى الأرض ترعاهم بقضيب من حديد، ومثل آنية الفخار تسحقهم، ومحمد ﷺ هو الذي ورث وبلغ سلطانه أقطار الأرض وحاط الأمم وسامهم بسيفه، ولم يتفق هذا لداود، ولا لأحد من بعده فيكون هو المبشر به، وسمي ابنا على العادة القديمة في تسمية المطيع، والنبي ابنا كما قال في التوراة في إسرائيل عليها السلام: ابني بكري.

البشارة الرابعة والعشرون:

قال داود ﷺ في المزامير: إلهي من الرجل الذي ذكرته والإنسان الذي أمرته وألبسته الكرامات والمجد، وملكته على خلقك، ومن هذا الذي جعل أميرا ملكا من قبل الله تعالى على جميع الخلق في جميع الأرض، ولم يوجد ذلك إلا بمحمد ﷺ، فيكون هو المبشر به.

البشارة الخامسة والعشرون:

قال أشعيا ﷺ قيل لي: قم ناظرا فانظر ماذا ترى، فقلت: أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار، والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: سقط بابل وأصنامها للمنجر، فراكب الحمار المسيح ﷺ، وراكب الجمل محمد ﷺ، فشهرته بركوب الجمل أكثر من شهرة المسيح ﷺ بركوب الحمار، فإن المسيح ﷺ كان كثير السياحة على رجليه، وإنما في الإنجيل أنه دخل المدينة راكبا الحمار والصغار حوله يقولون: مبارك الآتي باسم الرب، ومحمد ﷺ أسقط أصنام بابل وغيرها.

البشارة السادسة والعشرون:

في شرف مكة والبيت الحرام قال أشعيا ﷺ في نبوته ارفعي إلى ما حولك بصرك

مبتهجين، وتفرحين من أجل أن الله بعث إليك ذخائر البحرين، وتحج إليك عساكر الأمم حتى يعم بك قطر الإبل المئولية، ويضيق أرضك عن القطرات التي يجمع إليك، وتساق إليك كباش أهل مدين، ويأتيك أهل سبأ، ويسير إليك أغنام فاران، ويخدمك رجال مأرب، يريد سدنة الكعبة، وهم أولاد مارية اسماعيل، وهذه الصفات كلها لم تحصل إلا لمكة حملت إليها ذخائر البحرين، وحج إليها الأمم على اختلاف أصنافهم، وسيق إليها الإبل والغنم هدايا وضحايا، وهذا التعظيم لها إنما حصل بمحمد ﷺ، فيكون دينه حقا وهو المطلوب.

البشارة السابعة والعشرون:

قال أشعيا عليه السلام في نبوته: أيتها المتعلقة في الغيوم إني جاعل فخرك بكورا، وموثق أساسك بالحجر الأسمى نجوتي، ومزين حيطانك باللازورد، ومزخرف خدودك بالأحجار النفيسة، وأعم أبناك بالسلم، وأزينك بالصلاح والبر، وأبعد عنك الأذى والمكاره، وأجعلك آمنة، ومن انبعث إلي فإليك قصده، وفيك حلوله، وتصيرين ملجأ لقاصديك وسكانك، ولم يوجد هذه الصفات إلا لمكة لأن المهدي من بني العباس، والملوك قبله وبعده، تأنقوا في بناء المسجد الحرام بالأحجار النفيسة والذهب والأصباغ، واللازورد وحملت تيجان الملوك وذخايرهم، فحليت بها الكعبة حتى إن سقوف الحرم تأخذ بالبصر، وليس على وجه الأرض كذلك غيرها، ولا يمكن صرف هذا للبيت المقدس، لأنه لم يكن متعلقا في الهموم من الكفر وعصيان الرب، وعبادة الأصنام، وأنواع الفجور والبهتان على الله تعالى، ولم يكن أمنا لمن قصده إلا مكة، فإنها محال إلا من في الجاهلية والإسلام، وتعظيمها من خصائص الإسلام، فيكون منها الإسلام حقا، وهو المطلوب.

البشارة الثامنة والعشرون:

قال أشعيا عليه السلام مخاطبا للناس: عن محمد ﷺ في نبواته افهمي أيتها الأمم أن الرب أهاب من يعيد، وذكر اسمي، وأنا في الرحم، وجعل لساني كالسيف الصارم، وأنا في البطن وخاضني بطل يمينه، وجعلني كالسهم المختار من كنانته، وحزنني لمسرة، وقال لي: أنت عبدي، فصرفي وعدلي حق قدام الرب وأعمالي بين يدي، وإلهي فصرت محمدا عبد الرب وبإلهي حولي وقوتي، وهذا الفصل العظيم فيه إشارات قوية جدا منها أنه

خاطب جميع الأمم، فتكون رسالته عامة فلم يوجد ذلك إلا محمد ﷺ ، ومنها أن الله تعالى أهاب من بعيد إشارة إلى أنه لم يبعثه من بني إسرائيل الذي علات الأنبياء عليهم السلام منهم، وهذه صفته ﷺ ، ومنها الإشارة إلى عظيم فصاحة لسانه حتى عاد كالسيف، و لم يؤت جوامع الكلم إلا هو ﷺ ، ومنها الإشارة إلى أنه ﷺ خير الرسل وأعظمها كلها شأنا بقوله: جعلني كالسهم المختار من كنانته، ومنها الإشارة إلى أن شريعته أعظم الشرائع حازت من المصالح ما لم تحزه شريعته لقوله: وحزني لمسرة إلى كمال الحكمة الإلهية، إنما ظهرت في شريعته، وقد تقدم بيان هذا آخر الباب الأول، ومنها أن أشعيا ﷺ صرح باسم محمد، و لم يعجم، وأعرب عنه، و لم يعجم فلا حاجة بعد هذا الاتضاح إلى مترجم، فهذه ست إشارات عظيمة من نبي عظيم اتفق أهل الكتاب على صدقه وتعظيمه ونبوته.

البشارة التاسعة والعشرون:

قال أشعيا ﷺ في نبواته: حق هاجر أم العرب ستحيي أيتها الترفد الرقوب، واغبطي بالجمل، لقد زاد ولد الفارغة المجفوة على ولد المشغولة المحظية، قال لها الرب أوسعي مواضع جناحك، ومدي مضاربك وطولي أطنابك، واستوثقي من أوتادك، فإنك ستنبسطين وتنتشرين في الأرض يمينا وشمالا، وترث ذريتك الأمم ويسكنون القرى المعطلة البنيان، وهذا بيان عظيم وتصريح جليل فإن سارة أم إسحاق ﷺ والدة إسرائيل حرة، وهاجر أم إسماعيل أنها مجفرة محقورة، فبشرها الله تعالى أن ذريتها تكون أعظم من ذرية سارة، وتملك مشارق الأرض ومغاربها، وتستولي ذريتها على جميع الأمم، و لم يتفق ذلك لبني إسماعيل قط، إلا في الأمة المحمدية، فتكون بني الموعود بها، وهذا نص لا يحتمل التأويل.

البشارة الثلاثون:

قال أشعيا ﷺ : في نبوته منبها على محمد ﷺ عبدي الذي برضى نفسي أعطيه كلامي، فيظهر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، ويضحك ولا يصخب يفتح العيون العور، ويسمع الآذان الصم، ويحيي القلوب الميتة، وما أعطيه لا أعطيه غيره أحمد يحمد الله تعالى حمدا جديدا يأتي من أفضل الأرض فتفرح به البرية وسكانها ويوحدون الله تعالى على كل طرف، ويعظمونه على كل رابية لا يضعف، ولا يغلب، ولا يميل إلى

الهواء، ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصب الضعيف، بل هوى الصديقين المتواضعين، وهو نور الله تعالى الذي لا يُطْفَأ أثر سلطانه على كتفه، وهذا كلام عظيم مشتمل على علامات قوية جدا منها الإشارة إلى كونه أفضل الرسل لقوله: عبدي الذي برضى نفسي، وهذه صيغة حصر كقولك: الله خشيه هو الذي يرزقني، أي لا يرزقني غيره، ومنها الإشارة إلى عموم رسالته بكتاب من عند الله تعالى إلى جميع الثقلين بقوله أعطه كلامي، فيظهر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، وهذا لم يكن قط إلا لمحمد ﷺ ، ومنها أن الله تعالى ينشر هديه ويتسير على الأمم إجابته وتصديقه لقوله يفتح العيون العور، ويسمع الآذان الصم، ويحيي القلوب الميتة وهي صيغة عموم وشمول في جميع الخلائق، ولم يتفق ذلك إلا لمحمد ﷺ ، ومنها أن شريعته أفضل الشرائع، وكتابه أفضل الكتب وأمته أفضل الأمم لقوله: وما أعطيه له لا أعطيه غيره، ومنها التصريح باسمه أحمد، كما صرح باسمه محمد قبل هذا، ولم تكن هذه الأسماء لغيره ﷺ ، ومنها أن مكة أشرف الأرض لقوله: يأتي من أفضل الأرض، وقد تعين أنه أحمد فتكون أفضل الأرض مكة، ومنها أنه يفرح به البراري والقفار، وسكانها، وهذه الصفة لم تكن لغير العرب، ولم يهد العرب وينشر فيهم ذكر الله تعالى إلا محمد ﷺ ، فيكون هو المقصود، ومنها أن هذه الرسالة تقتضي عبادة الله تعالى على كل رابية وشرف، وهو من خصائص هذه الأمة، فإن الأمم قبلها لا يصلون إلا في البيع والكنائس، وهذا الأمة حيث أدركتها الصلاة صلت وأذنت وسبحت وهللت، فتكون هذه الأمة هي الموعود بها، ومنها أن دينه يدوم إلى يوم القيامة لقوله، وهو نور الله الذي لا يطفأ، ومنها أن بكتفه علامة نبوته لقوله: أثر سلطانه على كتفه، ولم يكن على كتف أحد علامة نبوة إلا محمد ﷺ ، فهو المبشر به، فهذه عشر علامات من أشعياء ﷺ لا يحتاج معها في الرد، على أهل الكتاب إلى غيرها، ومن أنصف منهم لا يجد محيدا عنها.

البشارة الحادية والثلاثون:

قال أشعياء ﷺ : لتفرح البادية العطشى ولتبتهج البراري والفلوات، ولتزهو فإنها ستعطى بأحمد مجلس لبنان حتى يصير كالدعاء كبر والرياض، وسيرون جلال الله تعالى إلهنا، فصرح ﷺ باسمه، وإن مكة تصير براريها محجوجا إليها من الأقطار حتى يكثر

فيها العمران، فقد صرح باسمه واسم أرضه فما يسع أهل الكتاب إلا الإيمان بذلك، وكيف لا يؤمنون بأشعياء ﷺ، ويكذبون أخباره، ويردون أقواله.

البشارة الثانية والثلاثون:

قال أشعياء ﷺ في نبوته قال إبراهيم خليل الله الذي قويته ودعوته من أقاصي الأرض لا يخاف ولا يرهب، فأنا معك ويدي الغزيرة مهدت لك، جعلتك مثل الجرجر الحديد يدق ما يأتي عليه دقا، ويسحقه سحقا حتى يجعله هشيما يلوي به هوج الرياح، وأنت تنبهج وترتاح، ويكون محمد فصرح ﷺ باسمه ونصره، وبسط مملكته بالتمهيد والإعانة، ولا يكاد أشعياء ﷺ يهمل ذكر اسمه كأنه عليه ضربة لازب، وحتم واجب، وإذا كانت الأنبياء والأصفياء يصرحون باسمه وجميع صفاته انقطعت أعذار أهل الكتاب.

البشارة الثالثة والثلاثون:

قال أشعياء ﷺ في نبوته معلنا باسمه ﷺ : إني جعلت اسمك محمدا يا محمد، يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد.

البشارة الرابعة والثلاثون:

قال أشعياء ﷺ في نبوته منبها على مكة: سري واهتزي أيتها العاقر التي لم تلد، وانطقي بالتسبيح وافرحي إذ لم تحبلي فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي، عنى بأهله أهل البيت المقدس، وبالعاقر مكة، لأنها لم تلد قبل نبينا ﷺ نبيا وأهلها أكثر لأن المراد أهل الحق من الجميع دون أهل الضلال، فيخرج النصارى كلهم لليوم واليهود، ولم يبق إلا من كان على حقيقة التوراة، وهم قليلون جدا بالنسبة إلى المسلمين، بل الأمم المحققة كلها أقل من المسلمين لقوله ﷺ : «**إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة**»

البشارة الخامسة والثلاثون:

قال أشعياء ﷺ في نبوته: ولد لنا غلام يكون عجبًا، وسيراد والشامة على كتفه ادلون السلم داود لبني إسرائيل.

البشارة السادسة والثلاثون:

قال أشعياء ﷺ في نبوته حاكيًا عن الله تعالى: أشكر حبيبي وابني أحمد فصرح

باسمه ﷺ، وسماه ابنا على اصطلاح لسان اليونان وأمر أشعيا ﷺ بشكره هو وقومه، وسماه حبيبا، غاية التكريم والتعظيم بما يجب له وأنه سيكون.

البشارة السابعة والثلاثون:

قال أشعياء ﷺ في نبوته: إنا سمعنا في أطراف الجبال صوت محمد، فصرح باسمه ﷺ ومكانه تصريح لا يحتمل التأويل.

البشارة الثامنة والثلاثون:

قال أشعياء ﷺ في نبوته لتستحين تمجدني حيوانات البر من بنات آوى حتى الأنعام، لأني أجريت الماء في اليد، ولتشرب منه أمتي المصطفاة التي اصطفيتها، فكنى عن العرب والحجاز بالبراري، وبنات آوى والأنعام وسما الهذاماء، لأنه يزيل عطش الضلال، وأخبر أنه تعالى اصطفى هذه الأمة من بين سائر الأمم.

البشارة التاسعة والثلاثون:

قال أشعياء ﷺ في نبوته منبها على شرف مكة: قومي وأزهري مصباحيك فقد دنا وقتك وكرامة الله تعالى طالعة عليك، فقد حلل الأرض الكلام وغطى على الأمم كلها الضباب والرب يشرق عليك إشراقا، ويظهر عليك كرامته، فتصير الأمم إلى نورك والملوك إلى ضوء طلوعك سيأتوك ويحجون إليك من البلد البعيد ويتربى بنوك وبناتك على السرر، والأرائك، وليس على وجه الأرض مكان لم يكن له وقت وقد قرب وقته، وهو يحج إليه الناس من أقطار الأرض إلا مكة، فإن البيت المقدس ما زال تعظيما محجوبا، ولم يعظم مكة وجعل الحجيج إليها من أقطار الأرض إلا محمد ﷺ، فتكون نبوته حقا وهو المطلوب.

البشارة الأربعون:

قال هوشاع وهو أحد الاثني عشر بنو إسرائيل واليهود قد بعثوا بالكذب والخيانة حتى نزلت أمة الله الأمة المقدسة المؤمنة، فصرح بأن بني إسرائيل واليهود على الكذب والضلال حتى تأتي الأمة المقدسة، ولم يأت بعد بني إسرائيل أمة غيرنا، فإن النصارى داخلون في بني إسرائيل، فيكون نحن الأمة المقدسة المذكورة، وهو المطلوب.

البشارة الحادية والأربعون:

قال ميخا النبي ﷺ منبها على البيت الحرام أنه يكون في آخر الأيام بيت الرب مبنيا على قلل الجبال، وفي أرفع رءوس العوالي يأتين جميع الأمم يقولون: تعالوا نطلع

إلى جبل الرب، وهذه صفة البيت الحرام وجبل عرفة ولم يشرعه لجميع الأمم إلا لمحمد ﷺ ، فيكون دينه حقا وهو المطلوب.

البشارة الثانية والأربعون:

قال النبي حبقوق ﷺ في نبوته: إن الله تعالى جاء من الشمس والقدوس من جبل فاران، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده شاع منظره مثل النور يحوط بلاده بعزه تسير المنايا أمامه وتصحب سباع الطير أجناده، قام فمسح على الأرض فتضعضعت لها الجبال القديمة، وتزعزعت ستور أهل مدين، ثم قال زجرك في الأنهار واحتدام صوتك في البحار، يا محمد ادن لقد رأتك الجبال فارتاعت ونحرت المهادي بغير أود لك، وسارت العساكر في بريق سهامك، ولمعان تبارك تدوخ الأرض غصبا وتدوس الأمم زجرا، فمن رام صرف هذا الكلام رام ستر النهار، وحبس الأنهار فإنه سمى محمدًا ﷺ مرتين، ووصفه لمقابلة أهل الأرض، وأنه من جبل فاران، وفي التوراة أن إسماعيل ﷺ وأمه كانا في برية فاران، ولم يخرج من الحجاز غير محمد ﷺ ووصفه بالجهاد برا وبحرا، وتدويخ جميع الأمم، وهذا لم يكن إلا له ﷺ .

البشارة الثالثة والأربعون:

قال حزقيال النبي ﷺ في نبوته: إن كرمة أخرجت ثمارها وأغصانها فأشتت على أغصان الأكابر والسادات، وأرتعت وبسقت أفنانها فلم تلبث تلك الكرمة أن قلعت بالسخط، ورمي بها على الأرض، فأحرقت التمائم ثمارها، وتفرقت قواها ويبست عصي غرسها، وأتت عليها النار وأكلتها فعند ذلك غرس في البدو، وفي الأرض المهملة المعطلة العطشى، وخرجت من أغصانه نار فأكلت تلك حتى لم يوجد فيها غصن قوي، ولا قضيب ينهض، فالغرس الأول يريد به شرع بني إسرائيل، وملكهم والغرس الثاني يكون بعد السخط عليهم في البادية، وهي أرض الحجاز، وهذا تصريح منه بأنا نحن الغرس الموجود لله تعالى على وجه الأرض، وأن من عدانا سخوط عليه.

البشارة الرابعة والأربعون:

قال حزقيال ﷺ في نبوته: يتهدد اليهود بنا أن الله مُظْهرهم عليكم، وباعث فيهم نبيا، وينزل عليهم كتابا ويملكهم رقابكم فيقهرونكم، ويذلونكم بالحق، ويخرج رجال بني قيدار في جماعات الشعوب معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين،

فيحيطون بكم وتكون عنايتكم إلى النار، وفيدار هو ابن إسماعيل عليه السلام جد العرب، ولم يخرج من بني إسماعيل من له الحرب، والغلبة لبني إسرائيل معهم إلا نحن بالضرورة.

البشارة الخامسة والأربعون:

قال دانيال عليه السلام في نبوته مخاطبا لمحمد عليه السلام : سينزع في فسيد إغراقا يرتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء.

البشارة السادسة والأربعون:

في نبوة دانيال عليه السلام لما سأله بختنصر عن تأويل رؤياه التي نسيها، قال له: رأيت أيها الملك صنما عظيما، قائما بين يديك رأسه من ذهب، وساعداه من فضة، وبطنه وفخذاه من النحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من خزف، ورأيت حجرا لم تطعه يد إنسان قد جاء وصك ذلك الصنم فتفتت وتلاشى، وعاد رفاتا، ثم نسفته الرياح فذهب وتحول ذلك الحجر، فصار جبلا عظيما حتى ملأ الأرض كلها، قال: صدقت، فما تأويله؟ قال له: أنت الرأس الذهب ويقوم بعدك ولداك وهما دونك فهما فضة وبعدهما مملكة دونهما تشبه النحاس، والمملكة الرابعة في غاية القوة، فهي الساقان الحديد، والرجلان الخزف مملكة شريفة قوية فتدق جميع ملوك الأرض وأممها حتى تمتلئ منه الأرض، ومن أمته ويدوم سلطان ذلك النبي إلى انقضاء الدنيا، ولم يوجد دانيال إلى يومنا من فعل له هذا إلا محمد عليه السلام .

البشارة السابعة والأربعون:

قال دانيال عليه السلام في نبوته: رأيت في نومي كأن الرياح الأربع قد هاجت، وتموج بها البحر، واعتلج اعتلاجا، فصور منه أربع حيوانات عظاما مختلفة الصور، الأول مثل الأسد، وله أجنحة نسر، والثاني مثل الدب، وفي فمه ثلاثة أضلاع، وسمعت قائلا يقول: قم، فكل من اللحم، واستكثر منه، والثالث: مثل النمر في جنبيه أربعة أجنحة، وله أربعة رءوس، وقد أعطي قوة، والرابع: عظيم قوي جدا، وله أسنان من حديد عظام، فهو يأكل ويدق برجليه ما بقي، ورأيته مخالفا لتلك الحيوانات، وكانت له عشرة قرون، فلم يلبث أن نبت له قرن صغير من بين تلك القرون، ثم صار لذلك القرن عيون، ثم عظم القرن الصغير حتى صار أكبر من سائر القرون فسمعته يتكلم كلاما عجيبا، فكان ينازع القديسين ويقاومهم، قال دانيال: فقال لي الرب تعالى الحيوان

الرابع: مملكة رابعة في آخر الممالك، وهي أفضلها وأجلها تستولي على جميع الممالك، وتدوسها وتدقها وتأكلها رغدا، فقد عهد دانيال عليه السلام بأن أمتنا أفضل الأمم وأنها دائمة إلى الأبد، وقال المفسرون لكتب دانيال: إن الحيوان الأول دولة أهل بابل، والثاني دولة أهل الماين، والثالث دولة الفرس، والرابع دولة العرب، وهو تصديق قول التوراة لإبراهيم عليه السلام إني أبارك إسماعيل ولدك، وأعظمه جدا جدا، ومن تولى الله تعالى تعظيمه كيف لا يكون عظيما، قلت: وأرى أن العشرة القرون هي أصحابه عليه السلام العشرة، ثم حصل بسببهم، ومن بينهم وبالنقل عنهم وعن بقية الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعون وعلماء الأمة شيئا قليلا كثروا، وعظموا واشتغلوا بالعلوم، وناظروا أهل الملك، وعظمت بصائرهم وأشهرت تصانيفهم فيها من كل عجيب، وعلم بديع غريب حتى ملأت خزائن المدائن من تصانيفها، وعمت سائر أنواع العلوم بتآليفها، فلم يبق علم لغيرها من القرون السالفة حتى حققته بعد سقمه، ولم تترك ما يحتاج إليه من العلوم التي لم تكن حتى أخرجته بعد عدمه، ولا شك أن مجموع الأمة أفضل من واحد من العشرة، وإن كان كل واحد من العشرة خير من كل واحد ممن بعده إلى قيام الساعة، ولذلك قال عليه السلام : «**لو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» فلم يجعل الفضل إلا بعين الواحد منا، والواحد منهم، أما الجمع فلم يتعرض له، وتفرقت اليه.

البشارة الثامنة والأربعون:

قال دانيال عليه السلام سألت الله تعالى وتضرعت إليه أن يبين لي ما يكون من بني إسرائيل، وهل يتوب عليهم ويدر إليهم ملكهم، ويبعث فيهم الأنبياء عليهم السلام، أو ينقل ذلك في غيرهم، فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه، فقال: السلام عليك يا دانيال، إن الله يقول لك: إن بني إسرائيل أغضبوني، وتمردوا علي وعبدوا من دوني آلهة أخر، فصاروا من بعد العلم إلى الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب، فسلطت بختنصر قتل رجالهم، وسبى ذراريهم، وهدم بيت مقدسهم وحرق كتبهم، وكذلك فعل من بعده بهم، وأنا غير راض عنهم، ولا مقيلهم عثرتهم، فلا يزالون في سخطي حتى أبعث بسحتي ابن العذراء البتول، فأختم عند ذلك باللعن والسخط، فلا يزالون ملعونين عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبي بني إسرائيل الذي بشرت به

هاجر، وأرسلت إليها أملاكي يبشروها فأوحى إلى ذلك النبي، وأزينه بالتقوى، وأجعل البر شعاره، والرشد سنته أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب، وناسخ لبعض ما فيها أسري به إلي، وأرقيه من سماء إلى سماء حتى تعلو ذريته، وأسلم عليه. وأوحي إليه، ثم أرده إلى عبادي بالسرور والعطية حافظا لما استودع صادعا بما أمر يدعو إلى توحيدي، وعبادتي ويخبرهم بما رأى من آياتي، فيكذبونه ويؤذونه، ثم سرد دانيال صلوات الله عليه قصته ﷺ حرفا حرفا مما أملاه عليه الملك حتى وصل إلى آخر أيام أمته عند نفخ الصور، وانقضاء الدنيا ودلائل نبوته ﷺ كثيرة موجودة في أيدي اليهود، والنصارى يقرءوها، ويكتموها يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون.

البشارة التاسعة والأربعون:

قال يوحنا في كتاب رسائل التلاميذ المسمى بفرا كسيس: إياكم أن تؤمنوا تلك روح، لكن ميزوا الأرواح التي من عند الله عن غيرها، واعلموا أن كل روح تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء، وكان جراء نبيا، فهو من عند الله تعالى، وكل روح لا تؤمن بأن اليسوع المسيح جاء، وكان جراء نبيا، فليست من عند الله، بل المسيح الكذاب الذي سمعتم به، وهو الآن في العالم، فشهد يوحنا أن محمد بن عبد الله من عند الله تعالى، لأنه آمن بالمسيح وصدقه، وقال: إنه كان جسرا نبيا وأن اعتقادنا هو الاعتقاد الحق في عيسى بن مريم، وأن اعتقاد النصارى واليهود فيه باطل، واليهود الآن تنتظر مسيح الهدى يأتي غير مسيح الضلالة الذي أنذر به الأنبياء قومها، وقد تعداهم السعد، وهم لا يشعرون.

البشارة الخمسون:

قال أرميا ﷺ في نبوته حاكيا عن الله تعالى: إني مهيج عليكم يا بني إسرائيل من البعد أمة عزيزة أمة قديمة أمة لا تفهمون بلساها، وكلها مجرب جبار، وهو تصريح بهذا الأمة وبعدها كوها ليست من بني إسرائيل، وعزها اعتمادها على الحق وقدمها إنذار الأنبياء بها قديما، ولساها عربي لا يفهمه بنو إسرائيل، وتجربة العرب للحروب والغزوات والقفار والمهالك مشهورة قديما، وحديثا لا تجارى، ولا تسابقها فيه أمة من الأمم، وهو جبروها وصلابة قلوبها على المشاق.

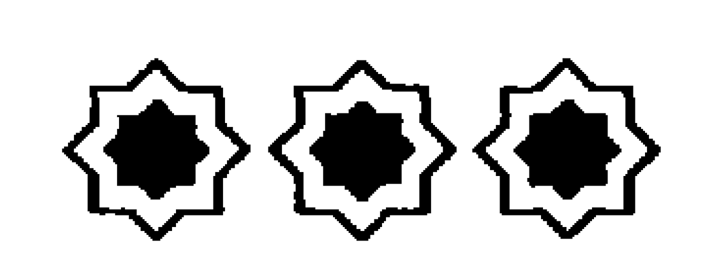
البشارة الحادية والخمسون:

قال أشعياء عليه السلام في نبوته: أنا الرب لا إله غيري أنا الذي لا تخفى عليه خافية، بل أخبر العباد ما لم يكن قبل أن يكون وأكشف لهم الحادث والغيوب، وأتم مشيئتي كلها إني سأدعو طايرا من البدو واجدا الشاسع، فهذا طائر هو محمد ﷺ، لأنه من البدو الشاسع عن أقليم بني إسرائيل، وسماه طائرًا لطيران ملكه وهديه في الآفاق، والحمل على الطائر الحقيقي لا يبقي في هذا الكلام العظيم فايدة، فتعين حمله على معنى نفيس لائق بهذا السياق العظيم، و لم تقع في العالم ما يليق بهذا الخبر سوى محمد عليه السلام ، فتعين ولنقتصر على هذه الخمسين بشارة خشية الإطالة، وفي واحدة منها الكفاية لمن أنصف، وقصد الحق، فكيف بخمسين؟ فإن قالوا: كيف تتمسكون بهذه الكتب، وهي غير صحيحة عندكم، قلنا: نبوة نبينا عليه السلام ثابتة بالمعجزات غنية عن هذه الكتب، وإنما نذكر ما فيها من الدلالة على نبوته عليه السلام إلزاما لأهل الكتاب الذين يعتقدون صحتها، وهي مثل جميع كتبهم في الصحة، فإن كان يحسن الإشكال بها تم مقصودنا، وإن كانت لا يحسن بها الاستدلال بطل جميع ما بيد أهل الكتاب، لأن جميعه مثلها، وكيف يسع أهل الكتاب أن يعتقدوا صحة هذه الكتب، ولا يقبلوا ما فيها من الدلالة على محمد عليه السلام المواصل فصل حد القطع من كثرتها، وإنما عميت منهم البصائر وحنثت السرائر، فلا يجد الحق من قلوبهم محلا، ولأسماع التذكر أهلا، والله تعالى هو المحمود بما يليق بجلاله الذي جعلنا مخصوصين بدينه القويم وصراطه المستقيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وعلى خير خلقه أفضل الصلوات والتسليم، والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله تعالى



الفهرس





أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
٥٩٢٢٤١٠ ٥٩٠٤١٧٥



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
٥٩٠٤١٧٥ ٥٩٢٢٤١٠